

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

مختص
بمحدث أبو الفضل برهان

دار النشر: المكتبة الإسلامية
بيروت - لبنان - مصر - سوريا

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد



الجزء الرابع

دار الفکر للطباعة
مبنى الباني الجليلي وشركة



مرکز تحقیقات اسلامی

منشورات مکتب آیات الله العظمیٰ المرعشی النجفی
نم - ایمن ۱۰۴ هجری

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل الحكيم ، وصلى الله على رسوله الكريم .

ومنها^(١) في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية :
وَمِنْ تَمَامِ الْأَضْحِيَّةِ اسْتِشْرَافُ أُذُنَيْهَا ، وَسَلَامَةُ عَيْنَيْهَا ، فَإِذَا سَلِمَتِ الْأُذُنُ وَالْعَيْنُ
سَلِمَتِ الْأَضْحِيَّةُ وَتَمَّتْ ، وَلَوْ كَانَتْ عَضَاءُ الْقَرْنِ تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى الْمَنَسْكِ .



قال الرضی رحمہ اللہ :

وَالْمَنَسْكُ هَاهُنَا : الْمَذْبَحُ .

مركز تحفہ تکریم پر علوم اسلامی

الْبُرْخُ :

الأضحية : ما يذبح يوم النحر ، وما يجرى مجراه أيام التشريق من النعم . واستشراف
أذنها : انتصابها وارتفاعها ، أذن شرقاً أي منضبة .
والمضباء : المكسورة القرن . والتي تجرّ رجلها إلى المنسك ، كناية عن المرجاء ،
ويجوز المنسك ، بفتح السين وكسرهما .

[اختلاف الفقهاء في حكم الأضحية]

واختلف الفقهاء في وجوب الأضحية ، فقال أبو حنيفة : هي واجبة على المقيمين من أهل

(١) صفة المظبية الثانية والحسين ؛ الجزء السابق ص ٣٣٣ .

الأمصار ، وبعتبر في وجوبها النصاب ، وبه قال مالك والثوري ؛ إلا أن مالكا لم يعتبر الإقامة .

وقال الشافعي : الأضحية سنة مؤكدة ، وبه قال أبو يوسف وعمر وأحمد .

واختلفوا في العمياء ؛ هل تجزئ أم لا ؟ فأكثر الفقهاء على أنها لا تجزئ ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الفصل يقتضي ذلك ؛ لأنه قال : إذا سَلِمَتِ العين سَلِمَتِ الأضحية ، فيقتضي أنه إذا لم تسلم العين لم تسلم الأضحية . ومعنى انتفاء سلامة الأضحية انتفاء أجزائها .

وحكى عن بعض أهل الظاهر أنه قال : تجزئ العمياء .

وقال محمد بن النعمان المعروف بالقيدر رضى الله تعالى عنه ، أحد فقهاء الشيعة في كتابه المعروف " بالفتنة " : إن الصادق عليه السلام سئل عن الرجل يهْدِي الهدى أو الأضحية وهي مميئة ، فيصيبها مرض ، أو تنفقا عيها أو تنكسر ، فتباغ يوم النحر وهي حية ، أتجزئ عنه ؟ فقال : نعم .

فأما الأذن ، فقال أحمد : لا يجوز التضحية بقطوعة الأذن ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي ذلك . وقال سائر الفقهاء : تجزئ إلا أنه مكروه .

وأما المضيء ، فأكثر الفقهاء على أنها تجزئ ، إلا أنه مكروه ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي ذلك ، وكذلك الحكم في الجَلْعَاء ، وهي التي لم يخلق لها قرن ، والقَصَاء : وهي التي انكسر غلاف قرنها ، والشرقاء : وهي التي انتحبت أذنها من الكلى ، والخرقاء : وهي التي شقت أذنها طولا .

وقال مالك : إن كانت المضيء يخرج من قرنها دم لم تجزئ .

وقال أحمد والنخعي : لا يجوز التضحية بالمضيء .

فأما العرجاء التي كفى عنها بقوله : « تجرّ رجلها إلى النّسك » ؛ فإكثّر الفقهاء على أنها لا تجزئ ، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يقتضي أنها تجزئ . وقد قل أصحاب الشافعيّ عنه في أحد قوليّه أنّ الأضحية إذا كانت مريضة مرضاً يسيراً أجزأت .
وقال للماورديّ من الشافعيّة في كتابه للمروف بـ « الحاوي » : إن مجزئ عن أن تجرّ رجلها خِلقةً أجزأت ، وإن كان ذلك عن مرض لم تجزئ .



مركز تحقيقات کتب پیر منور اسلامی

(٥٣)

ومن كلام له عليه السلام في ذكر البيعة :

الأصل :

فَتَدَاكُرُوا عَلَى تَدَاكُ الْأَيْلِ الْيَوْمَ وَرِدْهَا ، وَقَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا ، وَخَلِمَتْ
مَنَاسِيهَا ؛ حَقَّ ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلٌ ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ . وَقَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ
بَطْنُهُ وَظَهَرَهُ . حَقَّ مَنَعِي النَّوْمَ ، فَمَا وَجَدْتُني بِسْمِي إِلَّا قِتَالَهُمْ أَوْ الْجَعُودُ بِمَا جَاءَ
بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَكَانَتْ مُعَاجَلَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَاجَلَةِ الْعِقَابِ ،
وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الْآخِرَةِ .

بركتها في كل يوم

الشيخ :

تَدَاكُرُوا : ازدحموا ، واليهيم : العطاش . ويوم وِرْدِهَا : يوم شربها الماء . والثاني :
الحبل ، جمع مَثْنَاءَ وَمِثْنَاءَ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ ، وهو الحبل .
وجهاد البغاة واجب على الإمام ، إذا وجد أنصاراً ، فإذا أخل بذلك أخل بواجب ،
واستحق العقاب .

فإن قيل : إنه عليه السلام قال : « لم يسمنى إلا قتالهم أو الجعود بما جاء به محمد صلى
الله عليه وسلم » ؛ فكيف يكون تارك الواجب جاحداً لما جاء به النبي صلى الله
عليه وآله !

قيل : إنه في حكم الجاحد ؛ لأنه مخالف وعاصٍ ؛ لاسيما على مذهبنا في أن تارك
الواجب يخلد في النار وإن لم يبعد النبوة .

[بيعة على وأمر المتخلفين عنها]

اختلف الناس في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، فالتى عليه أكثر الناس وجهور
أرباب السيرة طلعة والزبير بإيماء طائفتين غير مكرهين ، ثم تغيرت مرأتهما ، وفسدت
نيتاهما ، وغدرآ به .

وقال الزبيريون ، منهم عبد الله بن مصعب ، والزبير بن بكار وشيعتهم ومن وافق
قولهم من بني تميم بن مرة ، أرباب المصيبة لطلعة : إيهما بإيماء مكرهين ، وإن الزبير كان
يقول : بايئت والهج على قفى ، والهج سيف الأشر ، وقفى لفه هذلية ؛ إذا أخافوا القصور
إلى أنفسهم قلبوا الألفباء ، وأدغوا إحدى الياءين في الأخرى ؛ فيقولون : قدوافق ذلك
هوى ، أى هوى ، وهذه عصى ، أى عصا .



وذكر صاحب^(١) كتاب "الأوتل" : أن الأشر جاء إلى على عليه السلام حين قتل
عمران ، فقال : قم فبايع الناس ، فقد اجتمعوا لك ، ورغبوا فيك ؛ والله لئن تكلفت عنها لتعصرن
عليها عينيك مرة رابعة ، فجاء حتى دخل بنرسكن ، واجتمع الناس ، وحضر طلعة والزبير ،
لا يشكان أن الأمر شورى ، قال الأشر : انتظرون أحداً اقم باطلعة فبايع ، فتعاس ،
قال : قم باين الصمبة - وسل سيفه - فقام طلعة بجر رجله ؛ حتى بايع ، فقال قاتل : أول
من بايعه أشل لا يثم أمره ، ثم لا يثم ، قال : قم يا زبير ، والله لا ينزع أحد إلا وضربت
قرطه بهذا السيف ، فقام الزبير فبايع ؛ ثم انثال الناس عليه فبايعوا .

وقيل : أول من بايعه الأشر ، ألقى خبيصة كانت عليه ، واخرط سيفه ، وجذب يد
على عليه السلام فبايعه وقال للزبير وطلعة : قوما فبايعا ؛ وإلا كننا الليلة عند عمران ، فقاما
يمثران في نيايهما لا يرجوان نجاة ، حتى صفا فبايديهما على يده ، ثم قام بهما البصريون ؛

وأولم عبد الرحمن بن عديس البليوي ، فبايعوا ، وقال له عبد الرحمن :

خُذْهَا إِلَيْكَ وَأَعْلَنْ أبا حَسَنٍ أَنَّا نُيَرُ الْأَمْرَ لِإِمْرَارِ الرَّسَنِ

وقد ذكرنا نحن في شرح الفصل^(١) الذي فيه أن الزبير أقر بالبيعة ، وادعى الوليعة

أن بيعة أمير المؤمنين لم تقع إلا عن رضا جميع أهل المدينة ، أولم طلحة والزبير ، وذكرنا

في ذلك ما يبطل رواية الزبير .

وذكر أبو مخنف في كتاب " الجمل " أن الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد رسول الله

صلى الله عليه وآله ، لينظروا من يوتونه أمرهم ، حتى غص المسجد بأهله ، فاتفق رأي عمار

وأبي الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن مجلان وأبي أيوب خالد بن يزيد على

إقصاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة ، وكان أشدّهم تهالكا عليه عمار ، فقال لهم :

أيها الأنصار ، قد سار فيكم عثمان بالأسس بما رأيتموه ، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله

إن لم تنظروا لأنفسكم ، وإن عليا أولى الناس بهذا الأمر ، لفضله وسابقته ، فقالوا : رضينا

به حينئذ ، وقالوا بأجمعهم لبقية الناس من الأنصار والمهاجرين : أيها الناس ، إنا لن نألوكم

خيرا وأنفسنا إن شاء الله ، وإن عليا من قد علمتم ، وما نعرف مكان أحد أئتمل لهذا الأمر

منه ، ولا أولى به . فقال الناس بأجمعهم : قد رضينا ، وهو عندنا ما ذكرتم وأفضل .

وقاموا كلهم ، فأتوا عليا عليه السلام ، فاستخرجوه من داره ، وسألوه بسط يده ، فقبضها

فتدأ كوا عليه تداءك الإبل الهيم على وردها ، حتى كاد بعضهم يقتل بعضا ؛ فلما رأى منهم

ما رأى ، سالم أن تكون بيعة في المسجد ظاهرة للناس . وقال : إن كرهنى رجل واحد

من الناس لم أدخل في هذا الأمر .

فهض الناس معه حتى دخل المسجد ، فكان أول من بايعه طلحة . فقال قبيصة بن

ذؤيب الأسدي : تخوفت ألا يتم له أمره ، لأن أول يد بايعته شلاء ، ثم بايعه الزبير ،

(١) الجزء الأول ص ٢٣٠ ، الوليعة : الأمر بسر وبكتم .

وبابيه للهدون بالمدينة إلا محمد بن مسلمة ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، وسعد ابن أبي وقاص ، وكعب بن مالك وحسان بن ثابت ، وعبد الله بن سلام .

فأمر بإحضار عبد الله بن عمر ، فقال له : بايع ، قال : لا أبايع حتى يسألني جميع الناس ، فقال له عليه السلام : فأعطني تحيلاً ألا تبرح ، قال : ولا أعطيك تحيلاً ، فقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ! إن هذا قد آمن سوطك وسيفك ، فدعني أضرب عنقه ، فقال : لست أريد ذلك منه على كره ، خلوا سبيله ، فلما انصرف قال أمير المؤمنين : لقد كان صغيراً وهو سيء الخلق ، وهو في كبره أسوأ خلقاً .

ثم أتى بسعد بن أبي وقاص ، فقال له بايع ، فقال : يا أبا الحسن خلني ، فإذا لم يبق غيري بايعتكم ، فوافقه لا يأتيتك من قبلي أمر بذكره أبداً ، فقال : صدق ، خلوا سبيله . ثم بعث إلى محمد بن مسلمة ، فلما أتاه قال له : بايع ، قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني إذا اختلف الناس وصاروا هكذا - وشبهك بين أصحابه - أن أخرج بسيفي فأضرب به عرض أحد فإذا تقطع أتيت منزلي ، فكنت فيه لا أبرحه حتى تأتيني يد خاطية ، أو متية قاضية . فقال له عليه السلام : فانطلق إذا ، فكن كما أمرت به .

ثم بعث إلى أسامة بن زيد ، فلما جاء قال له : بايع ، فقال : إني مولاك ولا خلاف مني عليك ، وستأيتك يمتي إذا سكن الناس . فأمره بالانصراف ، ولم يبعث إلى أحد غيره .

وقيل له : ألا تبعث إلى حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن سلام ؟ فقال : لا حاجة لنا فيمن لا حاجة له فينا .

فلما أحضروا فإنيهم يذكرون في كتبهم أن هؤلاء الرعط إنما اعتذروا بما اعتذروا به .

لما ندبهم إلى الشغوص معه لحرب أصحاب الجمل ، وأهم لم يتخلفوا عن البيعة ، وإنما تخلفوا عن الحرب .

وروى شيخنا أبو الحسين رحمه الله تعالى في كتاب " الفرر " أنهم لما اعتذروا إليه بهذه الأعذار ، قال لهم : ما كل مفتون بماتب ، أعندكم شك في يميني ؟ قالوا : لا ، قال : فإذا بايعتم فقد قاتلتم . وأغصام من حضور الحرب .

فإن قيل : رويت أنه قال : إن كرهني رجل واحد من الناس لم أدخل في هذا الأمر ، ثم رويت أن جماعة من أعيان المسلمين كرهوا ولم يقف مع كراهتهم .

قيل : إنما مراده عليه السلام أنه متى وقع الاختلاف قبل البيعة نفضت يدي عن الأمر ولم أدخل فيه ، فأما إذا بويع ثم خالف ناس بعد البيعة ، فلا يجوز له أن يرجع عن الأمر ويتركه ؛ لأن الإمامة تثبت بالبيعة ، وإذا ثبتت لم يجوز له تركها .

وروى أبو مخنف عن ابن عباس ، قال : لما دخل علي عليه السلام المسجد ، وجاء الناس ليبايعوه خفت أن يتكلم ببعض أهل الشأن علي عليه السلام عن قتل أبيه أو إحياءه ، أو إذا قرا به في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبزعده علي في الأمر ويتركه ، فكنت أرسد ذلك وأتخوفه ، فلم يكلم أحد حتى بايعه الناس كلهم راضين مسلمين غير مكرهين .

• • •

لما بايع الناس عليا عليه السلام ، وتخلف عبد الله بن عمر ، وكلمه علي عليه السلام في البيعة فامتنع عليه ، أنه في اليوم الثاني ، فقال : إني لك ناصح ، إن بيعتك لم يرض بها كلهم ، فلو نظرت في دينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين ، فقال علي عليه السلام : وبعك ! وهل ما كان عن طلب مني ؟ ألم يهلك صديقهم ؟ ثم عني يا أحمق ، ما أنت وهذا الكلام !

فلما خرج أتى عليا في اليوم الثالث آتٍ ، فقال : إن ابن عمر قد خرج إلى مكة يفسد
الناس عليك ، فأمر بالبحث في أثره ، فجاءت أم كلثوم ابنته ، فسألته وضربت إليه فيه ،
وقالت : يا أمير المؤمنين ، إنما خرج إلى مكة ليقيم بها ، وإنه ليس بصاحب سلطان ولا هو
من رجال هذا الشأن ، وعلبت إليه أن يقبل شفاعتها في أمره ؛ لأنه ابنُ بعلها . فأجابها
وكفَّ عن البعثة إليه ، وقال : دعوه وما أرادوه .

(٥٤)

ومن كلام له عليه السلام وقد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين .

الأبطل :

أَمَا قَوْلُكُمْ : « أَكُلْ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ ! هُوَ اللَّهُ مَا أَبَا لِي ؛ دَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ
أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ . وَأَمَا قَوْلُكُمْ شَكَا فِي أَهْلِ الشَّامِ أَقْوَاهُ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ
يَوْمًا إِلَّا وَأَمَّا الْمَطْعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي ، وَتَعُشُوا إِلَيَّ ضَوْئِي ، فَهُوَ
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالَتِي ؛ وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِأَثَامِهَا .

الشيخ :

من رواه : « أَكُلْ ذَلِكَ » بالنصب فمفعول فعل مقدر ، أى تفعل كل ذلك ، وكراهية
منصوب لأنه مفعول له ومن رواه « أَكُلْ ذَلِكَ » بالرفع أجاز في « كراهية » الرفع والنصب ،
أما الرفع فإنه يحمل « كل » مبتدأ ، وكراهية خبره ؛ وأما النصب فيجعلها مفعولاً له كما قلنا
في الرواية الأولى ، ويجعل خبر المبتدأ محذوف ، وتقديره : أَكُلْ هَذَا مَفْعُولٌ أَوْ تَفْعَلُهُ كَرَاهِيَةً
لِلْمَوْتِ ! ثُمَّ أَقْسَمَ أَنَّهُ لَا يَبَالِي أَنْ يَرْضَى هُوَ لِلْمَوْتِ حَقَّ يَمُوتَ ، أَمْ جَاءَ الْمَوْتُ ابْتِدَاءً مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَجْمَعَ رَضَى لَهُ .

وعشاً إلى النار يَعْشُو : استدل عليها ببصر ضيف ، قال :

مَتَى تَأْتِيهِ تَعْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرَ مَوْقِدٍ^(١)

وهذا الكلام استعارة ، شبه من عساه يلحق به من أهل الشام بمن يمشو ليلاً إلى النار ؛ وذلك لأن بصائر أهل الشام ضعيفة ؛ فهم من الاهتداء بهداه عليه السلام كمن يمشو ببصر ضعيف إلى النار في الليل ، قال : ذلك أنصب إلى من أن أقتلهم على ضلالمهم ، وإن كنت لو قتلهم على هذه الحالة لباء واثماً ثامهم ، أي رجعوا ، قال سبحانه : ﴿ إِنْ أَرِيدُ أَنْ تَبْؤُوا يَإَيُّنِي وَإِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) أي ترجع .

• • •

[من أخبار يوم صفين]

لما ملك أمير المؤمنين عليه السلام الماء بصفين ثم سمح لأهل الشام بالمشاركة فيه والساحة ، وجاء أن يسطفوا إليه ، واسمالة قلوبهم وإظهارا للمدلة وحسن الدرة فيهم ، مكث أياماً لا يرسل إلى معاوية ، ولا يأتيه من عند معاوية أحد ، واستبطن أهل العراق إذ به لهم في القتال ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، خلّفنا ذراريّاً ونساء ما بالكوفة ، وجئنا إلى أطراف الشام لننخذها وطناً ، اتدّن لنا في القتال ، فإنّ الناس قد قالوا : قال لهم عليه السلام : ما قالوا ؟ فقال منهم قائل : إنّ الناس يظنون أنّك تكره الحرب كراهية الموت ، وإن من الناس من يظن أنّك في شك من قتال أهل الشام . فقال عليه السلام : ومتى كنت كارهاً للحرب قط ؟ إنّ من المعجب حقّي لها غلاماً وبقعاً ، وكراهيتي لها شيوخاً بعد نفاذ العمر وقرب الوقت ! وأما شكّي في القوم فلو شككت فيهم لشككت في أهل البصرة ، والله لقد ضرت هذا الأمر ظهراً ووطناً ، فما وجدت بسعني إلا القتال أو أن أعصى الله ورسوله ، ولكي أستأني بالقوم ، عسى أن يهتدوا أو تهتدي منهم طائفة ، فإن

رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي يوم خيبر: لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس .

• • •

قال نصر بن مزاحم: حدثنا^(١) محمد بن عبيد الله عن الجرجاني، قال: فبعث علي عليه السلام إلى معاوية بشير بن عمرو بن رخصن الأنصاري، وسعيد بن قيس الحمدايني وشبث ابن الرثبي التميمي، فقال: اتوا هذا الرجل، فادعوه [إلى الله عز وجل]، و^(٢) إلى الطلعة والجماعة، وإلى اتباع أمر الله سبحانه. فقال له شبث: يا أمير المؤمنين، ألا نطعمه في سلطان توليه إياه، ومنزلة يكون له بها أثره عندك إن هو بايعك؟ فقال: اتوا الآن والقوه واجتمعوا عليه، وانظروا مآرأه في هذا^(٣).

فأتوه فدخلوا عليه، فغيد أبو لهزم بن عيسى الله وأثنى عليه، وقال: أما بعد يا معاوية فإن الدنيا عندك زائلة، وإليك راجع إلى الآخرة، وإن الله يحاربك بمليك ومحاسبك بما قدمت يداك، وإثنى أشدك الله ألا تفرق جماعة هذه الأمة، وألا تسفك دماها بينها. فقطع معاوية عليه السلام وقال: فهلا أوصيت صاحبك؟ فقال: سبحان الله! إن صاحبي لا يموت، إن صاحبي ليس منك، صاحبي أحق للناس بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والتقرب إلى الرسول. قال معاوية: فتنقول ماذا؟ قال: أَدْعُوكَ إِلَى تَقْوَى رَبِّكَ، وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق، فإنه أسلم لك في دينك، وخير لك في طاعة أمرك. قال: وبطل دم عثمان إلا والرحمن لا أفعل ذلك أبداً.

(١) سنن ٢٠٩ وما بعدهما

(٢) بكاء من سنن .

(٣) سنن : « وانظروا مآرأه - وهذا في شهر ربيع الآخر - فأتوه » .

فذهب سعيد بن قيس بتكلم ، فبدره شَبَث بن الرَبِيع ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال :
 يا معاوية ، قد فهمتُ ما رَدَدْتَ علي ابنِ مَحْضَن ؛ إنه لا يَخْفَى علينا ما تَقْرَ وما تَطْلُب ،
 إنك لا تَجِدُ شيئاً تستغوي به الناس ، ولا شيئاً تستميل به أهواءهم ؛ وتستخلص به طاعتهم
 إلا أن قُلْتَ لهم : قُتِلَ إمامُكم مظلوماً ، فهلثوا نطلب بدمه ؛ فاستجاب لك سفهاء طُفَّام
 رُدَّال ، وقد علمنا أنك أبطأت عنه بالنصر ، وأحببت له القتل ؛ لهذه المنزلة التي تطلب ؛
 وربّ مبيعٍ أُمراً ، وطالبٍ^(١) له يحول الله دونه ، ورثما أوتي المُنْعَى أمنيته ، وربّ عالمٍ يؤتيا ،
 ووالله مَالِكٌ في واحدةٍ منهما خير ؛ والله لئن أخطأك ما ترجو إليك كشرُ العرب حالاً ، ولئن
 أصبت ما تشناه لا نصيبه حتى نستحقَّ صلي النار ؛ فاتق الله يا معاوية ، ودع ما أنت عليه ،
 ولا تفازع الأمر أهله .

فحيد معاوية الله وأثنى عليه ، وقال :
 أما بعد فإن أولَ ما عرفتُ به سفكٌ وخفّةٌ حديدك قطعك على هذا الحبيب
 الشريف سيّد قومه منطلقه . ثم عبتَ ببدءٍ فيما لا علم لك به ، ولقد كذبت ولوئمت^(٢)
 أيها الأعرابي الجلف الجاني في كل ما وصفت [وذكرت]^(٣) . انصرفوا من عندي
 فإنه ليس بيني وبينكم إلا السيف .

وغضب . فخرج القوم وشبث يقول : أعلينا نُهرل بالسيف أما والله انزعجته إليك ،
 [فأتوا عليا عليه السلام ، فأخبروه بالقدى كان من قوله ، وذلك في شهر ربيع الآخر]^(٤) .
 قال نصر : وخرَجَ قراء أهلِ المِراق ، وقراء أهل الشام فمكروا ناحية صفين
 ثلاثين ألفاً .

(١) صفي : د وطالبه .

(٢) صفي : د ولويت .

(٣) إمثلة من صفي .

قال : وحسب علي عليه السلام على الماء ، وحسب معاوية فوقه على الماء أيضا ، ومشت القراء فيما بين علي عليه السلام ومعاوية ، منهم عبيدة السلماني ، وعلقمة بن قيس النخعي ، وعبد الله بن عتبة ، وطامر بن عبد القيس - وقد كان في بعض تلك السواحل - فانصرف إلى عسكر علي عليه السلام ؛ فدخلوا على معاوية فقالوا : يا معاوية ، ما الذي نطلب ؟ قال : أطلب بدم عثمان ، قالوا : ممن نطلب بدم عثمان ؟ قال : أطلبه من علي ، قالوا : وعلي قتله ؟ قال : نعم هو قتله ، وآوى قتلته ، فانصرفوا من عنده فدخلوا على علي عليه السلام ، فقالوا : إن معاوية يزعم أنك قتلت عثمان ، قال : اللهم لكذب فيما قال ، لم أقتله . فرجموا إلى معاوية فأخبروه ، فقال لهم : إنه إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالاً ، فرجموا إلى علي فقالوا : إن معاوية يزعم أنك إن لم تكن قتلت بيده ، فقد أمرت ومالاً علي قتل عثمان ، فقال : اللهم لكذب فيما قال فرجموا إلى معاوية ، فقالوا : إن عليا يزعم أنه لم يفعل ، فقال معاوية : إن كان صادقاً فليؤدنا^(١) من قتله عثمان ، فإنهم في عسكره وجنده وأصحابه وحصنه . فرجموا إلى علي عليه السلام ، فقالوا : إن معاوية يقول لك : إن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلة عثمان أو مكناً سهم ، فقال لهم : إن القوم تأولوا عليه القرآن ، ووقعت الفرقة ، فقتلوه في سلطانه ، وليس على ضربهم قود ؛ تفصم^(٢) علي معاوية .

• • •

- قلت : على ضربهم هاهنا ، على مثلهم ؛ يقال : زيدٌ ضرب عمرو ومن ضربه ، أي مثله ومن مثله ، ولا أدري لم عدل عليه السلام عن الحاجة بما هو أوضح من هذا الكلام ؛ وهو أن يقول : إن الذين باثروا قتله بأيديهم كانوا اثنين وهما قتيبة بن وهب ولؤدان . ابن محران ، وكلاهما قُتل يوم الدار ، قتلها عبيد عثمان ، والباقيون الذين هم جندي وعصدي

كما تزعمون ، لم يقتلوا بأيديهم ؛ وإنما أغرؤا به ، وحصلوه وأجلبوا عليه ، وهججوا على داره ، كعبد بن أبي بكر والأشتر وعمرو بن الحلق وغيرهم ؛ وليس على مثل هؤلاء قود . قال نصر : فقال لم معاوية : إن كان الأمر كما تزعمون ؛ فلم ابتز الأمر^(١) دوننا على غير مشورة منا ولا ممن هاهنا معنا ؟ فقل على عليه السلام : إن الناس تبع للهاجرين والأنصار ، وهم شهود للمسلمين في البلاد على ولايتهم وأمرائهم دينهم ، فرضوا بي وبأيمنوني ، ولست أستعمل أن أدم ضرب^(٢) معاوية يحكم بيده على الأمة ويركبهم ويشق عصامهم . فرجموا إلى معاوية فأخبروه بذلك ، فقال : ليس كما يقول ، فإلّا من هاهنا من المهاجرين والأنصار لم يدخلوا في هذا الأمر ويؤامروا فيه^(٣) .

فانصرفوا إلى على عليه السلام ، فأخبروه بقوله ، فقال : ويحكم هذا للبشريين دون الصعابة ، ليس في الأرض بدري إلا وقد باينى وهو مى ، أو قد قام ورعى ، فلا يترتكم معاوية من أنفسكم ودينكم .

قال نصر : فتراسلوا بذلك ثلاثة أشهر : ربيع الآخر ، وجاديين ؛ وم مع ذلك يفرعون الفرعة فيما بينهما ، فيزحف بعضهم إلى بعض ، وتحجز القراء بينهم . قال : فزعموا في ثلاثة أشهر خمسا وثمانين فرعة ؛ كل فرعة يزحف بعضهم إلى بعض ، وتحجز القراء بينهم لا يكون بينهم قتال .

قال نصر : وخرج أبو أمامة الباهلي وأبو الهرداء ، فدخلا على معاوية - وكانا معه - فقالا : يا معاوية ، علام تقاتل هذا الرجل ؟ فوالله لو أقدم منك إسلاما^(٤) ، وأحق بهذا

(١) صفين : « قاله ابتز الأمر دوننا » .

(٢) ضرب معاوية : شبيهه .

(٣) اللؤامة : المشاورة ، وفي صفين : « يؤامروهم » .

(٤) صفين : « سلما » ، وما يبنى .

الأمر ؛ وأقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله ، فعلام قتاله ؟ فقال : أقاتله على دَمِ حَبان ، وأنه آوى قتلته ، فقولوا له : فليُقَدِّنا مِن قتلته وأنا أول من يابسه من أهل الشام .

فانطلقوا إلى علي عليه السلام فأخبروه بقول معاوية ، فقال : إنما يطلب الذين تَرَوْنَ ، فخرج عشرون ألفاً أو أكثر متسربين الحديد ؛ لا يرى منهم إلا الخدق ، فقالوا : كُنَّا نَحْتِمْ ؛ فإن شاءوا قَتَلُوا وموا ذلك منا . فرجع أبو أمامة وأبو الدرداء فلم يشهدا شيئاً من القتال .

قال نصر : حتى إذا كان رجب ، وحشي معاوية أن يتابع القرءاء علياً عليه السلام ، أخذ في المسكر ، وأخذ يحمال للقرءاء لسكباً يُحْصَمُوا ويكفُّوا حتى ينظروا .

قال : فكتب في سهم : مِن عبد الله الناصح ؛ إلى أحركم أن معاوية يريد أن يُفَعِّرَ عليكم القرأت فيعزقكم ، فحنوا حرككم . ثم ركب السهم في عسكر علي عليه السلام ، فوقع السهم في يد رجل قرءاء ثم أقرء صاحبه ، فلما قرء قرأته الناس وأقرء من أقبل وأدبر ، قالوا : هذا أخ لنا ناصح ؛ كتب إليكم بخبركم بما أراد معاوية ؛ فلم يزل السهم يُقرأ ويرتفع حتى رُفِعَ إلى علي عليه السلام ؛ وقد بعث معاوية مائتي رجل من العَمَلَةِ إلى عاقول^(١) من النهر ، بأيديهم المروور والزَبَل^(٢) يحفرون فيها بحمال عسكر علي عليه السلام . فقال علي عليه السلام : ويحكم ! إن الذي يمالج معاوية لا يستقيم له ، ولا يقوى عليه ؛ إنما يريد أن يُزِيلَكم عن مكانكم ؛ فأنهوا عن ذلك ، فقالوا له : لا ندعهم والله يحفرون ، فقال علي عليه السلام : لا تكونوا ضَعْفَى ، ويحكم ! لا تملبوني على رأيي . فقالوا : والله لنرتحلن ، فإن شئت فارتحل ، وإن شئت فاقم ؛ فارتحلوا وصعدوا بعسكرهم ملياً ، وارتحل علي عليه السلام في أخريات الناس ، وهو يقول :

(١) عاقول النهر : ماعوج منه

(٢) المروور : جمع مر ؛ وهو المسطحة . والربمل : جمع زبل وهو القفة .

قَلَوُا أَنِي أُطِغْتُ مَعَمْتُ قَوْمِي إِلَى رُكْنِ الْبَيْمَامَةِ أَوْ شَمَامِ (١)
وَلَكِنِّي مَسَّتْني أُبْرَمْتُ أَمْرًا مُنِيتُ مَخْلَفَ آرَاءِ الطَّغَامِ

قال : وارثهم معاوية حتى نزل معسكر علي عليه السلام الذي كان فيه ، فدعا علي عليه السلام الأشتر ، فقال : ألم تملني على رأيي (٢) أنت والأشعث ا فدونكما . فقال الأشعث : أنا أكفيك يا أمير المؤمنين ، سأداوي ما أفسدت اليوم من ذلك ، فجمع كئندة فقال لهم : يا معشر كئندة ، لا تفضحوني اليوم ولا تخبروني ؛ فإنني إنما أقارع بكم أهل الشام ، نخرجوا مع رجالة يمشون ، ويبيده رمح اله بلقيه على الأرض ، ويقول : امشوا قيد رجلي هذا ، فيمشون ، فلم يزل يقيس لهم الأرض برمحهم ، ويمشون معه رجالة حتى لقي معاوية وسط بني سليم واقفا على الماء ، وقد جاءه أداني عسكره ، فانسلوا فقالا شديدا على الماء ساعة وانتهى أوائل أهل العراق فزلوا ، وأقبل الأشتر في خيل من أهل العراق ، فحمل على معاوية ، والأشعث يحارب في ناحية أخرى ؛ فاحراز معاوية في بني سليم ، فرد وجهه إليه فقدر ثلاثة فراعص ، ثم نزل ووضع أهل الشام ألقاهم ، والأشعث يهدير ويقول : أرضيتك يا أمير المؤمنين ! ثم تمثل بقول طرفة بن العبد :

ففسدنا لبني سمسد قَلَى ما أصاب الناس من خَيْرٍ وَشَرٍّ (٣)
ما أقلتُ قدامي إناهم نيم الساعون في الكلى الشطر (٤)
وَأَقْسَدُ كُنْتُ عَلَيْكُمْ عَانِبًا فَعَقَبْتُمْ بِذَنُوبٍ غَيْرِ مُرَّةٍ (٥)

(١) صفين : « عصمت قومي » ، وشمام : جبل لبامة .

(٢) صفين : « على رأيي » ، والرأي والرأي بمعنى .

(٣) ديوانه ٧٢ وروايته : « لبني قيس ... من سر وصر » .

(٤) الشطر : جمع شطير ؛ وهو الغريب العبد .

(٥) عانبا : واحدا ، وعقبتم ، أي حذتم عقب ذلك . ومر : هبس حلو ؛ قال شارح الديوان : « أي

عقبتم عني عليكم بغطاء حلو » .

كنت فيكم كالمنظر رأته فاعمل اليوم فيناعي وخُرْ^(١)
ساذراً أحسب عني رَشْداً فتاهيت وقد صابت بِقُرْ^(٢)

وقال الأشتر : يا أمير المؤمنين ! قد غلب الله لك على الماء، فقال علي عليه السلام : أنما
كما قال الشاعر :

تلاقيهن قِيّاً وأشياعهُ فيؤقد لِحَرْب نارا فتأارا
أخو الحرب إن لقيت بارِلاً تما للعلا وأجل الخطارا^(٣)

قال نصر : فكان كل واحد من علي ومعاوية يُخرج الرجل الشريف في جماعة ،
فيقاتل مثله ؛ وكانوا يكرهون أن يتزاحفوا بجميع الفتيان مخافة الاستتصال والمهلاك ، فاقبل
الناسُ ذا الحجة كله ، فلما انقضى حُدُودُنا إلى أن يكفّ بعضهم عن بعض إلى أن
يتقضى الحرم ؛ لعل الله أن يُجرى صلحا أو جماعا ، فكف الناس في الحرم بعضهم
عن بعض .

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، عن أبي الجاهد عن الحل بن خليفة ، قال ^(٤) : لما
توادعوا في الحرم ، اختلفت الرسل فيما بين الرجلين رجاء المصلح ، فأرسل علي عليه
السلام إلى معاوية عدى بن حاتم الطائي وشبث بن ريم التميمي ويزيد بن قيس ورياد
ابن خصفة ، فلما دخلوا عليه ، حمد الله تعالى عدى بن حاتم الطائي وأثنى عليه ،
ثم قال :

أما بعد ، فإننا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله فيه كلمتنا وأمتنا ، ويخفين به دماء

(١) للمنظر : اسم فاعل من المنظرية . واعمل : اسكنم . وعمر : جمع حمار .
(٢) الساذر : الذي لا يتم ولا يزال مامع . وتاهيت ، أي انتهيت من سعي .
(٢) البعير البازل : الذي طس في الناحية ، والخطار : الخطورة .
(٤) صفين ٢٢١ ، تاريخ الطبري ٥ : ٥ .

للسلمين . ندعوك إلى أفضل الناس سابقه ، وأحسنهم في الإحلام آثارا ؛ وقد اجتمع إليه ^(١) الناس ، وقد أرشدهم الله بالهدى رأوا وآتوا ، فلم يبق أحدٌ غيرك وغير من معك ؛ فانت يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل .

فقال له معاوية : كأنك إنما جئت مُهَذَا ، ولم تأت مصلحا أهيات يا عدو ! إني لأبى حرب ! ما يُقَفِّعُ لى بالشُّنَانِ ^(٢) . أما والله إنك من الجلبين على عثمان ، وإنك لمن قتلته ؛ وإني لأرجو أن تكون ممن يقتله الله .

فقال له شُبَيْثُ بْنُ رَبِيعٍ وَزِيَادُ بْنُ حَصَفَةَ ، وتنازعا كلاما واحدا : أتيناك فيما يصلحنا وإياك ، فأقبلتَ تضرب لنا الأمثال ؛ دع ما لا ينفع من القول والعمل ؛ وأجِبْنَا فيما يعمتنا وإياك نفعه .

وتكلم يزيد بن قيس الأرحبي ، فقال : إنا لم نأتك إلا لنبشرك ما بعثنا به إليك ، ولنبؤدِّي عنك ما سمعنا منك ؛ ولم ندع أن نصنع لك ، وأن نذكر ما ظننا أن لنا عليك به حجة ، أو أنه راجع بك إلى الألفة والجماعة إن صاحبنا من قد عرفتَ وعرف للسلون فضله ، ولا أظنه يحق عليك ؛ إن أهل الدين والفصل لا يبدلونك بعل ، ولا يميلون ^(٣) بينك وبينه ، فأتق الله يا معاوية ولا تخالف عليا ؛ فإنا والله ما رأينا رجلا قط أهل بالتقوى ، ولا أزهد في الدنيا ، ولا أجمع لخصال الخير كلها منه .

فخبر الله معاوية وأثنى عليه ؛ وقال : أما بعد ، فإنكم دعوتهم إلى الجماعة والطاعة ؛ فأما الجماعة التي دعوتهم إليها ففيمما هي ؛ وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها ؛ إن صاحبكم قتل خليفةنا ، وفرق جماعةنا ، وآوى ثأرنا وقتلنا ؛ وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله ؛ فمن

(١) صفي : « أحسنهم في الناس » . الطبري : « استجمع له الناس » .

(٢) الشنان : جمع شن ؛ وهو الفرقة المخلق ؛ كانوا يجركونها للابل إذا أرادوا حشها على السير ؛ والكلام على التخييل .

(٣) التمثيل : الترجيح بين العيدين .

لا نرد ذلك عليه أرايتم قتلةً صاحبنا ! ألسن تعلمون أنهم أصحابُ صاحبكم ؛ فليدفعهم إلينا فلنقتلهم به ؛ ونحن نجيبكم إلى الطاعة والجماعة .

فقال له شُبَّ بن رِبْعَى : أيسرك بالله يا معاوية أن أمكنك من عمار بن ياسر فقتلته ! قال : وما يمنعني من ذلك ! والله لو أمكنني صاحبكم من ابن سُمَيَّة ما قتلته بيمان ؛ ولكني كنت أقتله ببائل مولى عثمان !

فقال شُبَّ : والله السماء ما عدلتَ معدلاً ، ولا والدي لا إله إلا هو ؛ لا تصل إلى قتل ابن ياسر حتى تُنذَرَ الهامُ من كواهل الرجال ، وتضيق الأرضُ الفضاء عليك برُحْبها .

فقال معاوية : إياه إذا كان ذلك كانت عليك أضيق .

ثم رجع القوم عن معاوية ، فمَشَّ إلى زياد بن خَصَفَة من بينهم ، فأدخل عليه ، فهدى معاوية الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد يا أخا ريعة ، فإن عليا قطع أرحامنا ، وقتل إمامنا ، وآوى قتلَةَ صاحبنا ، وإلى أملاك القنصرة بأسرتك وعشيرتك ، ولك على عهد الله وميثاقه إذا ظهرت أن أولئك أي للعصرين أحببت .

قال أبو المهاجد : فسمعت زياد بن خَصَفَة يحدث بهذا الحديث .

قال : فلما قضى معاوية كلامه ، تحدث الله وأثنت عليه ، ثم قلت : أما بعد ، فإنني أعملُ بينة من ربي وعما أنتم على ، فلن أكون ظهيرا للمجرمين ، ثم قمت .

فقال معاوية لعمر بن العاص - وكان إلى جانبه - : ما لهم غضبهم ^(١) الله ! ما قلبهم إلا قلب رجل واحد !



قال نصر : وحدثنا سليمان بن أبي راشد ، عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكنود ،

(١) الغضب : الغضب ؛ وهو دماء عند العرب .

قال^(١) : بعث معاوية حبيب بن مسلمة الفهري إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبعث معه شريحيل بن السط وممن بن يزيد بن الأخنس السلمي ، فدخلوا على علي عليه السلام فتكلم حبيب بن مسلمة ، غيّد الله وأثنى عليه ، وقال :

أما بعد فإن عثمان بن عفان كان خليفة مهادياً ، يعمل بكتاب الله ويؤيب إلى أمر الله ، فاستنقلم حياته ، واستبطأتم وفاته . فعدوتم عليه فقتلتموه ؛ فادفع إليها قتلة عثمان فقتلهم به ؛ فإن قلت : إنك لم تقتله ، فاعزل أمر الناس ، فيكون أمرهم هذا شوري بينهم ، يولي الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم .

فقال له علي : وما أنت لا أم لك والولاية والعزل والدخول في هذا الأمر ! اسكت فإنك است هناك ، ولا بأهل لذلك ! فقام حبيب بن مسلمة وقال : أما والله لتريني حيث تسكره . فقال له عليه السلام : وما أنت ؟ ولو أجلبت بمهلك ورجلك . اذهب فموتوب وصمد ما بدالك ، فلا أجي الله عليك إن أبقيت !

فقال شريحيل بن السط : إن كلمتك ، فسمري ما كلامي لك إلا نحو كلام صاحبي ، فهالني عندك جواب غير الجواب الذي أحبته به ؟^(٢) فقال : نعم ، قال : فقله^(٣) ؛ فحمد الله علي عليه السلام ، وأثنى عليه ، ثم قال :

أما بعد ؛ فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه فأنقذ به من الضلالة ، ونعش^(٤) به من الهلكة ، وجمع به بعد الفرقة ، ثم قبضه الله إليه ؛ وقد أدى ما عليه ؛ فاستخلف الناس أبا بكر ، ثم استخلف أبو بكر عمر ؛ فأحسن السيرة ، وعدل في الأمة ؛ ووجدنا

(١) وقعة مدين ٢٧٥ ، وتاريخ الطبري ٥ : ٧

(٢-٣) وقعة مدين : « فقال علي عليه السلام : عندي جواب غير الذي أحبته به ، لك ولصاحبك . »
وف الطبري : « نعم لك ولصاحبك جواب غير الذي أحبته به . »

(٣) الطبري : « وأثنى به من الهلكة . »

عليهما أن توليا الأمر دوننا ، وعن آل الرسول ، وأحق بالأمر ؛ فغفرنا ذلك لهما ، ثم ولي أمر الناس عثمان ، فعيل بأشياء طابها الناس عليه ، فسار إليه ناسٌ قتلوه ، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم ، فقالوا لي : بايع ، فأبيت عليهم ، فقالوا لي : بايع ، فإن الأمة لا ترضى إلا بك ، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفتريق الناس ؛ فبايعتهم فلم يرعنى إلا شقاق رجلين قد بايا^(١) ، وخلاف معاوية لإي الذي لم يجعل الله له سابقة في الدين ، ولا سلف صدق في الإسلام ، طليق ابن طليق ، وحزب من الأحزاب ؛ لم يزل قدورسوله والمسلمين عدوا هو وأبوه حتى دخل في الإسلام كارهين مكرهين ، فبا عجباً^(٢) لكم ، ولإجلابكم معه ، واتخاذكم له ؛ وتدمون آل بيت نبيكم الذين لا ينسئ لكم شقاقهم ولا خلافهم ؛ ولا تصدواهم أحدا من الناس ؛ إني أدعوك إلى كتاب ربكم وسنة نبيكم ، وإمانته الباطل ، وإحياء معالم الدين ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لنا ولكل مؤمن ومؤمنة ، وسلم ومسلمة .

قال له شر حيل ومقترن يزيد : أشهد أن عثمان قُتل مظلوماً ؟ فقال لهما : إني لأقول ذلك ؛ قال : فمن لم يشهد أن عثمان قُتل مظلوماً ، فنعن برأيه أم قاما فاصرفا . قال صل عليه السلام : (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْعُمْمُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُّوا مُذِيرِينَ • وَمَا أَنْتَ بِإِدَى الصُّبِيِّ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ نَسِمَ الْإِمْنُ يُؤْمِنُ بِأَيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)^(٣) .

ثم أقبل على أصحابه ، فقال : لا يَكُنْ هؤلاء في ضلالتهم بأولي بالجد منكم في حكم ومطاعة إمامكم . ثم مكث الناس متواذعين إلى اسلأخ الحرم ، فلما اسلأخ الحرم واستقبل الناس صغراً من سنة سبع وثلاثين ، بحث على عليه السلام نفرأ من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا

(١) صفي : « قد باياي »

(٢) صفي : « عجبت لكم » . وفي الطبري : « فلا عرو إلا خلاكم معه » .

(٣) سورة النمل ٨٠ ، ٨١ .

من معسكر معاوية بحيث يسمعونهم الصوت ، قام مرتد من الحارث الجشمي ، فعادى
عند غروب الشمس : يا أهل الشام إن أمير المؤمنين عليا وأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله يقولون لكم : إنا لم نكف عنكم شكاً في أمركم ؛ ولا إبقاء عليكم ؛
وإنما كففنا عنكم لخروج الهرم ، وقد انسحق ؛ وإنا قد نبذنا إليكم على سواء ، إن
الله لا يحب الظالمين .

قال : فتعاجز الناس وتاروا إلى أمراءهم .

• • •

قال نصر : فأما^(١) رواية عمرو بن شمر ، عن جابر ، عن أبي الزبير أن نداء مرتد من
الحارث الجشمي ، كانت صورته : يا أهل الشام ، ألا إن أمير المؤمنين يقول لكم : إني قد
استلمتكم واستأنيت بكم ، لتراجعوا الحق ، وتنبهوا إليه ، واحتجبت عليكم بكتاب
الله ، ودموتكم إليه ، فلم تتناهوا عن ظنن ، ولم تجميعوا إلى حق ، وإني قد نبذت إليكم
على سواء ، إن الله لا يحب الظالمين .

قال : فتار الناس إلى أمراءهم ورؤسائهم .

قال نصر : وخرج معاوية وعمرو بن العاص بكتبان الكتاب ، وبمهيان المصاكر ،
وأوقدوا النيران ، وجاءوا بالشروع ، ومات على عليه السلام تلك الليلة كلها ، يعني الناس ،
ويكتب الكتاب ، ويدور في الناس ويهرضهم .

■ ■ ■

قال نصر : حدثنا عمر بن سعد ، بإسناده عن عبد الله بن جعتب ، عن أبيه أن^(٢)
علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه ؛ فيقول :

(١) ص ٢٢٨ (٢) ورقة صفح ٢٢٩ وتاريخ الطري : ١٠ ، ١١

لا تقاتلوا القوم حتى يهدوكم ؛ فهي خُجعة أخرى لكم عليهم ؛ فإذا قاتلتموهم
فهزمتموهم فلا تقتلوا مُدبراً ، ولا تُجهرُوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تَمثلُوا
بقتيل ؛ فإذا وصلتم إلى رجال القوم فلا تَهتِكُوا سِتْرًا ، ولا تدخلُوا داراً إلا بإذن ؛
ولا تأخذُوا شيئاً من أموالهم إلا ما وجدتم في عسكرهم ، ولا تَهيجُوا امرأة ، وإن شئتم
أعراضكم ، وتناولنَ أمراءكم وصلحاءكم ؛ فإنهم صِداق القوي والأغنى والعقول ؛ ولقد
كُنَّا وإنا لنؤمر بالكف عنهم وعن مشركات ، وإن كان الرجلُ ليتناول المرأة في
الجاهلية بالمرأوة أو الحديد فيمير بها عقبه من بعده .



قال نصر : وحدثنا عمر بن سعد ، عن إسماعيل بن يزيد - يعني ابن أبي خالد - عن
أبي صادق ، أن علياً^(١) عليه السلام عرض النّاس في حروبه ، فقال :
عباد الله ، اتقوا الله وخضوا أبصاركم ، واخفضوا الأصوات ، وأقلوا الكلام ، ووطنوا
أنفسكم على المنارة والجماعة والبارزة والمعاينة ؛ واتبتوا : ﴿ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) ؛ ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ ﴾^(٣) . اللهم املهم للصبر ، وأزل عليهم النصر ، وأعظم لهم الأجر .



قال نصر : وكان^(٤) ترتيب عسكر علي عليه السلام ، بموجب مارواه لنا عمرو بن شعبر ،
عن جابر ، عن محمد بن علي ، وزيد بن حسن ، ومحمد بن عبد المطلب : أنه جعل علي
الخليل عتار بن لاسر ، وعلي الرجالة عبد الله بن بدّيل بن ورقاء الخزاعي ، ودفع اللواء

(١) وقفة ص ٢٣٠ .

(٢) سورة الأفعال آية ٤٥ .

(٣) سورة الأفعال آية ٦٤ .

(٤) وقفة ص ٢٣٩ .

إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهرى ، وحمل على اليمنة الأشعث بن قيس ، وعلى
 اليسرة عبد الله بن العباس ، وجعل على رجالة اليمنة سليمان بن حُرَد الخزاعي ، وعلى
 رجالة اليسرة الحارث بن مرة العبدي ، وجعل القلب مضر الكوفة والبصرة ، وجعل
 على ميمنة القلب اليمن وعلى ميسرته ربيعة ، وعقد ألوية القبائل ، فأعطاهما قوماً منهم
 بأعيانهم ، وجعلهم رؤساءهم وأمرأهم ، وجعل على قريش وأسد وكنانة عبد الله بن عباس ،
 وعلى كندة حُجر بن عدى السكندى ، وعلى بكر البصرة الحصين بن النضر الرقاشي ،
 وعلى تميم البصرة الأحنف بن قيس ، وعلى خُرَاعة عمرو بن الحقيق ، وعلى بكر الكوفة
 نعيم بن هبيرة ، وعلى مَند البصرة وريابها جارية بن قدامة السدي ، وعلى بجيلة رفاعة
 ابن شداد ، وعلى ذهل الكوفة رؤبنا الشيباني - أو يريد بن رويم - وعلى عمرو البصرة
 وحفظتها أعتن بن صبيمة ، وعلى قُصاعة وطى عدى بن حاتم الطائي ، وعلى لهازم
 الكوفة عبد الله بن حَجَل المجلي ، وعلى تميم الكوفة عُمير بن طارِد ، وعلى الأزد واليمن
 جُندب بن زهير ، وعلى ذهل البصرة خالد بن الممر السدوسي ، وعلى عمرو الكوفة
 وحفظتها شَبث بن ربيعة ، وعلى قُهدان سعيد بن قيس ، وعلى لهازم البصرة حُرَيْث
 ابن جابر الجهمي^(١) ، وعلى سعد الكوفة وريابها الطهميل أبا حُرَيْمة ، وعلى مَذحِج الأشتر
 ابن الحارث النخعي ، وعلى عبد القيس الكوفة مَخَصمة بن صُوحان ، وعلى عبد القيس
 البصرة عمرو بن حنظلة ، وعلى قيس الكوفة عبد الله بن الطفيل البَكائي ، [وعلى
 قريش البصرة الحارث بن نوفل الهاشمي]^(٢) وعلى قيس البصرة قبيصة بن شداد
 الملالي ، وعلى الملقف من القواصي القاسم بن حنظلة الجهمي .

وأما معاوية فاستعمل على الخليل هُبَيد الله بن همر بن الخطاب ، وعلى الرجالة مسلم
 ابن عقبة المرثي ، وجعل على اليمنة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وعلى اليسرة حبيب

(١) صفيان : « المي » .

(٢) من صبين .

ابن مسلمة القهري ، وأعلى الهراء عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وجعل على أهل دمشق - وهم القلب - الضعك بن قيس البهري ، وعلى أهل حمص - وهم المينة - ذا الكلاع الحيري ، وعلى أهل قيسرين - وهم في المينة أيضاً - زفر بن الحارث السكلابي ، وعلى أهل الأردن - وهم للبصرة - حفيان بن عمرو أبا الأهود الثقي ، وعلى أهل فلسطين - وهم في البصرة أيضاً - مسلمة بن محمد ، وعلى رجالة أهل دمشق نسر بن أبي أرطاة العامري بن لؤي بن غالب ، وعلى رجالة أهل حمص حوشبنا ذا ظلم ، وعلى رجالة قيس طريف بن حاس الألهاني ، وعلى رجالة الأردن عبد الرحمن بن قيس القيني ، وعلى رجالة أهل فلسطين الحارث بن خالد الأزدي ، وعلى رجالة قيس دمشق هام بن قبيصة ؛ وعلى قصاعة حمص وإيادها بلال بن أبي هيرة الأزدي ، [وحاتم بن المشمر الباهلي]^(١) ، وعلى رجالة المهمة حاسم بن سيد الطائي ، وعلى قصاعة دمشق حسان بن محمد الكلبي ، وعلى قصاعة عباد بن يزيد الكلبي ، وعلى كندة دمشق حسان بن حوى السككي ، وعلى كندة حمص يزيد بن هيرة السكوني ، وعلى سائر اليمن يزيد بن أسد البجلي ، وعلى حمير وحضرموت اليان بن غفير ، وعلى قضاعة الأردن حبش بن دجلة القيني ، وعلى كنانة فلسطين شريك الكناني ، وعلى مذحج الأردن الحارث بن الحارث الزبيدي ، وعلى جذام فلسطين وثلها ماتل بن قيس الجذامي ، وعلى تمذان الأردن حمزة بن مالك الحمداني ، وعلى الخثعم حبل بن عبد الله الخثعمي ، وعلى غسان الأردن يزيد بن الحارث ، وعلى جميع القواصي القطاع بن أبرة الكلامي ؛ أصيب في المبارزة أول يوم تراءت فيه الفئتان .

قال نصر : فأما رواية الشعبي التي رواها عنه إسماعيل بن أبي عميرة^(٢) ؛ فإن عليا

عليه السلام نث على ميمته عبد الله بن بدّيل بن ورقاء الخزاعي ، وعلى ميسرته عبد الله بن العباس ، وعلى خيل الكوفة الأشتر ، وعلى البصرة سهل بن حنيف ، وعلى رجال الكوفة عمار بن ياسر ، وعلى رجال أهل البصرة قيس بن سعد . كان قد أقبل من مصر إلى صقين - وحمل معه هاشم بن عتبة ، وجعل مسمود بن فذكي التميمي على قراء أهل البصرة ؛ وأما قراء أهل الكوفة فصاروا إلى عبد الله بن بدّيل ، وعمار بن ياسر .

• • •

قال نصر : وأما ^(١) ترتيب عكر الشام - فيما رواه لنا عمر بن سعد ، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر ، عن القاسم مولى يزيد بن معاوية - فإن معاوية نث على ميمته ذا الكلاع ، وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الكهري ، وعلى مقدمته من يوم أقبل من دمشق أبا الأهور السلمي ، وكان على خيل دمشق كلها عمرو بن العاص ، ومعه خيل أهل الشام بأسرها ، وجعل مسلم بن عتبة البرقي على رجاله دمشق ، والضحاك بن قيس على سائر الرجال بعد .

• • •

قال نصر : ^(٢) وتكابع رجال من أهل الشام على الموت وتحالفوا عليه وعقلوا أنفسهم بالعالم ، وكانوا صفوا خمسة [مقلين] ^(٣) ، كانوا يخرجون فيصطفون أحد عشر صفًا ، ويخرج أهل المراق فيصطفون أحد عشر صفًا أيضًا .

قال نصر : فخرجوا أول يوم من صفر من سنة سبع وثلاثين ، وهو يوم الأربعاء ، فاقبلوا ، وعلى من خرج يومئذ من أهل الكوفة الأشتر ، وعلى أهل الشام حبيب بن مسلمة

(١) صفين ٢٣٩ .

(٢) صفين ٢٣٩ .

(٣) من صفين .

فأقتلوا قتالا شديدا جُلَّ النهار ، ثم تراجعوا وقد انتصف بعضهم من بعض . ثم خرج في اليوم الثاني هاشم بن عتبة في خيل ورجال حسنٍ عددها وعدتها ؛ فخرج إليهم من أهل الشام أبو الأعور السلمي ، فأقتلوا يومهم ذلك ، فحمل الخيل على الخيل والرجال على الرجال . ثم انصرفوا وقد حتر القومُ بعضهم لبعض ؛ وخرج في اليوم الثالث عمار بن ياسر ، وخرج إليه عمرو بن العاص ؛ فاقبل الناس كأشدَّ قتال كان ، وجعل عمار يقول : يا أهل الشام ، أتريدون أن تنقلوا إلى من عادي الله ورسوله وحاهدهما ، ونسى على المسلمين ، وظاهر المشركين . فلما أراد الله أن يظهر دينه ، وينصر رسوله أنى إلى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم ، وهو والله فيما يرى راهبٌ غير راغب . ثم قبض الله رسوله ، وإنا والله لنعرفه بعداوة المسلم ؛ ومودة المحرم ؛ ألا وإنه معاوية ، قتالوه والمنوه ؛ فإنه ممن يطنُّ مور الله ، ويظهر أعداء الله .

قال : وكان مع عمار زياد بن النضر على الخيل ، فأمره أن يحمل في الخيل ، فحمل فصبروا^(١) له ، وشدَّ عمار في الرِّجالة ، فأزال عمرو بن العاص من مَوْقِفِهِ ؛ وبارز يومئذ زياد بن النضر أخاه^(٢) من بني عامر يعرف بمعاوية بن عمرو الثقيل ؛ وأمه هند الزبيدية ؛ فانصرف كل واحد منهما عن صاحبه بعد المبارزة سالما ، ورجع الناس يومهم ذلك ؛

• • •

قال نصر : وحدثني^(٣) أبو عبد الرحمن السمودي قال : حدثني يونس بن الأرقم ؛ فحدثني عن شيوخ بكر بن وائل ؛ قال : كنا مع علي عليه السلام بصيفين ؛ فرفع عمرو ابن العاص شُفَّة خيصة سوداء في رأس رُمُح ؛ فقال ناس : هذا لواد عقده رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ فلم يزالوا يتحدثون حتى وصل ذلك إلى علي عليه السلام ؛ فقال :

(١) في الأصول : « فصر » ، والمواب ما أنهت من صبي .

(٢) في المطبوع : « لأمه » .

(٣) صفح ٢٤١ .

أتدرون ما أمرُ هذا اللواء ! إنَّ عدوَّ اللهَ عمرًا أخرج له رسول الله صلى الله عليه وآله هذه
الثقة ، فقال : مَنْ يا هذا بما فيها ؟ فقال عمرو : وما فيها يا رسول الله ؟ قال : فيها آلا
تقاتل بها مسلماً ، ولا تقرّ بها من كافر ؛ فأخذها ؛ فقد والله قرّتها من للشركين ، وقاتل بها
اليوم المسلمين ؛ والذي فلق الحبة ، ورا التّمسّة ؛ ما أسلّوا ولكنهم استسلموا وأسروا
الكفر ؛ فلما وجّسوا عليه أعواناً أظهروه .

وروى نصر ، عن أبي عبد الرحمن السعدي ، عن يونس بن الأرقم ، عن عوف
ابن عبد الله ، عن عمرو بن هند البجلي ، عن أبيه ، قال ^(١) : لما نظر عليّ عليه السلام
إلى رايات مملوكية وأهل الشام ، قال : والذي فلق الحبة ، ورا التّمسّة ؛ ما أسلّوا
ولكن استسلموا ، وأسروا الكفر ؛ فلما وجّسوا أعواناً ، رجعوا إلى عدّائهم لنا ؛
إلا أنهم لم يتركوا الصلاة .

• • •

وروى نصر ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال ^(١) : لما كان
قتال صفين ، قال رجل لعاص : يا أبا اليقظان ؛ ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قاتلوا
الناس حتى يسلموا ؛ فإذا أسلموا قصموا من دماءهم وأموالهم » ؟ قال : بلى ، ولكن والله
ما أسلموا ؛ ولكن استسلموا ، وأسروا الكفر حتى وجّسوا عليه أعواناً .

وروى نصر ، عن عبد العزيز بن حبيب بن أبي ثابت ، عن منذر الثوري ، قال :
قال محمد بن الحنفية : لما ^(١) أتاها رسول الله صلى الله عليه وآله من أهل الوادي ومن أسفله ،

وملأ الأودية كقائب - بمعنى يوم فتح مكة - استملوا حتى وجفوا أهوانا .

وروى نصر ، عن الحكم بن ظهير عن إسماعيل ، عن الحسن ، قال : وحدثنا الحكم أيضا عن عاصم بن أبي النجود ، عن زر بن حبیش عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « إذا رأيتم معاوية بن أبي سفيان يخطب على منبري فاضربوا عنقه » ، قال الحسن : فوالله ما فعلوا ولا أفعلوا ^(١) .

(٥٥)

ومن كلام له عليه السلام :

الأصل :

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَتَلُّ آبَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا وَإِخْوَانَنَا
وَأَهْمَانَنَا ، مَا يَزِيدُنَا ذَلِكَ إِلَّا إِيْمَانًا وَتَسْلِيمًا ؛ وَمُضِيًّا عَلَى الْقَمَرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضْضِ
الْأَلَمِ ، وَجِدًّا^(١) فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا وَالْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ
تَصَاوُلَ الْقَمْعَيْنِ ، يَتَحَالِكَانِ أَنْفُسَهُمَا ؛ أَيُّهُمَا يَسْتَفِي صَاحِبَهُ كَأْسَ الْمُنُونِ ، فَرَّةً لِنَايِنِ
عَدُوِّنَا ، وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا ، فَمَا رَأَى اللَّهُ حَيْدُوقَنَا أَنْزَلَ يَدُوَّنَا السَّكَبَتَ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا
النُّصْرَ ، حَقَّ اسْتَقْرَرِ الْإِسْلَامُ مُنْقِيًا جِرَانَهُ ، وَمُعْتَبِرًا أَوْطَانَهُ .
وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا تَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ ، مَا قَامَ لِلدِّينِ عُمُودٌ ، وَلَا أَخَصَرَ لِلْإِيْمَانِ عُودٌ .
وَأَيْمُ اللَّهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دِمًا ، وَلَتَغْدِيَنَّهَا مَدْمًا !

الشرح :

لَقَمُ الطريق : الجادة الواضحة منها . وَلَمَضَض : قدح الألم وبرحاؤه . وَالتصاول :
أنَّ يحمل كلُّ واحدٍ من القَرِيبين على صاحبه . وَالتحالكس : التمسُّب والانهاب .
وَالسَكَبَت : الإذلال . وَجِرَانُ البعير : مقدم عنقه . وَتَبَوَّاتُ المنزل : نزله . وَيُقَالُ
لِمَنْ أَسْرَفَ فِي الْأَمْرِ : كَتَحَلِبْنِ دِمًا ، وَأَصْلُهُ التَّاقَةُ يَفْرُطُ فِي حَلْبِهَا فَيَحْلِبُ الْحَالِبُ الدَّمَ .

(١) ساقطة من مخطوطة التهجد .

وهذه ألفاظ مجازية من باب الاستعارة ؛ وهي :

قوله : « استقرّ الإسلامُ ملتقى جرائنه » ، أي ثابتاً متمكناً ، كالبعير يلتقي جرائنه على الأرض .

وقوله : « متبوءاً أوطانه » ، جعله كالجسم المستقرّ في وطنه ومكانه .

وقوله : « ما قام للدين عمود » ، جعله كالبيت القائم على الممد .

وقوله : « ولا اخضرّ للإيمان عود » ، جعله كالشجرة ذات الفروع والأغصان .

فأما قتلهم الأكارب في ذات الله فكثير ؛ قتل عليّ عليه السلام الجمل النفير من

بنى عبد مناف ونبي عبد المدار في يوم بدر وأُخذ ؛ وهم عشيرته وبنو عمّه ، وقتل عمرُ

ابن الخطاب يوم بدر خاله العاص بن هشام بن الميرة ، وقتل حمزة بن عبد المطلب شقيقه

ابن ربيعة يوم بدر ، وهو ابن عمّه ؛ لأنها أبا عبد مناف ؛ ومثل ذلك كثير مذكور في

كتب السيرة .

وأما كون الرجل منهم وقرينه يتصلولان ويخالسان ؛ فإن الحال كذلك كانت ؛

بارز عليّ عليه السلام الوليد بن عتبة ، وبارز طلحة بن أبي طلحة ، وبارز عمرو بن عبدود ؛

وقتل هؤلاء الأقران مبارزة ، وبارز كثيراً من الأبطال عيرهم وقتلهم ؛ وبارز جماعة من

شجعان الصعانة جماعة من المشركين ؛ فمنهم من قُتل ، ومنهم من قُتل ، وكتب المغازي

تتضمن تفصيل ذلك .

[فتنة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة]

وهذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام في قصة ابن الحضرمي حيث قدم البصرة

من قبل معاوية ، واستنهض أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه إلى البصرة ؛ فتقاتلوا .

قال أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن محمد بن هلال النقي في كتاب " الفارات " :

حدثنا محمد بن يوسف ، قال : حدثنا الحسن بن علي الزعفراني ، عن محمد بن عبد الله ابن عثمان ، عن ابن أبي سيف ، عن يزيد بن حارثة الأزدي ، عن عمرو بن حصن ، أن معاوية لما أصاب محمد بن أبي بكر بمصر وظهر عليها ، دعا عبد الله بن عامر الحضرمي ، فقال له : سر إلى البصرة ؛ فإن جل أهلها يرون رأينا في عثمان ، ويظنون قتله ، وقد قتلوا في الطلب بدمه ، فهم متورون خائفون لما أصابهم ؛ وذوا لو يجدون من يدهوهم ويحميهم وينهض بهم في الطلب بدم عثمان ؛ واحفر ربيعة ، وانزل في مصر ، ونود الأزد ؛ فإن الأزد كلها معك إلا قليلا منهم ؛ وإسهم إن شاء الله غير مخالفين .

قال عبد الله بن الحضرمي له : أنا سهم في كفايتك ، وأما من قد جربت ، وعلو أهل حربك ، وظهرك على قتلة عثمان ؛ فوجهي إليهم متى شئت . قال : أخرج غدا إن شاء الله . فودعه وخرج من عنده .

فلما كان الليل جلس معاوية وأصحابه جعدهون ، فقال لهم معاوية : في أي منزل ينزل القمر الليلة ؟ قالوا : بسعد الدأبع ؛ فكري معاوية ذلك ، وأرسل إليه ألا تبرح حتى يأتاك أمري . فأقام .

• • •

ورأى معاوية أن يكتب إلى عمرو بن العاص وهو يومئذ بمصر ، عامه عليها ، يستطلع رأيه في ذلك ، فكتب إليه ؛ وقد كان تسمى يامرة المؤمنين بعد يوم صيفين ، وبعد بحكم الحكيم :

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص :

سلام عليك ، أما بعد ؛ فإنني قد رأيت رأيا حسنا بإمضائه ، ولم يخذلني عنه

إلا استطلاع رأيك ؛ فإن توافقني أحد الله وأرضه ؛ وإن تخالفني فإن استخير الله وأستهديه . إني نظرت في أمر أهل البصرة فوجدت معظم أهلها لنا ولياً وعلياً وشيعته عدواً ؛ وقد أوقع بهم على الوثقة التي علمت ، فأحقاد تلك الدماء ثابتة في صدورهم لا تبرح ولا تريم ؛ وقد علمت أن قتلنا ابن أبي بكر ، ووقفنا بأهل مصر قد أطفأت نيران أصحاب علي في الآفاق ، ورغبت رموس أشياعنا أينما كانوا من البلاد ؛ وقد بلغ من كان بالبصرة على مثل رأينا من ذلك ما بلغ الناس ، وليس أحد ممن يرى رأينا أكثر عدداً ، ولا أضر خلافاً على علي من أولئك ؛ فقد رأيت أن أمث إليهم عبد الله بن هاشم الحضرمي ، فيزل في مصر ويتودد الأرد ، ويحضر ربيعة ، ويشتري دم ابن عفان ، ويذكرهم وقعة علي بهم ؛ التي أهلكت صالحى إخوانهم وآبائهم وأبنائهم . فقد رجوت عند ذلك أن يقبض علي على وشيعة ذلك القمزع من الأرض ؛ ومتى يؤتوا من خلقهم وأمامهم بضل سعيهم ، ويبطل كيدهم . فهذا رأي . فما رأيك ؟ فلا تمس رسولاً إلا أقدر مضي الساعة التي ينتظر فيها جواب كتابي هذا . أرشدنا الله وإياك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فكتب عمرو بن العاص إلى معاوية :

أما بعد ، فقد بلغني رسالتك وكتابك ، قرأت وفهمت رأيك الذي رأيته ، فصعبت له ، وقلت : إن الذي ألقاه في روحي ، وجعله في نفسك هو التأثير بأبن عفان ، والطالب بدمه ؛ وإنه لم يك منك ولا منّا منذ نهضنا في هذه الحروب وبأدينا أهلنا^(١) ، ولا رأى الناس رأياً أضر على عدوك ، ولا أسر لوليك من هذا الأمر الذي أهتمته ، فامض رأيك مدداً ؛ فقد وجهت العليب الأربب الناصح غير الظنين والسلام .

• • •

(١) كذا في ج ، و ز ، ا ، ب ، د ، و نادينا .

فلما جاءه كتاب عمرو دعا ابن الحضرمي - وقد كان ظن حين تركه معاوية أياماً لا يأمره بالشخص، أن معاوية قد رجع عن إشخاصه إلى ذلك الوجه - فقال: يا ابن الحضرمي، سر على بركة الله إلى أهل البصرة فانزل في مضر، واحذر ربيعة، ونوؤد الأزدي، وانع ابن عفان، وذكّرهم الوفاة التي أهلكتهم، ومن لم يسمع وأطاع دنيماً لا تنفي، وأثرة^(١) لا يفقدها حتى يفقدنا أو نفقده.

فودعه ثم خرج من عنده، وقد دفع إليه كتاباً، وأمره إذا قدم أن يقرأه على الناس. قال عمرو بن محسن: فكنت معه حين خرج، فلما خرجنا سرنا ما شاء الله أن نسير، ففتح لنا ظبي الأعصب^(٢) عن شمالنا، فنظرت إليه؛ فوافي رأيت الكراهية في وجهه؛ ثم مضينا حتى نزلنا البصرة في بني تميم، فسمع يحدو منا أهل البصرة؛ فجاءنا كل من يرى رأى عمان، فاجتمع إلينا رؤوس أهلها الحمد لله إسم الحضرمي وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد؛ أيها الناس؛ فإن إمامكم إمام المهدي عمان بن عفان، قتله على بن أبي طالب ظُلماً، فطلبتم بدمه، وقتلتم من قتله، فحزاكم الله من أهل مصر حيزاً؛ وقد أصيب منكم الملاء الأخيار؛ وقد جاءكم الله بإخوان لكم؛ لهم بأس يُنقى، وعدد لا يحصى؛ فلقوا عدوكم الذين قتلوك؛ فبلغوا العاية التي أرادوا صابرين، ورجعوا وقد نالوا ما طلبوا، فالتوهم وساعدوهم، وتذكروا نأركم لتشفوا صدوركم من عدوكم.

فقام إليه الضعالب بن عبد الله الهلالي، فقال: قبح الله ما جئتنا به، وما دعوتنا إليه! جئتنا والله بمثل ما جاء به أصحابك طلعة والريير؛ أتينا وقد بائنا علياً، واجتمعنا له، فسلمتنا واحدة ونحن على سبيل مستقيم، فدعوانا إلى الفرقة، وقامنا فينا بزُخرف القول؛ حتى ضربتنا ببعض عدواننا وظُلماً؛ فافتقدنا على ذلك، وإيم الله، ما سلطنا من عظيم وبال

(١) في اللسان: «فلان أثير عند فلان» ذو أثره، إذا كان حاملاً.

(٢) الأعصب: مكسور أحد القرين؛ وكانوا يشاءون منه.

ذلك ؛ ونحن الآن مجمعون على تبعة هذا العبد الصالح الذي أقال العترة ، وغنا عن السوء .
وأخذ بيعة غائبنا وشاهدنا . أفتأمرنا الآن أن نحتلج أسياقنا من أغلدها ، ثم يضرب بعضها
بعضا ، ليكون معاوية أميرا ، وتكون له وزيراً ، ونسدل بهذا الأمر عن عليٍّ والله ليوم
من أيام عليٍّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله خيرٌ من بلاء معاوية وآل معاوية لو بقوا
في الدنيا ؛ ما الدنيا باقية .

فقام عبد الله بن خازم السلمي ، فقال للضحاك : اسكت ؛ فليست بأهل أن تتكلم
في أمر العامة . ثم أقبل على ابن الحضرمي ، فقال : نحن يدك وأنصارك ؛ والقول ماقلت ؛
وقد فهمنا عندك ؛ فادعنا أني شئت ؛ فقال الضحاك لابن خازم : وابن السوداء ؛ والله لا يمر
من نصرت ، ولا يذل بحذلائك من خذلت ؛ ففشتما .



قال صاحب كتاب المآثر : والضحاك هذا هو الذي يقول :

يأبى هذا السائل عن نبي بين قيفٍ وهلال منصبي
• أمي أسماء وضحاك أبي •

قال : وهو القائل في بني الساس :

ما ولدت من ناقة لعل في جبلٍ نملهُ وسهلٍ
كسنة من بطن أم الفضل أكرم بهما من كملٍ وكهلٍ
عم النبي المصطفى ذي العصل وحاتم الأنبياء بعد الرسل

قال : فقام عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشي ثم التيمي ، فقال : هبوا الله ؛ إننا لم
ندعكم إلى الاختلاف والفرقة ، ولا نريد أن تقتلوا ولا تتنازروا ؛ ولكنا إنما ندعوكم إلى
أن تجمعوا كلتكم ، وتوازدوا إخوانكم الذين هم على رأيكم ، وأن تلموا شعثكم

وَتَصِلُوا ذَاتَ يَنبِكُمْ ؛ فِهْلَا مِهْلَا رَحِمَ اللهُ ، اسْتَمِعُوا هَذَا الْكِتَابَ ، وَأَطِيعُوا الَّذِي يقرأ عَلَيْكُمْ .

فَقَضُوا كِتَابَ معاوية وَإِذَا فِيهِ : مِنْ عَبْدِ اللهِ معاوية أمير المؤمنين ، إِلَى مَنْ قَرَأَ كِتَابَ هَذَا عَلَيْهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ :

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ سَفْكَ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حِلِّهَا ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ قَتْلَهَا هَلَاكٌ مُوَبَّقٌ ، وَخَسْرَانٌ مُبِينٌ ؛ لَا يَقْبَلُ اللهُ تَمَنِّيَ سَفْكِهَا صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ؛ وَقَدْ رَأَيْتُمْ رَحِمَ اللهُ آثارَ ابْنِ عَفَّانَ وَسِيرَتَهُ ، وَحُبَّ الْعَافِيَةِ ، وَمَقْدَلَتَهُ ، وَسَدَّةَ الْفُتُورِ ، وَإِعْطَاءَهُ فِي الْحَقِّ ، وَإِصَافَهُ الْمَظْلُومَ ، وَحُبَّ الضَّعِيفِ ؛ حَتَّى تَوَثَّبَ عَلَيْهِ الْمُتَوَثِّبُونَ ؛ وَتَظَاهَرَ عَلَيْهِ الظَّالِمُونَ ، فَهَتَلُوهُ مَسْلُومًا مُحَرَّمًا ، ظَلَمًا صَاحِبًا ، لَمْ يَسِفْكَ فِيهِمْ دَمًا ، وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَلَا يَطْلُبُوهُ بِضَرْبَةِ سَيْفٍ وَلَا سَوْطٍ ، وَإِنَّمَا طَعَنُوكُمْ أَيُّهَا السُّلَمُونَ إِلَى الطَّلَبِ بِنَمَةٍ ، وَإِلَى قَتْلِ مَنْ قَتَلَهُ ؛ فَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ عَلَى أَمْرِ هُدًى وَاضِحٍ ، وَسَبِيلٍ مُسْتَقِيمٍ . إِنَّا نَسْتَعِينُكُمْ بِطَلَبِ الْغَالِمِينَ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ، وَاسْتِقَامِ أَمْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، وَأَقْرَبِ الظَّالِمِينَ الْمُتَوَثِّبِينَ الْقَدِيرِينَ قَتَلُوا إِمَامَهُمْ بِمِيرَاقِ حَقٍّ ، فَأَخِذُوا بِجُرْأَتِهِمْ وَمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ . إِنَّ لَكُمْ أَنْ أَحْلَ فِيكُمْ بِالْكِتَابِ ، وَأَنْ أَعْطِيَكُمْ فِي السَّنَةِ عَطَاءَ بَنِي ، وَلَا أَحْلَ فَضْلًا مِنْ فِيْكُمْ عَنْكُمْ أَبَدًا . فَسَارِعُوا إِلَى مَا تُدْعَوْنَ إِلَيْهِ رَحِمَ اللهُ ؛ وَقَدْ بَشَّرْتُ إِلَيْكُمْ رَجُلًا مِنَ الصَّالِحِينَ ؛ كَانَ مِنْ أَمَنَاءِ خَلِيفَتِكُمُ الْمَظْلُومِ ابْنِ عَفَّانَ وَعَمَلِهِ وَأَهْوَانِهِ عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ ؛ جَمَلْنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ تَمَنِّيَ يَحْبِبُ إِلَى الْحَقِّ وَيَعْرِفُهُ ، وَيُبْكَرُ الْبَاطِلَ وَيَتَخَذَهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ .

قال : فَلَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابُ ، قَالَ مُعْظَمُهُمْ : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

قال : وَرَوَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمَّانَ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِي زَهْرٍ ، عَنْ أَبِي مَيْمُونٍ الشَّيْبَانِيِّ ، قَالَ : قَالَ الْأَحْنَفُ لَمَّا قُرِئَ عَلَيْهِمُ كِتَابُ معاوية : أَمَّا أَنَا فَلَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا بَجَلٍ . وَاصْطَرَلْ أَمْرُهُمْ ذَلِكَ .

وقال هرو بن مرجوم ، من عبد القيس : أيها الناس ، الزموا طاعتكم ، ولا تنكثوا
بميتكم ، فضع بكم واقعة ونصيبكم قارعة ؛ ولا يكن بعدا لكم بقية ؛ ألا إني قد
نصحت لكم ؛ ولكن لا تمهون الناصحين .

• • •

قال إبراهيم بن هلال : وروى محمد بن عبدالله ، عن ابن أبي سيف ، عن الأسود بن
قيس ، عن ثعلبة بن عباد ، أن الذي كان سداً لمعاوية رأيته في تسميح ابن الحضرمي كتاب
كتبه إليه عتاس بن ضحاك العبدي ، وهو ممن كان يرى رأي عثمان ، ويخالف قومه في
حبهم علياً عليه السلام ونصرتهم إياه ؛ وكان الكتاب :

أما بعد ، فقد بلغنا وقتك بأهل مصر الذين بقوا على إمامهم ، وقتلوا خليفتهم طمعاً
وبغياً ، ففرت تلك الميرون ، وشفيت تلك النفوس ؛ وبردت أفتدة أقوام كانوا قتل
عثمان كارهين ، ولعدوه مفارقين ؛ ولكم موالين ، وبلغراضين ؛ فإن رأيت أن تبش
إلينا أميراً طيباً ذكياً ذا عفاف ودين ، إلى الطلب بدم عثمان فعملت ؛ فإن لا أحال الناس
إلا بجمعين عليك ؛ وإن ابن عباس غائب عن مصر ، والسلام .

قال : فلما قرأ معاوية كتابه قل : لا عرمت رأياً سوى ما كتب به إلى هذا ،
وكتب إليه جوابه :

أما بعد ؛ فقد قرأت كتابك ، فعرفت نصيحتك ، وقبليت مشورتك ، رحمتك الله
وسددك ، أثبتت هداك الله على رأيك الرشيد ، فكأنك بالرجل الذي سألت قد أتاك ،
وكأنك بالجيش قد أطل عليك فسررت وحييت ؛ والسلام .

• • •

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبدالله ، قل : حدثني علي بن أبي سيف عن أبي زهير

قال : لما نزل ابن الحضرمي في بني نعيم أرسل إلى الروم فاتوهم ، فقال لهم : أجيبيوني إلى الحق ، وانصروني على هذا الأمر .

قال : وإن الأمير بالبصرة يومئذ زياد بن عبيد قد استخلفه عبد الله بن عباس ، وقدم على علي عليه السلام إلى الكوفة يبرّيه من محمد بن أبي بكر ، قال : فقام إليه ابن ضحّاك ، فقال : إي والذي له أسمى ، وإياه أخشى ، لنصرتك بأسياطنا وأيدينا .

وقام الثني من مخزومة المبدئي فقال : لا والذي لا إله إلا هو ، لئن لم ترجع إلى مكانك الذي أقبلت منه لنجاهدك بأسياطنا وأيدينا ، ونهالنا وأسنة رماحنا . نحن ندع ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسيد المسلمين ، وتدخل في طاعة حزب من الأحزاب طاغوا والله لا يكون ذلك أبدا حتى نسير كتيبة ، ونقتل السيوف بالهام .

فأقبل ابن الحضرمي على صبرة بن شيخان^(١) الأزدی فقال : يا صبرة ، أنت رأس قومك ، وعظيم من عظماء العرب ، وأحد الطلبة بدم عثمان ، رأينا رأيك ، ورأيت رأيك ، وبلاء القوم عندك في نفسك وحشيتك ما قد ذقت ورأيت ، فانصرتي وكن من ذوي . فقال له : إن أنت أتيتني فنزلت في داري نصرتك ومنمتك . فقال : إن أمير المؤمنين معاوية أمرني أن أنزل في قومه من مضر ، فقال : اتبع ما أمرك به .

وانصرف من عنده ، وأقبل الناس إلى ابن الحضرمي ، وكثر تبعه ، ففرغ لذلك زياد وهائلة وهو في دار الإمارة ، فبعث إلى الحُصَيْن بن اللدث ومالك بن مسمع ، فدعاها ، فحيد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد فإنكم أنصار أمير المؤمنين وشيعته وثقته ، وقد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم ، فأجيبوني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين ورأيه .

فأما مالك بن مسمع ، فقال : هذا أمر فيه نظر ، أرجع إلى من ورأى ، وانظر واستشير في ذلك . وأما الحُصَيْن بن اللدث فقال ، نعم ، نحن طاعلون ، ولن نخذلك ولن نسليك .

فلم يرَ زياد من القوم ما يطمئن إليه ، فبعث إلى صبرة بن شيان الأزدي ، فقال :
يا بن شيان ، أنت سيد قومك ، وأحد عظماء هذا المصر ، فإن يكن فيه أحدٌ هو أعظم
أهله فانت ذاك ؛ أفلا تجيرني وتمنّني ، ونمنع بيت مال المسلمين إفاً بما أنا أمين عليه .
فقال : بلى ، إن تحملت حتى تنزل في داري منعتك ، فقال : إني فاعل .

فارتحل ليلاً حتى نزل دار صبرة بن شيان ، وكتب إلى عبد الله بن عباس - ولم يكن
معاوية ادعى زياداً بعد ذلك لأنه إنما ادّعاء بعد وفاة علي عليه السلام :
للأمير^(١) عبد الله بن عباس من زياد بن عبيد .

سلام عليك ، أما بعدُ فإن عبد الله بن عامر بن الحضرمي أقبل من قبل معاوية
حتى نزل في بني تميم ، ونسي ابن عفان ، ودعا إلى حرب ، فبايعه جُلُّ أهل البصرة ، فلما
رأيت ذلك استعجرت بالأزد ، بصبرة بن شيان وكومته لنفسى وليت مال المسلمين ، ورحلت
من قصر الإمارة فزلت فيهم ، وإن الأزد معي ، وشيعة أمير المؤمنين من فرسان القبائل
تختلف إلى وشيعة عثمان تختلف إلى ابن الحضرمي ؛ والقصر حالٍ ممّا ومنهم ، فارفع ذلك
إلى أمير المؤمنين ، ليبرئ فيه رأيه ، وأحصيل إلى بالقي ترى أن يكون منه فيه . والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته .

قال : فرفع ذلك ابن عباس إلى علي عليه السلام ، وشاع في الناس بالكوفة ما كان
من ذلك ، وكانت بنو تميم وقيس ، ومن يرى رأي عثمان قد أمرُوا ابن الحضرمي أن يسير
إلى قصر الإمارة حين خلاه زياد ، فلما تهيأ لملك ودعا أصحابه ، ركبت الأزد ، وبعثت
إليه وإليهم : إنا والله لا ندعكم تاتون القصر فتزولون فيه من لا ترضى ، ومن نحن
كارهون ؛ حتى يأتي رجل لنا ولكم رضا ، فأبى أصحاب ابن الحضرمي إلا أن يسيروا إلى القصر ،
وأبت الأزد إلا أن يمنعم . فركب الأحنف ، فقال لأصحاب ابن الحضرمي : إنكم والله

ما أنتم أحق بقصر الإمارة من القوم ، وما لكم أن تؤثروا عليهم من بكرهونه ،
فانصرفوا عنهم : ففعلوا ، ثم جاء إلى الأزدي ، فقال : إنه لم يكن ما تكرهون ،
ولا يؤتى إلا ما تحبون ؛ فانصرفوا راحم الله ، ففعلوا .

• • •

قال إبراهيم : وحدثنا محمد بن عبد الله بن أبي سيف ، عن الكلبي ، أن ابن الحضرمي
لما أتى البصرة ، ودخلها نزل في بني تميم في دار سبيل^(١) ، ودعا بني تميم وأخلاق مضر ،
فقال زياد لأبي الأسود الدؤلي : أما ترى ما صنى^(٢) أهل البصرة إلى معاوية ؛ وما في
الأزد لي مطمع ؛ فقال : إن كنت تركتهم لم ينصروك ، وإن أصبحت فيهم ممنوك .
فخرج زياد من ليلته ، فأتى حنبرة بن شيان الحداني الأزدي ، فأجاره ، وقال له
حين أصبح : يا زياد ؛ إنه ليس حسنا بنا أن نقيم فيها محتضيا أكثر من يومك هذا ؛ فأعدت
له مديرا وسريرا في مسجد الحدان ، وجعل له شُرطا ، وصلى بهم الجمعة في مسجد الحدان .
وقال ابن الحضرمي على ما بلغه من البصرة وجباها ، وأجمعت الأزدي على زياد ،
فصعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا معشر الأزدي ، إنكم كنتم أعدائي فاصبحتم أوليائي ، وأولى الناس بي . وإني لو
كنت في بني تميم وإن الحضرمي فيكم لم أطمع فيه أبدا وأنتم دوني ، فلا يطمع ابن
الحضرمي في وأنتم دوني ، وليس ابن آكلة الأكباد في بقية الأحزاب وأولياء الشيطان
بأذني إلى العلبة من أمير المؤمنين في المهاجرين والأنصار ؛ وقد أصبحت فيكم مضمونا ،
وأمانة مؤادة ، وقد رأينا وقفتكم يوم الجمل ، فاصبروا مع الحق صبركم مع الباطل ؛
فإنكم لا تمجدون إلا على النعدة ، ولا تذكرون على الجبن .

فقام شيان أبو صبرة - ولم يكن شهد يوم الجمل ، وكان غائبا - فقال : يا معشر الأزدي ،

(١) في الأصول : « سبيل » ، والصواب ما أخرج من تزيح الطري : « ١١٢ » .

(٢) ب : « صنى أهل البصرة » .

ما أبقت عواقب الجبل عليكم إلا سوء الذكر ، وقد كنتم أمس على علي عليه السلام ، فكونوا اليوم له ، واعلموا أن إسلامكم له ذلك ، وحذركم إياه عار ، وأنتم حتى مصارع الصبر ، وعاقبتكم الوفاء ؛ فإن سار القوم بصاحبهم فيبرؤا بصاحبكم ، وإن استمدوا معاوية ، فاستمدوا عليا عليه السلام ، وإن وادعوك فوادعهم .

ثم قام صبرة ابنه ، فقال : يا معشر الأزد ، إنا قلنا يوم الجبل : نمنع مضرنا ، ونطبع أمنا ، نطلب دم حليفتنا المظلوم ، فجددنا في القتال ، وأقمنا بعد انهزام الناس ، حتى قتل منا من لا خير فينا معه ، وهذا زياد جاركم اليوم ، والجار معصوم ، ولنا نخاف من علي ما نخاف من معاوية ، فهؤا لنا أنفسكم ، وامنعوا جاركم أو قابضوه مأمنه .

فقال الأزد : إنما نحن لكم تبع فأجيزوه . فضحك زياد ، وقال : يا صبرة ، أغشون ألا تقوموا لبني تميم ؟ فقال صبرة : إن جامونا بالأحجب جتناهم بأبي صبرة ، " وإن جامونا بالحباب جئت أما ؛ وإن كان فيهم شباب كثير " . فقال زياد : إنما كنت مازحا .

فلما رأته بنو تميم أن الأزد قد قامت دون رباد نصت إليهم : أخرجوا صاحبكم وعن مخرج صاحبنا ، فأى الأمرين علب - علي أو معاوية - دخلنا في طاعته ، ولا نهلك عامتنا .

فبعث إليهم أبو صبرة : إنما كان هذا يرزى عندنا قبل أن نجبره ، ولم يري ما قتل زياد وإخراجه إلا سواء ؛ وإنكم لتعلمون أننا لم نجبره إلا كرما ، فلهوا عن هذا .



قال : وروى أبو الكنود أن شبيب بن ربيعة قال لعل عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ابعت إلى هذا الحى من تميم ، فادعهم إلى طاعتك ، ولزوم بيعتك ، ولا تسلط عليهم أزد عمان البمداء البعضاء ؛ فإن واحدا من قومك خير لك من عشرة من غيرهم .

قال له يَحْتَف بن سليم الأزدي : إن الهيبد البهيز ، من عصى الله وخالف
أمير المؤمنين ، وهم قومك ، وإن الحبيب القريب من أطاع الله ونصر أمير المؤمنين ، وهم
قومي ، واحذهم خيرًا لأمير المؤمنين من عشرة من قومك .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : مه ! تنهوا أيها الناس ، وليردَّ عكم الإسلام ووقاره
عن التباعى والتهادى ، ولتجتميع كلتكم ، والرموا دين الله الذي لا يقبل من أحد غيره ،
وكلمة الإخلاص التي هي قوام الدين ، وحجة الله على الكافرين ؛ واذكروا إذ كنتم
قليلاً مشركين متباغضين مضرقين ، فألف بينكم بالإسلام فكُفُرتُمْ ، واجتمعتُمْ وتحاييتم .
فلا تفرقوا بعد إذ اجتمعتُمْ ، ولا تتباغضوا بعد إذ تحاييتم ؛ وإذا رأيتم الناس ينهم القاترة ^(١)
وقد تداعوا إلى الميثاق والقبائل ؛ فاصيدوا لهمهم ووجوههم بالسيف حتى يفرعوا إلى الله ،
وإلى كتابه وسنة نبيه ؛ فأما تلك الحية من خطرات الشياطين فاشهوا عنها ، لا أهلكم
تفعلوا وتنجسوا !

ثم إنه عليه السلام دعا أعين بن صبيحة الهاشمي ، وقال : يا أعين ، ألم يعلمك أن
قومك وثبوا على عامل مع ابن الحضرمي بالبصرة ، يذبحون إلى فرات وشقاق ويساعدون
الضلال القاسطين على !

قال : لا تَسْأ يا أمير المؤمنين ، ولا يكن مانكره . ابنتي إليهم ؛ فأنا لك زعيم
بطاعتهم وتفريق جماعتهم ، ونفخ ابن الحضرمي من البصرة أو فله .
قال : فأخرج الساعة .

نفرج من عنده ومضى حتى قدم البصرة .

هذه رواية ابن هلال صاحب كتاب الفارات .

• • •

وروى الواقدي أن علياً عليه السلام، استنفر بنى تميم أياماً ليهاض منهم إلى البصرة من يكفيه أمر ابن الحضرمي، ويرد عادية بنى تميم الذين أجاروه بها، فلم يجبه أحد، فخطبهم، وقال: أليس من العجب أن ينصرني الأزدي، وتخذلني مضر! وأعجب من ذلك تقاعد تميم الكوفة بي، وخلاف تميم البصرة علي، وأن أستنجد بطلاقة منها، تشخص إلى إخوانها فتدعوم إلى الرشاد، فإن أجات وإلا فالنابذة والحرب. فكان أخطب صماً بكماً لا يفقهون حواراً، ولا يحميون بداء! كل هذا جئنا من البأس، وحباً للحياة! لقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قتل آباءنا وأبناءنا... الفصل إلى آخره.

قال: فقام إليه أعين بن ضبيعة المخشمي، فقال: أنا - إن شاء الله - أكفيك يأمر المؤمنين هذا الخطب، وأنكفل لك بقتل ابن الحضرمي، أو إخراجك عن البصرة. فأمره بالتهير للشخص؛ فشخص حتى قدم البصرة.

• • •

قال إبراهيم بن هلال: فلما قدما دخل علي زياد وهو بالأزد مقيم، فرحب به وأجلسه إلى جانبه، فأخبره بما قال له علي عليه السلام، وما رد عليه، وما الذي عليه رأيه؛ فإنه إذ يكلمه جاءه كتاب من علي عليه السلام فيه:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى زياد بن عبيد:

سلام عليك، أما بعد؛ فبني قد نشت أعين بن ضبيعة، ليفرق قومه عن ابن الحضرمي، فأرقت ما يكون منه؛ فإن فعل وبلغ من ذلك ما يظن به، وكان في ذلك تفريق تلك الأوباش فهو مانع، وإن ترامت الأمور بالقوم إلى الشقاق والمصيان.

فأنبذ بمن^(١) أطاعك إلى من عصاك ؛ فجاهدتم ، فإن ظهرت فهو ما ظننت ، وإلا فطاولهم وما طيلهم ؛ فكان كتاب المسلمين قد أظلمت عليك ، فقتل الله المفسدين الظالمين ، وبصر المؤمنين الحقيين ، والسلام .

هذا قرأه زياد أقرأه أعين بن ضبيعة ، قال له : إني لأرجو أن يُكفى هذا الأمر إن شاء الله . ثم خرج من عنده ؛ فأتى رَحْله ، لجمع إليه رجلا من قومه ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

يا قوم ، على ماذا تقتلون أنفسكم ، وتُهريقون دماءكم على الباطل مع السفهاء الأشرار ؛ وإني والله ما جئتكم حتى عيّنت إليكم الجنود ؛ فإن تُنهبوا إلى الحق يقبل منكم ، ويكف عنكم ؛ وإن أبيتم فهو والله استئصالكم وتواريكم .

فقالوا : بل سمع وطيع . فقال : انهبوا الآن على بركة الله عز وجل . فنهض بهم إلى جماعة ابن الحضرمي ، وخرجوا إليه مع ابن الحضرمي فصاقوه وواقهم^(٢) طامة يومه يُناشدهم الله ، ويقول : يا قوم لا تنكثوا بيمينكم ، ولا تحالفوا إمامكم ، ولا تجملوا على أنفسكم سبيلا ؛ فقد رأيتم وحرّبتهم كيف صنع الله بكم عند نكثكم بيمينكم وحلافكم . فكفروا عنه ، ولم يكن بينه وبينهم قتال ؛ وهم في ذلك يشتمونه وينالون منه ، فانصرف عنهم وهو منهم منتصف . فلما أوى إلى رحله تبعه عشرة نفر يطنّ الناس أنهم خوارج ، فضربوه بأسيا ففهم وهو على فراشه ، ولا يطن أن أذى كان يكون ، فخرج يشتدّ غرانا ، فلحقوه في الطريق فقتلوه ، فأراد زياد أن يناهض ابن الحضرمي حين قتل أعين بجماعة من معه من الأزدي وغيرهم من شيعة علي عليه السلام ، فأرسل بنو تميم إلى الأزدي : والله ما عرضنا لجارك إذ أجرتهموه ، ولا لئالٍ هو له ، ولا لأحدٍ ليس على رأينا ؛ فما تريدون .

(١) كفا في أ ، ج ، وق ب : د من .

(٢) صاقوه ؛ أي ولفوا صفرة ويخال ؛ والله في الحرب ؛ أي وقف كل منهما مع الآخر .

إلى حربنا وإلى جارتنا ! فكان الأزد عند ذلك كرهت قهالهم .

فكتب زياد إلى علي عليه السلام : أما بعد يا أمير المؤمنين ، فإن أعين بن ضبيعة قدّم علينا من قبلك بمجدة ومناجحة وصدق وبقين ، فجمع إليه من أطاعه من عشيرته ، فاتهم على الطلعة والجماعة ، وحذروهم الخلف والفرقة ، ثم نهض بمن أقبل معه إلى من أدبر عنه ، فوافقهم عامة النهار ، فقال أهل الخلف تقدّمه ، وتصدّع عن ابن الحضرمي كثير ممن كان يريد نصرتهم ، فكان كذلك حتى أمسى ، فأتى في رحله فبيّنه ففر من هذه الخارجة المارقة ، فأصيب رحمه الله تعالى ، فأردت أن أناهض ابن الحضرمي عند ذلك ، فحدث أمر ، قد أمرت صاحب كتاني هذا أن يذكره لأمر المؤمنين ، وقد رأيت إن رأى أمير المؤمنين ما رأيت ، أن يبعث إليهم جارية بن قدامة ، فإنه ناقد البصرة ، ومطلع في العشرة ، شديد على عدو أمير المؤمنين ، فإنّ قدّم يفرّق بينهم بإذن الله . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

فلما جاء الكتاب ، دعا جارية بن قدامة ، فقال له : هات قدامة ، ممنع الأزد عامل وبيت مالي ، وتشاقتي مصر وتناذني ! وبنا جدناها الله تعالى بالكرامة ، وصرّفها الهدى ، وتداعوا إلى المشرّكين حادّوا الله ورسوله ، وأرادوا إطفاء نور الله سبحانه ، حتى علّت كلمة الله ، وهلك الكافرون .

قال : يا أمير المؤمنين ، استغنى إليهم ، واستغن بالله عليهم . قال : قد بعثت إليهم ، واستعنت بالله عليهم .

• • •

قال إبراهيم : حدثنا محمد بن عبد الله ، قال : حدثني ابن أبي السيف ، عن سليمان ابن أبي راشد ، عن كعب بن تخين ، قال : خرجت مع جارية من الكوفة إلى البصرة

في حسين رجلا من بني نعيم ، ما كان فيهم يمانى غيرة ، وكنت شديداً التشيع ، قلت لجارية : إن شئت كنت معك ، وإن شئت ملت إلى قومي ! قال : بل معي ؛ فوالله لو ددت أن الطير والبهائم تنصرتني عليهم ، فضلا من الإنس .



قال : وروى كعب بن قيس أن علياً عليه السلام كعب مع جارية كتابا ، وقال : اقرأ علي أصحابك ، قال : فضينا معه ، فلما دخلنا البصرة ، بدأ يزيد ، فرحب به وأجلسه إلى جانبه ، وناجاه ساعة وساء له ، ثم خرج فكان أفضل ما أوصاه به أن قال : احذر على نفسك ، واتق أن تلقى مائتي صاحبك القادم قبلك .

وخرج جارية من عنده ، فقام في الأزد ، فقال لهم جزاكم الله من حوى خيرا ! ما أعظم قضاءكم ، وأحسن بلاءكم ، وأطوعكم لأمركم ! لقد هرق الحق إذ صيحه من أنكره ، ودعوتهم إلى الهدى إذ تركه من لم يعرفه . ثم قرأ عليهم وعلى من كان معه من شيعة علي عليه السلام وغيرهم - كتاب علي عليه السلام ، فإذا فيه :

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ، أما بعد فإن الله حلیم ذو أمانة ، لا يمجّل بالعقوبة قبل اليقظة ، ولا يأخذ المذنب عند أول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأمانة ، ويرضى بالإقامة ؛ ليكون أعظم للصحة ، وأبلغ في العذرة ؛ وقد كان من شفاق جلّسكم أيها الناس ما استحققتهم أن تعاقبوا عليه ، ففوت عن مجرمكم ، ورفعت السيف عن مذبركم ، وقبلت من مقبلكم ، وأخذت بيمعتكم ، فإن تفوا بيمينتي ، وتقبلوا نصيحتي ، وتطيعوا على طاعتي ، أصل : (٤ - نهج - ٤)

فيكم بالكتاب والسنة وقصد الحق ، وأقيم فيكم سبيل الهدى ، فوالله ما أعلم أن
والياً بعد محمد صلى الله عليه وآله أعلم بذلك مني ، ولا أعمل بقولي . أقول قولي هذا
صادقاً ، غير دافع لمن مني ، ولا منتقماً لأعدائي ، وإن خبطت^(١) بهم الأهواء المرئية ،
وسعة الرأي الجائر إلى منابذني ، تريدون خلافي أفيها أنا ذا قرئت جياذني ، ورحت
ركابي ، وإيم الله لئن الجأتموني إلى السير إليكم لأوقمن بكم وقعةً ، لا يكون يوم
الجلل عندها إلا كلمة لا حق ، وإن لظان ألا تعملوا - إن شاء الله - على أنفسكم سبيلاً .
وقد قدمت هذا الكتاب إليكم حجة عليكم ، ولن أكتب إليكم من بعده كتاباً ،
إن أنتم استمشتم نصيحتي ، وفادثتم رسولي ، حتى أكون أنا الشاخص نحوكم ، إن شاء
الله تعالى . والسلام .

قال : فلما قرئ الكتاب على الناس قام صبرة بن شيان ، فقال : سمعنا وأطعنا ،
ونحن لمن حارب أمير المؤمنين حرم ، ولمن سالم سلم ؛ إن كفيئت باجارية قومك
بقومك فذاك ، وإن أحببت أن تنصرك نصرك .
وقام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك ومحوه ، فلم يأت لأحد منهم أن يسير معه ،
ومضى نحو بني تميم .

فقام زياد في الأزد ، فقال :

يا معشر الأزد ، إن هؤلاء كانوا أمس سلماً ، فأصبحوا اليوم حرباً ، وإنكم كنتم
حرباً فأصبحتم سلماً ، وإني والله ما احترنكم إلا على التعرّبة ، ولا أقت فيكم إلا على
الأمل ، فما رعيتم أن أجرتهم ، حتى نصبت لي منبراً وسريراً ، وجعلتم لي شرطاً وأعواناً ،
ومنادياً وجمعة ، فما فقدت محضرتكم شيئاً إلا هذا الهرم ، لا أجيبه اليوم ، فإن لم أجبه
اليوم أجبه غداً إن شاء الله . واعلموا أن حربكم اليوم معاوية أيسر عليكم في الدنيا
والدين من حربكم أمس عيياً ، وقد قدم عليكم جارية بن قدامة ، وإنما أرسله على

(١) كذا في أ ، ج ، و ، هـ ، ز ، ح ، ط .

ليصدق أمر قومه، والله ما هو بالأمير المطاع، ولو أدرك أمه في قومه لرجع إلى أمير المؤمنين أو لكان لي تبعاً، وأنتم الهامة العظيمة، والجرة^(١) الحامية، قدّموه إلى قومه، فإن اضطرر إلى نصركم فسيروا إليه، إن رأيتم ذلك.

فقام أبو صبرة شيان فقال: يا زياد، إني والله لو شهدت قومي يوم الجمل، رجوت ألا يقاتلوا علياً، وقد مضى الأمر بما فيه. وهو يوم يوم، وأمر بأمر، والله إلى الجزاء بالإحسان أسرع منه إلى الجزاء بالسوء، والتوبة مع الحق، والمقوم مع الندم، ولو كانت هذه فتنة لدعونا القوم إلى إبطال الدماء، واستئناف الأمور، ولكنها جماعة دماؤها حرام، وجروحها قصاص، ونحن معك تحت ما أحببت.

فصحب زياد من كلامه، وقال: ما أظن في الناس مثل هذا.

ثم قام صبرة ابنه، فقال: إنا والله ما أحببنا بمصيبة في دين ولا دنيا كما أحببنا أسس يوم الجمل، وإنا نرجو اليوم أن نخلص ذلك بطاعة الله وطاعة أمير المؤمنين، وأما أنت يا زياد، فوالله ما أدركت أمك مينا، ولا أدركنا أملنا فيك دون ردك إلى دارك، ونحن رادوك إليها غدا إن شاء الله تعالى، فإذا فعلنا فلا يكن أحد أولى بك منا، فإنك إلا تفعل لم تأت ما يشبهك^(٢)، وإنا والله نخوف من حرب علي في الآخرة، مالا نخاف من حرب معاوية في الدنيا، فقدّم هواك وأحتر هواي، فنحن معك وطلوعك.

ثم قام خنفر^(٣) الحنفي، فقال: أيها الأمير، إنك لو رضيت مينا بما ترضى به من غيرنا، لم نرض ذلك لأنفسنا، سیر بنا إلى القوم إن شئت، وإيم الله ما لقينا قوماً^(٤) قط إلا اكتفينا بعفونا دون جهدنا؛ إلا ما كان أسس.

(١) الجرة: كل جماعة انضموا صاروا بدأ واحدة ولم يخافوا عيرهم.

(٢) ج: «تشبهه».

(٣) كذا في ب، و: ج: «حنفر».

(٤) ب: «يوماً».

قال إبراهيم : فأتاجارية، فإنه كلم قوم فلم يطيعوه ، وخرج إليهم أوباش^(١) ففأوشوه
بعد أن شتموه وأسموه ، فأرسل إلى زياد والأزد ، يستعصمهم ويأمرهم أن يسيروا إليه ،
فسارت الأزد بزياد ، وخرج إليهم ابن الحضرمي ، وعلى خيله عبد الله بن خازم السلمي ،
فأقتلوا ساعة ، وأقبل شريك بن الأعور الحارثي - وكان من شيعة علي - عليه السلام ،
وصديقا لجارية بن قدامة - فقال : ألا أقاتل منك عدوك ؟ فقال : بلى ؛ فإلهت بنو نعيم
أن هزموم واضطروهم إلى دار سنبل السدي ؛ فحصرُوا ابن الحضرمي وحذوه ، فأتى رجل
من بني نعيم ، ومعه عبد الله بن خازم السلمي ، فجمعت أمه وهي سوداء حبشية اسمها مجلى ،
فأدته ، فأشرف عليها ، فقالت : يا بني ، انزل إلى ، فأنى فكشفت رأسها وأبدت فئاعها ،
وسأله النزول فأبى ، فقالت : والله لتنزلن لو لأنعمين ، وأهوت بيدها إلى ثيابها^(٢) ، فلما
رأى ذلك نزل ، فذهبت به ، وأحاطت بجارية وزباد بالدار ، وقال جارية : علي بالنار ،
فقالت الأزد : لستنا من الحريق بالنار شيء ؛ وهم قومك وأنت أعلم ، فحرق جارية
الدار عليهم ، فهلك ابن الحضرمي في سبعين رجلا ؛ أحدهم عبد الرحمن بن صير بن عثمان
القرشي التميمي ؛ وسُمي جارية منذ ذلك اليوم محرقة ؛ وسارت الأزد بزياد حتى
أوطنوه قصر الإمارة ؛ ومعه بيت المال ، وقلت له : هل بقي علينا من جوارك شيء ؟ قال :
لا ، قالوا : فبرئنا منه ؟ فقال : نعم ؛ فانصرفوا عنه . وكتب زياد إلى أمير المؤمنين
عليه السلام :

أما بعد ، فإن جارية بن قدامة العبد الصالح قدِم من عندك ، فناهضَ جمع ابن الحضرمي
بمن نصره وأعانه من الأزد ، ففضّه واضطره إلى دارٍ من دور البصرة في عدد كثير من أصحابه ، فلم
يخرج حتى حكم الله تعالى بينهما ، فقتل ابن الحضرمي وأصحابه ، منهم من أحرق بالنار ؛ ومنهم
من ألقى عليه جدار ؛ ومنهم من هُدم عليه البيت من أعلاه ؛ ومنهم من قُتل بالسيف ، وسلم

(١) الأوباش : الأخطا والسفلة من الناس

(٢) ١ ، ب : « ساقها » .

منهم فقرأنا بوا و ثابوا ، فصنع عنهم ، وبدأ لن عصى وغوى اوالسلام على أمير المؤمنين
ورحة الله وبركاته .

فلما وصل كتاب زياد قراء على عليه السلام على الناس ، وكان زياد قد أخذ مع
ظبيان بن عمار ، فسر على عليه السلام بذلك وسر أصحابه ، وأثنى على جارية وعلى
الأزد ، وذم البصرة فقال : إنها أول القرى خرابا ؛ إما غرقا وإما حرقا ؛ حتى يبق
مسجدها كعوجو سفينة . ثم قال لظبيان : أين منزلك منها ؟ فقال : مكان كذا ، فقال :
هلك بضواحيها .

وقال ابن المرنديس الأزدي بذكر تحريق ابن الحضرمي ، ويؤثر نيميا بذلك :
رَدَدْنَا زِيَادًا إِلَى دَارِهِ وَجَارِ نَيْمٍ يَنَادِي الشَّجَبَ ^(١)
لِهَا اللَّهُ قَوْمًا شَوْوًا جَسَارًا لَعَمْرِي لَيْسَ الشَّوَاءُ الشَّصَ ^(٢)
يَنَادِي الْخَلْقَ وَأَبْسَاءَهَا وَقَدْ شَيَّطُوا رَأْسَهَا بِاللَّهَبِ
وَالْخَلْقَ لَقِبَ قَوْمَ بَنِي نَيْمٍ .

(١) الشجب : الهلاك

(٢) الشص : الشاة الملوخة .

ومن كلام له عليه السلام لأصحابه :

الأصل :

أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجب البلموم ، مُنْذِحِقُ البطن ، يأكل ما يحيد ، ويطلب ما لا يحيد ، فاقتلوه - وأن تقتلوه . ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة مِنِّي ؛ فأما السب فنبؤني ؛ فإني لي زكاة ولكم نجاة ، وأما البراءة فلا تتبرءوا مِنِّي ؛ فإني وليدت على الفطرة ، وسقت إلى الإيمان والهجرة .

الشرح :

مُنْذِحِقُ البطن : بارزها ، والدحوق من الوف : التي يخرج رجبها عند^(١) الولادة .
وس يظهر : ميعط . ورجب البلموم : واسعه .

وكثير من الناس يذهب إلى أنه عليه السلام عتي زيادا ، وكثير منهم يقول : إنه عتي الحجاج . وقال قوم : إنه عتي الميرة بن شعبة ؛ والأشبه عندي أنه عتي معاوية ، لأنه كان موصوفا بهم وكثرة الأكل ، وكان بطينا ، يقعد بطنه إذا حاس على فخذه ، وكان معاوية جوادا بالمال والصلات ، ويحيا على الطعام ؛ يقال : إنه مازح أعرابيا على طعامه ، وقد قُدم بين يديه حروف ، فأمن الأعرابي في أكله ، فقال له : ما ذنبه إليك ، أطلعك أبوه ؟ فقال الأعرابي : وما حنوك عليه ؟ أَرْضَعْتِك أُمّه !

وقال لأعرابي يأكل بن يديه ، وقد استعظم أكله : ألا أبيعك سيكينا ؟ فقال :

كل امرئ سيكفيه ورأيه ، فقال : ما اسئلك ! قال : لقيم ، قال : منها أتيت .
كان معاوية يأكل فيكثر ، ثم يقول : ارفعوا ، فوالله ما شيعت ولكن
مليت ونعيت .

تظاهرت الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا على معاوية لما بعث إليه
بستدعيه ، فوجده يأكل ، ثم بعث فوجده يأكل ، فقال : « اللهم لا تشبع بطنه » ،
قال الشاعر :

وصاحب لي بطنه كالمأوىة كان في أحشائه معاوية

• • •

وفي هذا الفصل مسائل :

الأولى : في تفسير قوله عليه السلام : « فاقتلوه ولعن تقتلوه » فنقول : إنه لا تناقض بين
الأمر بالشئ والإخبار عن أنه لا يقع ، كما أخبر الحكميم سبحانه عن أن أبائهم لا يؤمن
وأمره بالإيمان ، وكما قال تعالى : « قَتَلُوا النُّفُوسَ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْهَا أَنْ لَا تُقَاتِلَ » ، ثم قال :
« وَلَا يَمْنُونَهُ أَتَذَكَّرُ » ، وأكثر التعليلات على هذا التنازع .

• • •

[مسألة كلامية في الأمر بالشئ مع العلم بأنه لا يقع]

واعلم أن أهل العدل والهجرة لم يختلفوا في أنه تعالى قد يأمر بما يعلم أنه لا يقع ، أو يخبر
عن أنه لا يقع ؛ وإنما اختلفوا : هل يصح أن يريد ما يعلم أنه لا يقع ، أو يخبر عنه أنه لا يقع ؟
فقال أصحابنا : يصح ذلك ، وقال الحنابلة : لا يصح ؛ لأن إرادة ما يعلم المريد أنه لا يقع قضية
متناقضة ، لأن تحت قولنا : « أراد » مفهوم أن ذلك المراد مما يمكن حصوله ، لأن إرادة المحال
ممتنعة . وتحت قولنا : « إنه يعلم أنه لا يقع » مفهوم أن ذلك المراد مما لا يمكن حصوله ، لأننا قد

ورضا أنه لا يقع وما لا يقع لا يمكن حصوله مع فرض كونه لا يقع ، فقال لم أصحابنا : هذا يلزمكم في الأمر ؛ لأنكم قد اجزتم أن يأمر بما يعلم أنه لا يقع ، فقالوا في الجواب : نحن عندنا أنه يأمر بما لا يريد ، فإذا أمر بما يعلم أنه لا يقع ، أو يخبر عن أنه لا يقع ، كان ذلك الأمر أمراً طارفاً عن الإرادة ، والحال إنما نشأ من إرادة ما علم للريد أنه لا يقع ، وما هنا لا إرادة .

ف قيل لم : هب أنكم ذهبتم إلى أن الأمر قد يترى من الإرادة مع كونه أمراً بالسم يقولون : إن الأمر يدل على الطلب ، والطلب شيء آخر غير الإرادة ؛ ويقولون : إن ذلك الطلب قائم بذات الباري ، فنحن نلزمكم في الطلب القائم بذات الباري ، الذي لا يجوز أن يترى^(١) الأمر منه ما ألزمونا في الإرادة .

وقول لكم : كيف يجوز أن يطلب الطالب بما يعلم أنه لا يقع ؛ أليس نعت قولنا : طلب مفهوم ؛ أن ذلك المطلوب مما يمكن وقوعه ؛ فالحال في الطلب كالحال في الإرادة ، حذو التعلل بالتعلل . ولنا في هذا الموضع أمثا دقيقة ذكرناها في كتبنا الكلامية .



[فصل فيما روى من سب معاوية وحزبه لم]

للسألة الثانية : في قوله عليه السلام : « يأمركم بسبِّي والبراءة مني » ، فنقول : إن معاوية أمر الناس بالمراق والشام وغيرها بسب علي عليه السلام والبراءة منه .

وخطب بذلك على منابر الإسلام ، وصار ذلك سنة في أيام بني أمية إلى أن قام عمر ابن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه فأزاله . وذكر شيخنا أبو عثمان الجاحظ أن معاوية كان يقول في آخر خطبة الجمعة : اللهم إن أبا تراب أخذ في دينك ، وصد من سبيلك

فألمته لعنا وببلا ، وعذبه عذابا ألما . وكعب بذلك إلى الآفاق ، فكانت هذه الكلمات يُشارها على المنابر ؛ إلى خلافة عمر بن عبد العزيز .

وذكر أبو عثمان أيضا أن هشام بن عبد الملك لما حجّ خطب بالموسم ، فقام إليه إنسان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن هذا يومٌ كانت الخلقاء تستعب فيه لمن أبي تراب ، فقال : اكفف ، فالهَذَا جثنا .

وذكر المبرد في " الكامل " ، أن خالد بن عبد الله القسريّ لما كان أمير العراق في خلافة هشام ، كان يلحن عليّا عليه السلام على المنبر ، فيقول : اللهم المن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، صهر رسول الله صلى الله عليه وآله على ابنته ، وأبا الحسن والحسين ! ثم يقبل على الناس ، فيقول هل كنيت^(١) ؟

وروى أبو عثمان أيضا أن قوما من بني أمية كانوا معاوية : يا أمير المؤمنين ، إنك قد بلغت ما أملت ، فلو كففت عن لمن هذا الرجل ؟ فقال : لا والله حتى يربو عليه الصغير ، ويهرم عليه الكبير ، ولا يذكر له ذاكر فضلا !

وقال أبو عثمان أيضا : وما كان عبد الملك - مع فضله وأمانته وسدّاده ورُجّحانه - ممن يخفى عليه فضل عليّ عليه السلام ، وأنّ لعمري على رؤوس الأشهاد ، وفي أعطاف الخطب ، وعلى صهوات المنابر مما يعود عليه نفعه ، ويرجع إليه وجهه ؛ لأنها جميعا من بني عبد مناف ؛ والأصل واحد ، والجُرثومة مثبت لها ، وشرف علىّ عليه السلام وفصله حائد عليه ، ومحسوب له ، ولكنه أراد تشييد الملك وتأكيد مافعله لأحلاف ، وأن يقرّر في أئس الناس أنّ بني هاشم لا حظّ لهم في هذا الأمر ، وأنّ سيّدكم القدي به يصلون ، وبخبره يخفرون ،

(١) الكامل ١٤ : (طبع أوروبا) .

هذا حاله وهذا مقداره ، فيكون مَنْ ينتمى إليه ويُدْرِي به عن الأمر أبعد ، وعن الوصول إليه أشحط وأنزح .

وروى أهل السيرة أن الوليد بن عبد الملك في خلافته ذكر عليا عليه السلام ، فقال : لعنه « الله » - بالجر - كان لص ابن لص .

فذهب الناس من تحته فيما لا يلحق فيه أحد ، ومن نسبته عليا عليه السلام إلى اللصوصية وقالوا : ما ندري أيهما أحجب ! وكان الوليد طنانا .

وأمر الحميرة بن شعبة - وهو يومئذ أمير الكوفة من قبل معاوية - حُجْر بن عدى أن يقوم في الناس ، فليعلن عليا عليه السلام ، فأبى ذلك ، فزعمه ، فقال : أيها الناس ، إن أميركم أمرني أن ألعن عليا قالعنه . فقال أهل الكوفة : لعنه الله ، وأعاد الضمير إلى الخبر بالنية والقصد .

وأراد زياد أن يترضى أهل الكوفة أجمعين على البراءة من علي عليه السلام ولعنه وأن يقتل كل من امتنع من ذلك ، ويحرق منزله ، فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون ، فمات - لا رحمه الله - بعد ثلاثة أيام ، وذلك في خلافة معاوية .

وكان الحجاج - لعنه الله - يلعن عليا عليه السلام ، ويأمر بلعنه ، وقال له متعرض به يوما وهو راكب : أيها الأمير ، إن أهلي عَفَوُني فسموني عليا ، فغير اسمي ، وصنني بما أتبلغ به فأبى فقير . فقال : لَلطُف ما توصلت به قد سميتك كذا ، ووليتك العمل الفلاني فاشخصْ إليه .

فأما عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإنه قال : كنت غلاما أقرأ القرآن على بعض ولد عُتْبَةَ بن مسعود ، فقرأ بي يوما وأنا ألعب مع الصبيان ، ونحن نلعن عليا ،

فكره ذلك ودخل المسجد، فتركت الصبيان وجئت إليه لأدرس عليه وردي، فلما رأيته قام فصلى وأطال في الصلاة - شبه المرض عني - حتى أحسست منه بذلك، فلما انقضى من صلاته كتح في وجهي، فقلت له: ما بال الشيخ؟ فقال لي: يا بني، أمت اللاعن علياً منذ اليوم؟ قلت: نعم، قال: فمتى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضى عنهم؟ فقلت: يا أبت، وهل كان علي من أهل بدر؟ فقال: ويحك! وهل كانت بدر كلها إلا له! فقلت: لا أعود، فقال: الله! لك لا تمود! قلت: نعم فلم ألتفه بعدها. ثم كنت أحضر تحت منبر المدينة، وأبي يخطب يوم الجمعة وهو حينئذ أمير المدينة - فكنت أسمع أبي يمر في خطبه تهدير شقاشقه، حتى يأتي إلى لمن علي عليه السلام فيجذهم، ويبرئهم من التهاة والخصر ما الله عالم به، فكنت أعجب من ذلك، فقلت له يوماً: يا أبت، أمت أفصح الناس وأحط بهم، فما لي أراك أفصح خطيب يوم حطك، حتى إذا مررت بلمن هذا الرجل، حيرت أكن علياً؟ فقال: يا بني، إن من ترى تحت منبر ما من أهل الشام وغيرهم، لو علموا من فصل هذا الرجل ما به أبوك لم يتبعوا منهم أحد. فوفرت كلمته في صدري؛ مع ما كان قاله لي معلى أيام صبري، فأعطيت الله عهداً؛ لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأعيرته، فما من الله علي بالخلافة أسقطت ذلك، وجعلت مكانه: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمَعْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْعَمَىٰ تَعْلَمُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (١)، وكتب به إلى الأفاق فصار سنة.

وقال كثير بن عبد الرحمن يمدح عمر ويذكر قطعه الس:

وليت فلم تشيم علياً ولم تحيف برئاً ولم تقبل إساءة مجرم (٢)
وكفرت بالعفو الذنوب مع الذي أتيت فأضحي راضياً كل مسلم

(١) سورة النحل ٩٠

(٢) الأمان ٩ : ٢٥٨ (طبعة دار) مع اختلاف في الرواية.

ألا إنما يكنى الفتى بعد زيمه من الأود البادى ثِقافُ للقويم
وما زلت تَوَاقا إلى كلِّ غابِزٍ بست بها أعلَى العلاء المُقدِّم
فلما أذاك الأمر عَفْواً ولم يكن لطالبٍ ديباً بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
تركت الذى بَقِيَ لَأَنْ كَانَ بَائِداً وآثرت ما يَنْقَى برأى مَصْمُومٍ

وقال الرضى أبو الحسن رحمه الله تعالى :

يَا بَنَ عَنَدِ الْعَزِيزِ لَوْ بَكَتِ الْعَيْنُ فَتَى مِنْ أُمِّهِ كَبَكَيْتُكَ^(١)
غَيْرَ أَنِ أَقُولُ إِنَّكَ قَدْ طَبَّتَ وَإِنْ لَمْ يَطِّ وَلَمْ يَزُكْ يَبْكُ
أَنْتَ نَزَهْتَنَا عَنِ السَّبِّ وَالْقَذِّ فَيَا فُلْوَ امْكُنِ الْجَزَاءَ جَزَيْتُكَ
وَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ فَبِرَكَ لَأَسْتَجَبْتُ مِنْ أَنْ أَرَى وَمَا حَيَّتُكَ
وَقَلِيلٌ أَنْ لَوْ بَدَّلْتُ دِمَاءَ السُّبْحِ مِرْقَاً عَلَى الذُّرَى وَسَقَيْتُكَ
دَيْرَ سَمْعَانَ : فَيَا مَاوِيَّ أَيْدِي خَفِ مِنْ بَرْدِي لَوْ أَنِّي آوَيْتُكَ
دَيْرَ سَمْعَانَ ، لَا أَعْلُكَ غَيْثٌ خَيْرٌ مَيَّتٍ مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَيَّتُكَ^(٢)
أَنْتَ بِالدُّكْرِ بَيْنَ عَيْنِي وَقَلْبِي إِنْ تَدَايَيْتُ يَتَكَ أَوْ إِنْ نَابَتْكَ
وَإِذَا حَرَّكَ الْحُشَا خَاطِرُ مَنْكَ تَوَهَّمْتُ أَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ
وَعَجِيبُ أَنِّي قَدَيْتُ نَبِيَّ مَرْوَانَ طُرّاً وَأَنِّي مَا قَلْبِيكَ
قَرَّبَ الْعَدْلُ مِنْكَ لِمَا نَأَى الْجَوُّ رُسُومَ فَاجْتَوَيْتَهُمْ وَاجْتَبَيْتُكَ
فَلَوْ أَنِّي مَلَكَتُ دَفْعاً لِمَا نَأَى مِنْكَ مِنْ طَارِقِ الرَّدَى لَقَدَّيْتُكَ

• • •

(١) ديوانه لوحة ١٢٤

(٢) دبر سمعان ، بكسر السين وخضعها ؛ دبر بنو اسحق دمشق عنده قبر عمر بن عبد العزيز (يالوت)

وروى ابن الكلبي ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن السائب ، قال : قال الحجاج يوماً لعبد الله بن هاني ، وهو رجل من بني أؤد - حتى من قحطان - وكان شريفاً في قومه ، قد شهد مع الحجاج مشاهدته كلها ، وكان من أنصاره وشيعته : والله ما كافأته بعد أنتم أرسل إلي أسماء بن حارثة سيد بني فرارة : أن رَوِّجْ عبد الله بن هاني بابنتك ، فقال : لا والله ولا كرامة ا فدعا بالسياط ، فما رأى الشر قال : نعم أزوجه ، ثم بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس البادية : رَوِّجْ ابنتك من عبد الله بن أؤد ، فقال : ومن أؤد إلا والله لا أزوجه ولا كرامة فقال : هل بالسيف ، فقال : دَعْنِي حتى أشاور أهلي ، فشاورهم ، فقالوا : زَوِّجْهُ ولا تعرض نفسك لهذا العاسق ، فروَّجْهُ . فقال الحجاج لعبد الله : قد زَوَّجْتُكَ بنت سيد فرارة وبنت سيد همدان ، وعظيم كهلان وما أؤد هناك ! فقال : لا تَقُلْ أ صلح الله الأمير ذاك (فَإِنَّ لَنَا مَكْرَهًا) ليست لأحد من العرب ، قال : وما هي ؟ قال : ما سُبَّ أمير المؤمنين عبد الملك في باد لنا قط ، قال : منقبة والله ، قال : وشهد مِنَّا صِفَيْنِ مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، ما شهد منا مع أي تراب إلا رجل واحد ، وكان والله ما علمته أمراً سوء ، قال : منقبة والله ، قال : ومنا نسوة نَذَرْنَ : إن قتل الحسين بن علي أن نخرج كل واحدة عشر قلائص ، ففعلن ، قال : منقبة والله ، قال : وما مِنَّا رجل عُرِضَ عليه شتم أبي تراب ولعمري إلا فعل وزاد ابنيه حسناً وحسيناً وأمهما فاطمة ، قال : منقبة والله ، قال : وما أحد من العرب له من الصباحة والملاحة مالنا ، فضحك الحجاج ، وقال : أما هذه يا أبا هاني فدعها . وكان عهدُ الله دميماً شديد الأدمة ^(١) محذورا ، في رأسه حجر ، مائل الشدق ، أحول ، قبيح الوجه ؛ شديد الحول .

• • •

وكان عبد الله بن الزبير يُبَغِّضُ علياً عليه السلام ؛ ويتخصمه وينال من عِرْضِهِ .

وروى عمر بن شبة وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواية السير ، أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها .

وفي رواية محمد بن حبيب وأبي عبيدة معمر بن النخعي : أن له أهيل سوء يتعصون به وسهم عند ذكره .

وروى سعيد بن جبير أن عبد الله بن الزبير قال لعبد الله بن عباس : ما حديث أسمعه منك ؟ قال : وما هو ؟ قال : تأيبي وذمي فقال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس المرء المسلم يشبع ويجموع جاره » ، فقال ابن الزبير : إني لأكتم بنفسيكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة . وذكر تمام الحديث .

وروى عمر بن شبة أيضا عن سعيد بن جبير ، قال : حطب عبد الله بن الزبير ، فقال من على عليه السلام ، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية ، لحاء إليه وهو يحطب ، فوضع له كرسي ، فقطع عليه خطبته ، وقال : يا معشر العرب ، شامت الوجوه ! أين تقص علي وأنتم حضورا إن عليا كان يده الله على أعداء الله ، وصاعقة من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه ، فقتلهم بكفرهم فشتتوه وأبغضوه ، واضمروا له الشنف^(١) والحسد ، وابن عمه صلى الله عليه وسلم حتى بدت لم يمت ؟ فلما قتله الله إلى جواره ، وأحب له ما عنده ، أظهرت له رجال أحقادها ، وشفت أضفانها ، فمنهم من انتزحته ، ومنهم من التحربه ليقطعه ، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل ؟ فإن يكن لقربته وناصره دعوته دولة تنشر عظامهم ، وتحفر على أجسادهم ؛ والأبدان منهم يومئذ بالية ، مدان تقتل الأحياء منهم ، وتذل رقابهم ، فيكون الله عز اسمه قد عذبهم بأيدينا وأخزاهم ؛ ونصرنا عليهم ، وشعنا صدورنا منهم ؛ إنا والله ما يشتم عليا إلا كافر يسير شتم رسول الله صلى الله عليه وآله ويخاف أن ييوح به ،

(١) الشنف : البص ، وفي م : « اليد » .

فيكني بشم علي عليه السلام عنه . أما إنه قد نطقت النية منكم من امتد عمره ، وسمع قول رسول الله صلى الله عليه وآله فيه : « لا يحببت إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق ، وسعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ، فعاد ابن الزبير إلى خطبته ، وقال : عذرتُ بفي الفواطم يتكلمون ؛ قال بال ابن أم حنيفة أقال محمد : يا ابن أم رومان^(١) ؛ ومالي لا أنكلم أهل فاني من الفواطم إلا واحدة ؛ ولم يفتني نقرها ؛ لأنها أم أخوي أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم ، جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم ، كافلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقائمة مقام أمه ؛ أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركتُ في بني أسد بن عبد المزي عظما إلا هشمته ؛ ثم قام فأنصرف .



[فصل في ذكر الأحاديث الموضوعة في ذم علي]

وذكر شيخنا أبو جعفر^(٢) الإسكافي رحمه الله تعالى - وكان من المتحققين بموالاته علي عليه السلام ، والمبالين في تفضيله ؛ وإن كان القول بالتفصيل عاما شائعا للبعداديين من أصحابنا كافة ؛ إلا أن أبا جعفر أشدُّهم في ذلك قولا ، وأخلصهم فيه اعتقادا ؛ أن معاوية وضع قوما من الصعابة وقوما من التابمين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام ، تقتضي العطن فيه والبراءة منه ؛ وجعل لهم على ذلك جملا يرضون في مثله ؛ فاختلقوا ما أَرْضاه ، منهم أبو هريرة وعمر بن الخطاب والخيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير .
روى الزهري أن عروة بن الزبير حدثه ، قال : حدثني عائشة ، قالت : كنتُ عند

(١) كذا في أ ، ب ، وفي ج : « ثبيلة » .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله الإسكافي ؛ من متكلمي الفطرة وأحد أئمتهم ؛ وإليه تنسب الطائفة الإسكافية منهم ؛ وهو بعدادي أصله من سمرقند ؛ قال ابن النديم : كان يجيب الشأن في العلم والذكاء والصيانة ونبل الهمة والبراعة ؛ بلغ في مقدار عمره ما لم يأنه أحد ؛ وكان للمعصم يظلمه ، وله ناظرات مع الكرايس وغيره . توفي سنة ٢٤٠ ، لسان البغزان : ٢٢١

رسول الله إذ أقبل للعباس وعليّ ، فقال : يا عائشة ، إن هذين يموتان على غير ملتقى .
أو قال ديبى .

وروى عبد الرزاق عن معمر ، قال : كان عند الزهريّ حديثان عن عروة عن عائشة
في عليّ عليه السلام ؛ فأتته عنهما يوما ، فقال : مانصع بهما ومحدثهما ؟ الله أعلم بهما ؛
أتى لأتتهما في بنى هاشم .

قال : فأما الحديث الأول ؛ فقد ذكرناه ؛ وأما الحديث الثاني فهو أن عروة قد زعم أن
عائشة حدثته ، قالت : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعليّ ، فقال :
« يا عائشة ؛ إن سرتك أن تنظري إلى رحلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا » ،
فانظرت ، فإذا العباس وعليّ بن أبي طالب .

وأما عمرو بن العاص ، فروى عنه الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما
مسنداً متصلاً بعمرو بن العاص ، قال : نيمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن
آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء إنما واثقى الله وصالح المؤمنين » .

وأما أبو هريرة ، فروى عنه الحديث الذي معناه أن عليا عليه السلام خطب ابنه
أبي جهل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستخطه ، فخطب على المنبر ، وقال :
لاها الله ! لا تجتمع ابنة ولي الله وابنة عدو الله أبي جهل ! إن فاطمة بضعة^(١) مني يؤذي
ما يؤذيها ؛ فإن كان عليّ يريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي ، وليفعل ما يريد ، أو كلاما
هذا معناه ، والحديث مشهور من رواية الكرايسي .

قلت : هذا الحديث أيضا مخرج في صحيحي مسلم والبخاري عن السّوّار بن محرمة
الزهريّ ؛ وقد ذكره المرتضى في كتابه « المسمى تنزيه الأنبياء والأئمة » ، وذكر أنه رواية

(١) بضعة ، أي قطعة .

حسن الكرايسى^(١)، وأنه مشهور بالأخراف عن أهل البيت عليهم السلام، وعداوتهم
والفاسدة لهم، فلا تقبل روايته.

ولشاع هذا الخبر وانتشاره ذكره مروان بن أبي حفصة في قصيدة يمدح بها الرشيد،
ويذكر فيها وفد فاطمة عليهم السلام ويُنحى عليهم، ويدتهم، وقد بالغ حين ذمّ عليها عليه
السلام ونال منه، وأولها:

سَلَامٌ عَلَى بُجَلٍ، وَهَيْهَاتَ مِنْ جَلٍ وَاحْتِذَا جَلٌ وَإِنْ صَرَمَتْ حَبْلِي
يقول فيها:

عَلَى أَبِيكُمْ كَانَ أَصْلَ مَنْكُمْ إِيَّاهُ ذُو الثَّوْرِ وَكَأَمَّا ذُو الْفَضْلِ
وَسَاءَ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا سَاءَ بَنَتْهُ مَخِطَتُهُ بَيْتَ الْآمِنِ أَبِي حَمَلٍ
فَذَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَاحِبِكُمْ عَلَى يَنْتِجِ بِالْمَطْلُوقِ الصَّادِعِ الْفَضْلِ
وَحَكْمٌ فِيهَا حَاكِنِ أَبِيكُمْ مَا حَلَمَاءُ حَلَعِ ذِي النَّعْلِ لِلنَّعْلِ
وَقَدْ بَاعَهَا مِنْ بَعْدِ الْحَسَنِ إِنَّهُ فَقَدْ أَطْلَعْتُ دَعَاكُمْ الرِّثَّةُ الْحَلِ
وَحَلَّتْهُمَا وَهِيَ فِي غَيْرِ أَهْلِهَا وَمَا لِبَتْمُوهَا حِينَ صَارَتْ إِلَى أَهْلِهَا

وقد روى هذا الخبر على وجوه مختلفة، وفيه زيادات متفاوتة؛ فمن الناس من يروى
فيه: «مهما ذمنا من صهر فإننا لم نذم صهر أبي العاص بن الربيع»، ومن الناس من يروى
فيه: «ألا إن بني العميرة أرسلوا إلى عليّ ليبرؤوه كريمةهم...» وغير ذلك.
وعندي أن هذا الخبر لو صحح لم يكن على أمير المؤمنين فيه عضاضة ولا قدح، لأن

(١) هو أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرايسى البغدادي؛ صاحب الإمام الشافعي، وأشهرهم
بإيراد مجله وأحفظهم لذهبه؛ وله تصانيف كثيرة في أصول الفقه ومروعه. توفي سنة ٢٤٨ هـ ابن
خليلان ١: ١٤٥

الأمة مجمعة على أنه لو فكح ابنة أبي جهل ، مصافاً إلى نكاح فاطمة عليها السلام لجاز . لأنه داخل تحت عموم الآية المبيحة للنساء الأربع ؛ فابنة أبي جهل المشار إليها كانت مسلمة ، لأن هذه القصة كانت بعد فتح مكة ، وإسلام أهلها طوعاً وكرهاً ، ورواة الخبر موافقون على ذلك ؛ فلم يبق إلا أنه إن كان هذا الخبر صحيحاً فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما رأى فاطمة عليها السلام قد غارت ، وأدركها ما يدرك النساء ، عاتب عليها عليه السلام عتاب الأهل ، وكما يستثت الوالد رأى الولد ، ويستعطفه إلى رضا أهله وصلاح روجته . ولعل الواقع كان مع هذا الكلام خرف وزيد فيه . ولو تأملت أحوال النبي صلى الله عليه وآله مع روجاته ، وما كان يجري بينه وبينهن من الفصب تارة ، والصلح أخرى ، والسخط تارة والرضا أخرى ، نعتي بلع الأمر إلى الطلاق مرة ، وإلى الإيلاء مرة ، وإلى الهجر والقطيعة مرة ، (وتدرجت ما درج) في الروايات الصحيحة مما كُنَّ يلقينه عليه السلام به ، ويُسمِّنه إياه ؛ لعلنا أن الذي عاب الحسنة والشائون عليها عليه السلام به بالنسبة إلى تلك الأحوال قطرة من البحر المحيط ، ولو لم يكن إلا قصة مارية وما جرى بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين تينك الامراتين من الأحوال والأقوال ؛ حتى أنزل فيهما قرآن يُشَلِّي في الحارِيب ، ويكتب في الصاحف ، وقيل لهما ما لا يقال للإسكندر ملك الدنيا لو كان حياً ، منابداً الرسول الله صلى الله عليه وآله : ﴿ وَإِنْ تَطَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴾ (١) ، ثم أردف بعد ذلك بالوعيد والتخويف : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ . . . ﴾ (٢) الآيات بتمامها . ثم ضرب لهما مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط اللتين خانتا بعليهما ، فلم يفتيا عنهما من الله شيئاً ؛ وتمام الآية معلوم . فهل ماروى في الخبر من تعصب فاطمة على علي عليه السلام

وعَظَمَتِهَا مِنْ تَعْرِيسِ بَنِي الْعَبْرَةِ لَهُ بِفِكَاحِ عَقِيلَتِهِمْ ، إِذَا قُوِيَ إِلَى هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَغَيْرِهَا
عَمَّا كَانَ يَجْرِي إِلَّا كَنَسْبَةِ التَّأْيِيفِ^(١) إِلَى حَرْبِ الْبُيُوتِ وَلَكِنْ صَاحِبُ الْهَوَى وَالْمَعْصِيَةِ
لَا عِلَاجَ لَهُ .

ثُمَّ سَوَّدَ إِلَى حِكَايَةِ كَلَامِ شَيْعَتِنَا أَبِي حَمْفَرِ الْإِسْكَافِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ أَبُو حَمْفَرٍ :
وَرَوَى الْأَعْمَشُ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْعِرَاقَ مَعَ مَعَاوِيَةَ عَامَ الْجُمُعَةِ ، جَاءَ إِلَى مُسْعِدِ
الْكُوفَةِ ، فَلَمَّا رَأَى كَثْرَةَ مَنْ اسْتَقْبَلَهُ مِنَ النَّاسِ جَنَأَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ ، ثُمَّ صَرَبَ صَلَعَتَهُ مِرَارًا ،
وَقَالَ : يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ ، أَنْزِعُوا عَنْيَ أَكْذَابَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَحْرِقُوا نَفْسِي بِالنَّارِ
وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « إِنْ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَرَمًا ، وَإِنْ
حَرَمِي بِالْمَدِينَةِ ، مَا بَيْنَ عَيْثٍ إِلَى ثَوْرٍ ، لَنْ أُحْدِثَ فِيهَا حَدِثًا عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » ، وَأَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنْ عَلِيًّا أَحْدَثَ فِيهَا . فَلَمَّا بَلَغَ مَعَاوِيَةَ قَوْلَهُ أَحَازَهُ وَأَكْرَمَهُ
وَوَلَّاهُ إِمَارَةَ الْمَدِينَةِ .

قُلْتُ : أَمَّا قَوْلُهُ : « مَا بَيْنَ عَيْثٍ إِلَى ثَوْرٍ »^(٢) ، فَالطَّاهِرُ أَنَّهُ عَلَطَ مِنَ الرَّاوِي ، لِأَنَّهُ ثَوْرٌ أَمْكَةٌ
وَهُوَ حَبْلٌ يُقَالُ لَهُ : ثَوْرٌ أَطْحَلُ ، وَفِيهِ الْعَارُ الَّذِي دَخَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَإِنَّمَا
قِيلَ : « أَطْحَلُ » لِأَنَّهُ أَطْحَلُ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابِخَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُصَرِّ بْنِ زَارٍ
ابْنِ عَدْنَانَ كَانَ يَسْكُنُهُ . وَقِيلَ : اسْمُ الْجَبَلِ أَطْحَلُ ، فَاصْيَفُ « ثَوْرٍ » إِلَيْهِ ، وَهُوَ ثَوْرٌ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ ،
وَالصَّوَابُ : « مَا بَيْنَ عَيْثٍ إِلَى أُحُدٍ »^(٣) .

فَأَمَّا قَوْلُ أَبِي هُرَيْرَةَ : « إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْدَثَ فِي الْمَدِينَةِ » ، فَخَاشَ اللَّهُ إِنْ كَانَ عَلَى
عَلِيٍّ السَّلَامُ أَتَقَى اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَدْ نَصَرَ عُمَانُ نَصْرًا لَوْ كَانَ الْحَصُورُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
لَمْ يَبْذُلْ لَهُ إِلَّا مِثْلَهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَبُو هُرَيْرَةَ مَدْحُولٌ عِنْدَ شَيْوَحَا عَيْرِ مَرْضَى الرَّوَايَةِ ، ضَرْبُهُ هَر

(١) ج : « التَّأْيِيفُ » .

(٢) عَيْرٌ : جَبَلٌ بِالْحِجَازِ .

(٣) مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٦ : ٢٤٦ : « وَهِيَ بِالْمَدِينَةِ » .

بالدرة، وقال : قد أ كثرت من الرواية وأخر بك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه !

وروى سفيان الثوري عن منصور ، عن إبراهيم الفيصي ، قال : كانوا لا يأخذون من أبي هريرة إلا ما كان من ذكر جنة أو نار .

وروى أبو أسامة عن الأعمش ، قال : كان إبراهيم صحيح الحديث ، فكنت إذا سمعت الحديث أتيت فمرضته عليه ، فأتيت يوماً بأحد من حديث أبي صالح عن أبي هريرة ، فقال : دعني من أبي هريرة ، إنهم كانوا يتركون كثيراً من حديثه .

وقد روى عن علي عليه السلام أنه قال : ألا إن أكذب الناس - أو قال : أكذب الأحياء - علي رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدؤسي .

وروى أبو يوسف ، قال أتت لأبي كسيفة : الخمر يحيى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يخالف قياسنا ما تصنع به ؟ قال : إذا جاءت به الرواة الثقات عجلنا به وتركنا الرأي ، فقلت : ما تقول في رواية أبي بكر وعمر ؟ قال : ناهيك بهما ! فقلت : علي وعثمان ، قال : كذلك ، فلما رأي أن أعد الصعابة قال : والصعابة كلهم حلول ماعدًا رجلاً ، ثم عد منهم أبا هريرة وأنس بن مالك .

وروى سفيان الثوري ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن عمر بن عبد الغفار ، أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية ، كان يجلس بالعشيات بباب كندة ، ويجلس الناس إليه ، فجاء شاب من الكوفة ، فجلس إليه ، فقال : يا أبا هريرة ، أنشدك الله ، أسمعك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب : « اللهم وال من والاه وواد من عاداه » ! فقال : اللهم سم ، قال : فأشهد بالله ، لقد واليت عدوه ، وواديت وليه ! ثم قام عنه .

وروت الرواة أن أبا هريرة كان يؤكل الصبيان في الطريق ، ويلعب معهم ، وكان يُخطب وهو أمير المدينة ، فيقول : الحمد لله الذي جعل الدين قياما ، وأبا هريرة إماما ؛ يضحك الناس بذلك . وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق ، فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه ، ضرب برجليه الأرض ، ويقول : الطريق الطريق ! قد جاء الأمير !
يعنى نفسه .

قلت قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب " للعارف " (١) في ترجمة أبي هريرة ، وقوله فيه حجة لأنه خير من غيره عليه .

• • •

قال أبو جعفر : وكان الميرة بن شعبة يلعن عليا عليه السلام لعاصريه على منبر الكوفة ، وكان يلغى عن علي عليه السلام في أيام عمر أنه قال : لن رأيت الميرة لأرجته بأحقاره . يعنى واقعة الزنا بالمرأة التي شهد عليه فيها أبو بكر ، ونكّل رباذ عن الشهادة . فكان يُنفضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت في حقه .

قال : وقد تظاهرت الرواية عن عروة بن الزبير أنه كان يأخذ الزم (٢) عند ذكر علي عليه السلام فيسبه ويضرب بإحدى يديه علي الأخرى ، ويقول : وما بيني أنه لم يجانب إلى ما نهي عنه ، وقد أراق من دماء المسلمين ما أراق !

• • •

قال : وقد كان في المحدثين من يُبغضه عليه السلام ، ويروى فيه الأحاديث المنكرة ؛ منهم حريز بن عثمان ، كان يُبغضه وينقصه ، ويروى فيه أخبارا مكذوبة . وقد روى

(١) للعارف ص ١٢١

(٢) الزم : الرعدة .

المحدثون أن حريرا رثي في اللام بعد موته ، فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : كاد يعفر لي لولا بعض عليّ .

قلت : قد روى أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب " السقيفة " ، قال : حدثني أبو جعفر بن الجنيّد ، قال : حدثني إبراهيم بن الجنيّد ، قال : حدثني محفوظ ابن الفضل بن عمر ، قال : حدثني أبو السهول يوسف بن يعقوب ، قال : حدثنا حمزة ابن حسان - وكان مولى لبني أمية ، وكان مؤذنا عشرين سنة ، ووحجّ غير حجة ، وأثنى أبو السهول عليه حيرا - قال : حصرت حريرا بن عثمان ، ودكر عليّ بن أبي طالب ، فقال : ذلك الذي أحلّ حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى كاد يقع .

قال محفوظ : قلت ليعبي بن صالح الوُحاطي : قد رويت عن مشايخ من نظراء حرير ، فما بالك لم تحمّل عن حريرا ؟ قال : كنت أبيتته فناولني كتابا ، فإذا فيه : حدثني فلان عن فلان أن النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة أوصى أن تقطع يد عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، فرددت الكتاب ، ولم أستعمل أن أكتب عنه شيئا .

قال أبو بكر : وحدثني أبو جعفر ، قال : حدثني إبراهيم ، قال : حدثني محمد ابن عاصم ، صاحب الخانات ، قال : قال لنا حرير بن عثمان : أتم يا أهل العراق نحبون عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نعلمه ، قالوا : لم ؟ قال : لأنه قتل أجدادي . قال محمد بن عاصم : وكان حرير بن عثمان مارلا علينا .

قال أبو جعفر رحمه الله تعالى : وكان الميرة بن شعبة صاحب دنيا ، يبيع دينه بالقليل النزر منها وبرضى معاوية بذكر عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال يوما في مجلس معاوية : إن عليا لم يُفكِّحْ رسول الله ابنته حسا ؛ ولكنه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه .

قال : وقد صبح عندنا أن للخيرة لسنه على منبر المراق مرات لا تحصى ؛ ويروى أنه لما مات ودفنوه ، أقبل رجل راكب ظلياً ، فوقف قريباً منه ثم قال :
 أمّن رَسْمَ دَارٍ مِنْ مَنْسِيرَةٍ نَعْرِفُ ُ عليها زواني الإنس والجن نَعْرِفُ
 فَإِنْ كُنْتَ قَدْ لَاقَيْتَ فِرْعَوْنَ بَعْدَمَا وهامان قاعلم أن ذا العرش منصِفُ
 قال : فطلبوه فملأ بهم ولم يَرَوْا أحداً ، فعلموا أنه من الجن .



قال : فأما مروان بن الحكم فأحق وأقل من أن يذكر في الصحابة الذين قد
 لهم مقام وأرضعنا سوء رأينا فيهم ؛ لأنه كان مجاهراً بالإلحاد هو وأبوه الحكم بن أبي
 العاص ؛ وهما الطريدان اللعينان ، كان أبوه عدو رسول الله صلى الله عليه وآله يحكيه
 في مشيه ، ويضرب عليه عينه ، ويدلج ^(١) لسانه ويتكلم به ، ويتهاف ^(٢) عليه ؛ هذا
 وهو في قبضته وتحت يده ، وفي دار دفنوه بالمدينة ؛ وهو يعلم أنه قادر على قتله أي وقت
 شاء من ليل أو نهار ، فهل يكون هذا إلا من شأى شديد البينة ، ومستحکم
 العداوة ؛ حتى أفضى أمره إلى أن طرده رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدينة ،
 وسيره إلى الطائف ا

وأما مروان ابنه فأخبت عقيدة ، وأعظم إلحاداً وكفراً ؛ وهو الذي حطب يوم
 وصل إليه رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة ؛ وهو يومئذ أميرها وقد حمل الرأس على
 يديه فقال :

يَا حَتَّاءَ بَرْدِكَ فِي الْيَدَيْنِ وَحُمْرَةَ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ

• كَأَنَّمَا بَيْتَ بِمَسْجِدَيْنِ •

(١) يدلج لسانه : يخرج به .

(٢) التهاف : الضحك مع الاستهزاء .

نم رمى بالرأس نحو قبر النبي ، وقال : يا محمد ، يوم بيوم بدر . وهذا القول مشتق من الشعر الذي تمثل به يزيد بن معاوية وهو شعر ابن الزُّعْرَى يوم وصل الرأس إليه .
واختبر مشهور^(١) .

قلت : هكذا قال شيخنا أبو جعفر ؛ والصحيح أن مروان لم يكن أمير المدينة يومئذ بل كان أميرها عمرو بن سعيد بن العاص ، ولم يحمل إليه الرأس ؛ وإنما كتب إليه عبيد الله بن زياد يبشره بقتل الحسين عليه السلام ، فقرأ كتابه على المنبر ، وأشد الرجز المذكور ، وأوماً إلى القبر قائلاً : يوم بيوم بدر ، فامكر عليه قوله قوم من الأصابع . ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب "الثالث" .

قال : وروى الواقدي أن معاوية لما هاد من العراق إلى الشام بعد بيعة الحس عليه السلام واجتماع الناس إليه حطب فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : « إنك سعلي الخلافة من يدي » فآختر الأرض المقدسة ، فإن فيها الأبدال ، وقد اخترتكم ، فالعنوا أبا تراب . فلعنوه ، فلما كان من المد كتب كتاباً ، ثم جمعهم فقرأ عليهم ، وفيه : هذا كتاب كتبته أمير المؤمنين معاوية ، صاحب وحي الله الذي بعث محمدًا نبياً ، وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً أميناً ، فكان الوحي يدرك على محمد وأما أكتبه ، وهو لا يعلم ما أكتب ، فلم يكن يبي وبين الله أحد من حاشيته . فقال له الحاصرون كلهم : صدقت يا أمير المؤمنين

(١) ذكر أبو الفرج الأصبهاني في مقال الصاميين ١١٩ . وصل : إنه تمثل أيضا والرأس بين يديه بلول عبد الله بن الزبير .

لَيْتَ أَشْيَاخِي يَبْدُرُ شَهْدُوا جَزَعَ الْخَرْجِجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلِ
قَدْ قَتَلْنَا الْقَرَمَ مِنْ أَشْيَاخِهِمْ وَعَدَلْنَا سَاءَ يَبْدُرُ فَاعْتَدَلْ

والبيتان من قصيدة أشعثا يوم أحد ؛ في الحيوان ٥ : ٦٤ ، وسيرة ابن هشام ٣ : ١٤٤ ، ووطحات الشراء لابن سلام ١٩٩ ، ٢٠٠ .

قال أبو حمزة : وقد روى أن معاوية بذل لِسْمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجِيبُ قَوْلَهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْإِنْسَانِ ﴾ • وإذا تولى سقى في الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُنَافِقَ ^(١) ، وإن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، فلم يقبل ، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف فقبل ، وروى ذلك .

قال : وقد صرح أن بنى أمية منعوا من إظهار فضائل علي عليه السلام ، وهاهنا [علي] ذلك الراوى له ؛ حتى إن الرجل إذا روى عنه حديثا لا يعلق بفصله بل بشرائع الدين لا يجاسر على ذكر اسمه ؛ فيقول : عن أبي زهير ^(٣) .

وروى عطاء ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : وددت أن أترك فأحدث فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام يوما إلى الليل ؛ وأن عُنُقِي هذه ضربت بالسيف .

قال : فالأحاديث الواردة في فضله لو لم تكن في الشهرة والاستفاضة وكثرة النقل إلى غاية بعيدة ، لا قطع قلبها بالخوف والتقية من بنى مروان مع طول المدة ، وشدة العداوة ؛ ولولا أن الله تعالى في هذا الرجل سرًّا يصله من يعلمه لم يرو في فصله حديث ، ولا عرفت له منقبة ؛ ألا ترى أن رئيس قرية لو سخط على واحد من أهلها ، ومنع الناس أن يذكروه بخير وصلاح لخلل ذكره ، ونسى اسمه ، وصار وهو موجود معدوما ، وهو حي ميتا ؛ هذه خلاصة ما ذكره شيخنا أبو جعفر رحمه الله تعالى في هذا المعنى في كتاب التفضيل .

• • •

(١) سورة البقرة ٢٠٤ ، ٢٠٥

(٢) سورة البقرة ٢٠٧

[فصل في ذكر المنحرفين عن علي]

وذكر جماعة من شيوخنا البهادريين أن عدة من الصعابة والتامين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام، قائلين فيه السوء، ومنهم من كتم مناقبه وأعلن أعداءه ميلا مع الدنيا، وإيثارا للمأجلة؛ فبههم أنس بن مالك، ناشد علي عليه السلام الناس في رغبة القصر - أو قال رغبة الجامع بالكوفة -: أيكم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ » ؟ فقام اثنا عشر رجلا فشهدوا بها، وأنس بن مالك في القوم لم يبق، فقال له: يا أنس، ما يمنعك أن تقوم فتشهد، ولقد حضرتهَا فقال: يا أمير المؤمنين، كبرتُ وسيت، فقال: اللهم إن كان كاذبا فارمه بها بفضاء لا توارىها العامة. قال طلحة بن عمار: فوالله لقد رأيتُ التوضيح به بعد ذلك أبيض بين عينيه.

وروى عثمان بن مطرف أن جلا سال أنس بن مالك في آخر عمره عن علي بن أبي طالب، فقال: إني آليتُ ألا أكتم حديثا سئلت عنه في علي بعد يوم الرحبة؛ ذاك رأسُ المتقين يوم القيامة، سمعته واقه من ببيكم.

وروى أبو إسرائيل عن الحكم عن أبي سليمان المؤذن، أن عليا عليه السلام نَشَدَ الناس مَنْ سَمِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ »، فشهد له قوم وأمسك زيد بن أرقم، فلم يشهد - وكان يعلها - فلما علي عليه السلام عليه بذهاب البصر فصي، فكان يحدث الناس بالحديث بعد ما كُفِّ بصره.

قالوا: وكان الأشعث بن قيس الكندي وجريز بن عبد الله البجلي يُبْنِضَانَهُ؛ وهُم علي عليه السلام دار جريز بن عبد الله.

قال إسماعيل بن جريز: هدم علي دارنا مرتين.

وروى الحارث بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير بن عبد الله ثعلب من نعله، وقال: احتفظ بهما، فإن ذهابهما ذهب دينك؛ فلما كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلما أرسله على عليه السلام إلى معاوية ذهبت الأخرى؛ ثم فارق عليها واعتزل الحرب.

• • •

وروى أهل السيرة أن الأشعث خطب إلى علي عليه السلام ابنه، فزبره، وقال: يا ابن الحائك، أغرك ابن أبي قحافة!

وروى أبو بكر الهذلي عن الزهري، عن عبيد الله بن عدي بن الخيار بن نوفل بن عبيد مناف، قال: قام الأشعث إلى علي عليه السلام، فقال: إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله عهد إليك عهداً لم يمهده إلى غيرك؛ فقال: إنه عهد إلى ما في قراب سبي؛ لم يمهده إلى غير ذلك. قال الأشعث: هذه إن قلتها فهي عليك لا لك؛ دعها ترحل عنك، فقال له: وما عليك بما علي بما لي؟ فقال: ما لي بكافراً، حائك ابن حائك! إني لأجد منك بنة^(١) الرزل. ثم التفت إلى عبيد الله بن عدي بن الخيار، فقال: يا عبيد الله، إنك لتسمع خلافاً وتري مجاباً، ثم أنشد^(٢):

أصبحت هُزْءاً للرأي للسان أتبعه^(٣) ماذا يرييك مني رأيي للسان!

وقد ذكرنا في بعض الروايات المتقدمات أن سبب قوله: «هذه عليك لا لك»، أمر آخر، والروايات تختلف.

وروى يحيى بن عيسى الرملي، عن الأعشى: أن جريراً والأشعث خرجا إلى جيبان^(٤) الكوفة، فمرّ بهما نخب يمدو، وهما في ذم علي عليه السلام، فنادياه: يا أبا حنبل! هم

(١) البنة: الزائغة؛ وأهل اليمن معروفون بالنزل والمباكة.

(٢) البيت لكلام بن أمية بن الأسكر؛ من أبيات له في ذيل الأمان ١٨٠.

(٣) ج: «أصبحت فرحاً».

(٤) الجيبان في الأصل: الصحراء، وأهل الكوفة يسمون القفرة جيبان، وفي: «ملك الجبال».

يَدَّكَ نَبَايَسُكَ بِالْخِلَافَةِ ، فَبَلَغَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَوْلَهَا ، فَقَالَ : أَمَّا إِيهَا يَحْشُرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَأَمَامَهُمَا ضَمَّةٌ .

وَكَانَ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ مَنَعَرًا عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، رَوَى شَرِيكَ ، عَنْ عُمَانَ
ابْنِ أَبِي زُرْعَةَ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : تَذَاكُرُ الْقِيَامَ إِذَا مَرَّتِ الْجَنَازَةُ عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، فَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيُّ : قَدْ كُنَّا نَقُومُ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ذَلِكَ وَأَنْتُمْ
يَوْمَئِذٍ يَهُودٌ .

وَرَوَى شُعْبَةُ ، عَنْ عُبَيْدِ بْنِ الْحُسَيْنِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَقَلٍ ، قَالَ : حَضَرْتُ
عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَدْ سَأَلَهُ رَجُلٌ عَنْ امْرَأَةٍ تُوُفِّيَتْ بِهَا زَوْجَاهُ وَهِيَ حَامِلٌ ، فَقَالَ : تَلِدُ بَعْسُ
أَبَدَدَ الْأَجَلَيْنِ ، قَالَ رَجُلٌ : فَإِنْ أَيْمَسَّ أَبُو مَسْعُودٍ يَقُولُ : وَضَعَهَا انْقِضَاءَ عِدَّتِهَا ، فَقَالَ عَلِيٌّ
عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ فُرِجَ لِي لَا يَلُمُّ ؛ فَنَحَلَّ قَوْلَهُ أَبُو مَسْعُودٍ ، قَالَ : بَلَى ، وَلِلَّهِ إِنْ لَأْلَمُ أَنْ
الْآخِرُ شَرٌّ .

وَرَوَى الْمُهَالِ ، عَنْ نَسِيمِ بْنِ دَجَاجَةَ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، إِذْ جَاءَ
أَبُو مَسْعُودٍ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَاءَكُمْ فُرُوجٌ ، فَبَجَاءَ فَبَطَسَ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
بَلَنْفَى أَمْلَكَ تَقَى النَّاسَ ، قَالَ : نَعَمْ ، وَأَخِيرُهُمْ أَنْ الْآخِرُ شَرٌّ ، قَالَ : فَهَلْ مَحَسَتْ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِتَّةٌ مِائَةً
وَعَلَى الْأَرْضِ عَيْنُ تَطْرَفٍ » ، قَالَ : أَحْطَاتُ اسْتَكْ الْحَفْرَةَ ، وَظَلَمْتُ فِي أَوَّلِ ذَلِكَ ؛ إِذَا
عَقَى مَنْ حَضَرَهُ يَوْمَئِذٍ ، وَهَلِ الرَّخَاءُ إِلَّا بَعْدَ اللَّاتَةِ !

وروى جماعة من أهل السير أن علياً عليه السلام كان يقول عن كسب الأخبار :
إنه لكذاب ؛ وكان كسب متصرفاً عن علي عليه السلام . وكان النعمان بن بشير الأنصاري
متصرفاً عنه ، وعدوا له ، وخاض العماء مع معاوية خوفاً ، وكان من أمراء يزيد ابنه حتى
قتل وهو على حاله .

وقد روى أن همران بن الحصين كان من المتصرفين عنه عليه السلام ، وأن علياً
سيره إلى المدائن ؛ وذلك أنه كان يقول : إن مات علي فلا أدري ما موته ، وإن قتل فمسي
أني إن قتل رجوت له .

ومن الناس من يجعل همران في الشيعة .

وكان سمرة بن جندب من شرطية زياد ، روى عبد الملك بن حكيم عن الحسن ، قال :
جاء رجل من أهل خراسان إلى البصرة ، فترك ما لا كان معه في بيت المال ، وأخذ براءة ،
ثم دخل المسجد فصلى ركعتين ، فأخذه سمرة بن جندب ، وأتبعه برأى الخوارج ، فقدمه
فضرب عنقه ؛ وهو يومئذ على شرطية زياد ، فطروا فيما معه فإذا البراءة بخط بيت المال ،
فقال أبو بكر (١) : يا سمرة ، أما سمعت الله تعالى يقول : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَرَكَ كُفْرَهُ ﴾ . وذكر
أسم ربّه فصلى (٢) فقال : أخوك (٣) أمرني بذلك .

وروى الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قيل لما : قد قدم رجل من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فأتيناه فإذا هو سمرة بن جندب ، وإذا عند إحدى رجله خمر ، وعند
الأخرى ثديج ، فقلنا : ما هذا ؟ قالوا : به النفس ، وإذا قوم قد أتوه ، فقالوا يا سمرة ،

(١) هو أبو بكر التقي ، واسمه نعيم بن مسروح . (٢) سورة الأمل ١٤ ، ١٥ .
(٣) يريد زياد بن أبيه ، وكان أخاً أبي بكر لأنه سبية .

ما تقول ربك خدا؟ تؤنى بالرجل فيقال لك : هو من الخوارج فأمر بقتله ، ثم تؤنى بآخر
فيقال لك : ليس احدى قتلته بخارجي ، ذاك فتى وجدناه ماضياً في حاجته ، فشبه علينا ،
وإنما الخارجي هذا ، فأمر بقتل الثاني ا قتال ثمرة : وأى بأس في ذلك ! إن كان من أهل
الجنة مضى إلى الجنة ؛ وإن كان من أهل النار مضى إلى النار !

• • •

وروى واصل مولى أبي عيينة ، عن جعفر بن محمد بن علي عليه السلام عن آباءه ، قال :
كان لسُمر بن جندب نخل في بستان رجل من الأنصار ، فكان يؤذيه ، فشكا الأنصاري
ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فبعث إلى ثمرة ، فدعاه فقال له : مع نخلك من
هذا ، وحذثه ، قال : لأفضل ، قال : تعذ نخل مسكان نخلك ، قال : لأفضل ، قال :
فاشتر منه ستاه ، قال : لأفضل ، قال : فامرك لي بهذا النخل ولك الجنة ، قال :
لأفضل ، فقال صلى الله عليه وسلم للأَنْصاري : « اذهب فاقطع نخله ، فإنه
لاحق له فيه » .

■ ■ ■

وروى شريك قال : أخبرنا عبد الله بن سعد عن حُجْر بن عدي ، قال : قدمت للدينة
فجلست إلى أبي هريرة ، فقال : بمن أنت ؟ قلت : من أهل البصرة ؛ قال : ما فعل ثمرة
ابن جندب ؟ قلت : هو حي ، قال : ما أحد أحب إليّ طول حياة منه . قلت : ولم ذاك ؟
قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي وله ولحفيفة بن الحيمان : « أخركم موتاً
في النار » ؛ فسبقنا حفيفة ؛ وأنا الآن آتئني أن أسبقه ، قال : فبقي ثمرة بن جندب حتى
شهد مقتل الحسين .

وروى أحمد بن بشير عن مسمر بن كدام ، قال : كان ثمرة بن جندب أيام مسير

الحسين عليه السلام إلى الكوفة على شُرطة عبيد الله زياد ، وكان يحرّض الناس على الخروج إلى الحسين عليه السلام وقتاله .

• • •

ومن للتعرفين عنه ، المبعصين له عند الله بن الزبير ؛ وقد ذكرناه آنفا ؛ كان على عليه السلام يقول : مازال الزبير مينا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله ، فأفسده .
وعبد الله هو الذي حمل الزبير على الحرب ؛ وهو الذي زين لعائشة مسيرها إلى البصرة ؛ وكان سبابا فاحشا ، يُبصص بنى هاشم ، ويلمع وبسب علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان على عليه السلام يفت في صلاة الفجر وفي صلاة المغرب ، ويلمع معاوية ، وعمرًا ، والمغيرة ، والوليد بن عقبة ، وأبا الأعمور ، والصعلك بن قيس ؛ وبشر بن أرطاة ، وحبيب بن مسلمة ، وأبا موسى الأشعري ، ومروان بن الحكم ؛ وكان هؤلاء يفتنون^(١) عليه ويلمونه .

• • •

وروى شيخنا أبو عبد الله البصريّ المتكلم رحمه الله تعالى ، عن نصر بن عاصم الليثي ، عن أبيه ، قال : أتيت مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والناس يقولون : نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله ؛ فقلت : ما هذا ؟ قالوا : معاوية قام الساعة ، فأخذ يبدأ في سفیان ، نفرجا من المسجد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لمن الله التابع والمتبوع ؟ رب يوم لأمتي من معاوية ذي الأستاء » ، قالوا : يمي الكبير المعجّز .

وقال : روى العلاء بن حريز القشيري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية : « لتتخذن يا معاوية البدعة سنة ، والتبيع حسنا ، أكلت كثير ، وظلمت عظيم » .

قال : وروى الحارث بن حصيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجذ ، قال : قال

(١) يفتنون عليه ، يدعون عليه .

هل عليه السلام : نحن وآل أبي سفيان قوم نعادوا في الأمر ، والأمر يعود كما بدا .
قلت : وقد ذكرنا نحن في تلخيص نقص " الضيائية " ، ما فيه كفاية في هذا الباب .

• • •

وروى صاحب كتاب العارات عن أبي صادق ، عن جُندب بن عبد الله ، قال : ذكر
المغيرة بن شعبة عند هلي عليه السلام وجده مع معاوية ، قال : وما الغيرة ! إنما كان إسلامه
لنخعة وغذرة غدرها ينعم من قومه فتكسبهم ، وركبها منهم ، وهرب منهم ؛ فأتى النبي صلى الله
عليه وآله كالمائد بالإسلام ؛ والله ما رأى أحداً عليه منذ ادعى الإسلام خضوعاً
ولا خشوعاً ، ألا وإياه يكون ^(١) من تقيف فراعنة قبل يوم القيامة يجابهون الحق ، ويسمرون
نيران الحرب ويواردون العالين ؛ ألا إن تقيف قوم عُدُر ، لا يوفون عهد ، يمسكون العرب
كأهم ليسوا منهم ؛ ولرب صالح قد كان منهم ، منهم عروة بن مسعود وأبو عبيد بن مسعود
المستشهد يوم قس التآلف ، وكان الصالح في تقيف لمريب .

• • •

قال شيخنا أبو القاسم البلخي : من الموم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به ؛ وإطلاق
الاسم عليه ، أن الوليد بن عتبة بن أبي معيط كان يُبسم علياً وبشيمته ، وأنه هو الذي
لأحاه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله ونابذه ، وقال له : أما أثبتُ منك جناناً ،
وأحد سناناً ، فقال له علي عليه السلام : سكت يافاسق ، فأرسل الله تعالى فيهما : ﴿ أَمْسَنْ
كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ... ﴾ ^(٢) الآيات الثلاثة ؛ وسمى الوليد بحسب
ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله الفاسق ؛ فكان لا يُعرف إلا
بالوليد الفاسق .

وهذه الآية من الآيات التي نزل فيها القرآن بمواقفة علي عليه السلام ، كما نزل في مواضع بمواقفة عمر ؛ وسماه الله تعالى فاسقا في آية أخرى ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِلَبٍّ فَتَبَيَّنُوا ﴾^(١) ، وسبب نزولها مشهور ؛ وهو كذبه علي بن المصطلق بموادعائه أنهم صنعوا الزكاة وشهروا السيف ؛ حتى أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتعزير^(٢) للمسير إليهم ؛ فأنزل الله تعالى في تكذيبه وبرائة ساحة القوم هذه الآية^(٣) .

وكان الوليد مذموما معينا عند رسول الله صلى الله عليه وآله يشنؤه ويعرض عنه ؛ وكان الوليد يُبغض رسول الله صلى الله عليه وآله أيضا ويشنؤه ، وأبوه عتبة بن أبي سفيان هو العدو الأزرق بمكة ، والذي كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في نفسه وأهله ؛ وأخبره في ذلك مشهورة ، فلما ظفر به يوم بدر ضرب عنقه ، وورث ابنه الوليد الشنان والبنضة^(٤) لحمد وأهله ؛ فلم يزل عليهما إلى أن ماتا .

قال الشيخ أبو القاسم : وهو أحد العصابة الذين قال أبو حنيفة فيهم ، وقد قدم لي عراب حقه : من العصابة يا محمد ؟ فقال : « الثار ، أقربوا بحقه » .

قال : وللوليد شعر يقصد فيه الرد على رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال : « إن تولوها عليا ، تجددوه هاديا مهديا » . قال : وذلك أن عليا عليه السلام لما قتل قصد بنوه أن يحفوا قبره خوفا من بني أمية أن يحدثوا في قبره حدثا ، فأوموا الناس في موضع قبره تلك الليلة - وهي ليلة دفنه - لإيهامات مختلفة ، فشدوا على جبل تابوتا موثقا بالحبال ، بنوح منه روائح الكافور ، وأخرجوه من الكوفة في سواد الليل محبة قاتلهم ؛ يؤمهم أنهم يحملونه إلى المدينة فيدفنونه عند فاطمة عليها السلام ؛ وأخرجوا بطلا وعليه جنازة^(٥) مغطاة ؛

(١) سورة المجرات ٦

(٢) ج : « التعزيز » .

(٣) أسباب الغرور ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٤) النضة : شدة النص .

(٥) الجنازة ؛ بالكسر ويختج : الميت .

يوهمون أنهم يدفنونها بالحيرة، وحفروا حفائر هذبة، منها بالمسجد، ومنها برحبة القصر؛ قصر الإمارة، ومنها في حجرة من دور آل جمدة بن هيرة الخزومي؛ ومنها في أصل دار عبد الله ابن يزيد القسري بهذا باب الورتين مما يلي قبلة للمسجد، ومنها في الكتامة، ومنها في الثوبية، فسي على الناس موضع قبره، ولم يتقدم دفنه على الحقيقة إلا بنوموا الخواص المخلصون من أصحابه؛ فإنهم خرجوا به عليه السلام وقت السحر في^(١) الليلة الحادية والعشرين من شهر رمضان، فدفنوه على النجف، بالموضع المعروف بالقرية، بوحدة معه عليه السلام إليهم في ذلك، وعهد كان عهد به إليهم، وصي موضع قبره على الناس؛ واختلفت الأراجيف في صيحة ذلك اليوم اختلافا شديدا، وافترقت الأقوال في موضع قبره الشريف ونشبت، وادعى قوم أن جماعة من طئي وقصوا على حمل في تلك الليلة، وقد أضل أصحابه ببلادهم، وعليه صندوق، فقلوا فيه مالا، فلما رأوا ما فيه خافوا أن يطلقوا به، فدفنوا الصندوق بما فيه، ونحروا البعير وأكلوه، وشاع ذلك في بني أمية وشيعتهم؛ واعتقدوه حقا؛ فقال الوليد بن عقبة من آيات يذكره عليه السلام فيها:

فإن يك قد ضلّ البعير بحمله فما كان مهديا ولا كان هاديا

وروى الشيخ أبو القاسم البلخي أيضا، عن جرير بن عبد الحميد، عن منيرة الضبي، قال: مررت بالناس بالحسن بن علي عليه السلام، وهم يريدون عبادة الوليد بن عقبة، وهو في حلة له شديدة، فأثناء الحسن عليه السلام معهم عائدا، فقال للحسن: أتوب إلى الله تعالى بما كان بيني وبين جميع الناس؛ إلا ما كان بيني وبينك، فإني لا أتوب منه. قال شيخنا أبو القاسم البلخي: ذوا كذا بُغضه له ضربه إله الصدق في ولاية همدان، وعزله عن الكوفة.

وقد اتفقت الأخبار الصحيحة التي لأربب فيها عند المحدثين : على أن النبي صلى الله عليه وآله قال : « لا يعضك إلا منافق ، ولا يحبك إلا مؤمن » .

قال : وروى حبة المروزي ، عن علي عليه السلام أنه قال : إن الله عز وجل أخذ ميثاق كل مؤمن على حقي وميثاق كل منافق على بغضي ، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني ، ولو صبت الدنيا على المنافق ما أحبني .

وروى عبد الكريم بن هلال ، عن أسلم المكي ، عن أبي الطفيل ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وهو يقول : لو ضربت خياشيم المؤمنين بالسيف ما أبغضني ولو نثرت^(١) على المنافق ذهباً وفضة ما أحبني ؛ إن الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبي ، وميثاق للمنافقين ببغضي ، فلا يعضني مؤمن ، ولا يحسني منافق أبداً .

قال الشيخ أبو القاسم البلخي : وقد روي كثير من أرباب الحديث من جماعة من الصحابة ، قالوا : ما كنا نعرف للمنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا يبغض علي بن أبي طالب .



ذكر إبراهيم بن هلال صاحب كتاب " الممارات " ، فبين طارق عليا عليه السلام والتحق بمعاوية يزيد بن حبة النخعي ، من بني تميم بن ثعلبة بن بكر بن وائل ، وكان عليه السلام قد استعمله على الرمي ودسنتي^(٢) ، فكسر الخوارج ، واحتجب للمال لنفسه ، فبغبه علي عليه السلام ، وجعل معه سداً مولاه ، فقرب يزيد ركائبه ، و مد نأثم ، فالتحق بمعاوية ، وقال :

(١) ج : « صبت » .

(٢) دسنتي ، بالفتح ، ثم المكون وفتح التاء : كورة كانت مشركة بين الرمي وهدمها .

غَادَتْ سَعْدًا وَارْتَمَتْ فِي رِكَائِي إِلَى الشَّامِ وَاخْتَرْتُ الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ
وَعَلَدْتُ سَعْدًا نَائِمًا فِي عِبَادَةِ^(١) وَسَعْدٌ غِلَامٌ مُسْتَهَامٌ مُضَلَّلٌ

ثم خرج حتى أتى الرقة ، وكذلك كان يصنع من يفارق عليها عليه السلام ، يبدأ
بالرقة حتى يستأذن معاوية في القدوم عليه ، وكانت الرقة والرها وقرقيسياً^(٢) وحران
من حيز معاوية ؛ وعليها^(٣) الضعالة بن قيس ، وكانت هيت وعانات ونصيبين ودارا
وآيد وسنجار من حيز علي عليه السلام ؛ وعليها الأشتر ، وكانا يقتلان في كل شهر .
وقال يزيد بن حُجَّية وهو بالرقة يهجو عليها عليه السلام :

بِأَطْوَلِ لَيْلٍ بِرَقَاتٍ لَمْ أَتَمْ مِنْ غَيْرِ عِشْقٍ صَبَتْ نَفْسِي وَلَا سَقَمٍ
لَكِنْ لَذِكْرِ أُمُورٍ بَحْتٍ طَرَعَتْ أَحْشَى عَلَى الْأَصْلِ مِنْهَا زَلَّةُ الْقَدَمِ
أَخْشَى عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونُ لَهُمْ حَتْلُ الْعُمُورِ الْاِدَى عَنِّي عَلَى لَدَمٍ
وبعد ذلك ما لا يذكره .

قال إبراهيم بن حلال : وقد كان رباد بن حصعة التيمي ، قال لعلي عليه السلام يوم
هرب يزيد بن حُجَّية : ابشئ يا أمير المؤمنين في أثره أردّه إليك ؛ فبلغ قوله يزيد بن
حُجَّية ، فقال في ذلك :

أَبْلَغُ زُهْلًا أَنِّي قَدْ كَفَيْتُهُ أُمُورِي وَخَلَيْتُ الَّذِي هُوَ عَاتِيُهُ
وَبَابٌ شَدِيدٌ مُوثِقٌ قَدْ فَتَحَهُ عَلَيْكَ وَقَدْ أَهَيْتُكَ مَذَاهِبُهُ
هَيْتَ أَمَا تَرْجُو غَنًى وَمَشْهَدِي إِذِ الْخِصَمِ لَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنْ بُحَاذِيهِ^(٣)

(١) كذا في ج ، و ، ا ، ب « عيادة » .

(٢) قرقيسيا : بلد على المأبور عند مصه . (٣) في الأصول : « عليهم » .

(٣) بحاذبه ، أي يحوله عن طريقه .

فَأَقْسِمُ لَوْ لَا أَنَّ أَمَّا وَأَنْتَ مَوْلَى مَا طَفِقْتُ أَهَابِي
وَأَقْسِمُ لَوْ أَدْرَكْتَنِي مَارَدَدَتْنِي كَلَانَا قَدْ اصْطَفَتْ إِلَيْهِ جَلَالِيَّةُ

قال ابن هلال : وكتب إلى العراق شعرا يذم فيه عليا عليه السلام ، ويخبره أنه من أعدائه ، فدعا عليه وقال لأصحابه عقيب الصلاة : ارفعوا أيديكم فادعوا عليه ، فدعا عليه وأمن أصحابه .

قال أبو الصلت التيمي : كان دعاؤه عليه : اللهم إن يزيد بن حُجَّبة هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين ، فاكفينا مكروه وكيدَه واجزِهِ جِراء الظالمين .

قال : ورفع القوم أيديهم يؤمنون ، وكان في السعد عِفاق بن شُرَّحِيل بن أبي رهم التيمي شيعيا كبيرا ، وكان يذم من شهد على حُجْر بن عدى حتى قتله معاوية ، فقال عِفاق : على من يدعو القوم ؟ قالوا : على يزيد بن حُجَّبة ، فقال : تربت أيديكم أَعْلَى أَشْرَافِنَا تَدْعُونَا إِفْقَامُوا إِلَيْهِ فَضْرَبُوهُ حَتَّى كَادَ يَهْلِكُ . وقام زياد بن حَصَّفة . وكان من شيعة علي عليه السلام . فقال : دعوا لي ابن عمي ، فقال علي عليه السلام : دعوا لِرَجُلٍ ابْنِ عَمَةٍ ، فتركه الناس ، فأخذ زياد بيده فأخرجه من المسجد ، وجعل يمشي معه يمسح الذباب عن وجهه ، وعِفاق يقول : وَاللَّهِ لَا أَحْبَبُّكُمْ مَا سَمِعْتُ وَمَشِيتُ ، وَاللَّهِ لَا أَحْبَبُّكُمْ مَا اخْتَلَمْتُ الْهَذْرَةَ وَالْجُرَّةَ ؛ وَزِيَادُ يَقُولُ : ذَلِكَ أَضْرَكَكَ ، ذَلِكَ شَرَّكَكَ .

وقال زياد بن حَصَّفة يذكر ضرب الناس عِفاقا :

دَعَاوتُ عِفاقًا لِلْهُدَى فَاسْتَعْشَرِي دَوْلَى قَرِيبًا قَوْلُهُ وَهُوَ مُنْغَضِبٌ
وَلَوْ لَا دَفَاعِي مِنْ عِفاقٍ وَمَشْهَدِي هَوَتْ عِفاقِي - عَوْضُ - عِنْقَاءُ مُقَرَّبٍ^(١)

(١) عوض دماء أيضا . وعنقاء مقرب ، قال في اللسان : د العنقاء المقرب : كلمة لأصل لها ؛ ويقال لأنها طائر عظيم لا ترى إلا في الدهور ؛ ثم كثر ذلك حتى سماوا العنقاء صفاء مقرباً ومشرقة .

أَبَيْتُ أَنْ الْمَدَى فِي اتِّبَاعِنَا فَيَأْبَى ، وَيُضْهِرِيهِ الْفِرَاءَ فَيَشْفَبُ^(١)
 فَإِنْ لَا يَتَابِعُنَا عِغَاقُ^(٢) عَلَى الْحَقِّ مَا غَنَى الْحِمَامُ الْمَطْرَبُ
 سَيُفْنِي الْإِلَهَ عَنْ عِغَاقٍ وَسَمْعِهِ إِذَا بَعَثَ لِلنَّاسِ جَأَوَاءَ تُمْحَرَبُ^(٣)
 قَبَائِلُ مِنْ حَيٍّ مَعْدَةٍ وَمِثْلُهَا يَمَانِيَةَ لَا تَنْشِي حِينَ تُنْدَبُ^(٤)
 لَمْ يَمُودَ عَدَدٌ مِثْلُ التَّرَابِ وَمَطَاعَةٌ تَوَدُّ ، وَيَأْسُ فِي الْوَفَى لَا يُوْرَبُ

فَقَالَ لَهُ عِغَاقُ : لَوْ كُنْتُ شَاعِرًا لَأَجَبْتُكَ ؛ وَلَكِنِّي أَخْبِرُكُمْ عَنْ ثَلَاثِ حَصَالٍ
 كُنْتُمْ مِنْكُمْ ؛ وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تُصِيبُوا بَعْدَهُنَّ شَيْئًا مِمَّا يَسُرُّكُمْ :

أَمَّا وَاحِدَةٌ ، فَإِنَّكُمْ سَرُتُمْ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَيْهِمْ بِلَادَهُمْ قَاتَلْتُمُوهُمْ ؛
 فَلَمَّا خَلَنَ الْقَوْمُ أَسْكَمَ لَهُمْ قَاهِرُونَ رَمَوْا مَصَاحِفَ ، فَحَجَرُوا بِكُمْ فَرَدُّوكم عَنْهُمْ ، فَلَا
 وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُوهَا مِثْلَ ذَلِكَ الْحِدِّ وَالْحَدِّ وَالْعَدَدِ الَّذِي دَخَلْتُمْ بِهِ أَيْدَا .

وَأَمَّا الثَّانِيَّةُ ، فَإِنَّكُمْ بَعَثْتُمْ جُنُودًا وَسِثَ الْقَوْمِ حَكَمًا ؛ فَأَمَّا حَكْمُكُمْ غَلَمَكُمْ ،
 وَأَمَّا حَكْمُكُمْ فَأَنْتُمْهُمْ ، فَرَجَحَ صَاحِبُهُمْ يُدْعَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَجَحْتُمْ مِتْلَاعِينَ مِتْبَاعِينَ ؛
 هُوَ اللَّهُ لَا يَزَالُ الْقَوْمُ فِي عِلَاءٍ ، وَلَا تَزَالُونَ فِي سِعَالٍ .

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ ، فَإِنَّهُ^(٥) خَالَفَكُمْ قُرَآؤُكُمْ وَفُرْسَانُكُمْ فَعَدَّوْكُمْ عَلَيْهِمْ فَدَعَمْتُمُوهُمْ
 بِأَيْدِيكُمْ ؛ هُوَ اللَّهُ لَا تَزَالُونَ مَعَهَا مُتَصَحِّصِينَ^(٦) .

قَالَ : وَكَانَ بِمَرِّ عَلَيْهِمْ بَعْدُ ، فَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي مِنْهُمْ بَرِيءٌ ، وَلَا بَيْنَ عِفَانٍ وَبَيْنِي
 هَيِّقُولُونَ : اللَّهُمَّ إِنَّمَا لَعَلُّ أَوْلِيَاءَ ، وَمَنْ أَيْسَ عِفَانٍ بَرَاءً ، وَمَعْلُكَ يَا عِغَاقُ !

(١) الشَّعْبُ - الشَّرْ

(٢) ج : ه : يَتَابِعُنَا .

(٣) كَتَبَتْ جَأَوَاءَ : هِيَ الَّتِي يَمْلُوكُهَا لَوْنُ الْبَرَادِ لِكَثْرَةِ الدَّرُوعِ .

(٤) تَنْدَبُ : تَدْعَى فَتُجَبُّ فَتَدْعَوَى

(٥) ج : ه : يَأْسُكُمْ .

(٦) تَصَحِّصُ : خَصَّ وَتَدَّ

قال : فأخذ لا يُقْلِع ؛ فدعوا رجلا منهم له سجاعة كسجاعة الكهان ، فقالوا : توخَّك ! أما تسكتيننا بسجعتك وحطبتك هذا ؟ فقال : كفتيكم ، فمرَّ عِناق عليهم ، فقال كما كان يقول ، فلم يمهله أن قال له : اللهم ائحل عِناقا ، فإنه أسرَّ نفاقا ، وأظهر شِقاقا ، وبينَ فراقا ، وتلوَّن أخلاقا .

فقال عِناق : ونحکم ! من سَلط على هذا ؟ قال : الله بعثني إليك ، وسلطني عليك لأقطع لسانك ، وأنصِل سينامك^(١) ، وأطرد شيطانك .
قال : فلم يك يمرَّ عليهم مدد ؛ إنما يمرَّ على مزينة .



ومن فارقته عليه السلام عبد الله بن عبد الرحمن بن مسعود بن أوس بن إدريس بن مُعْتَبِ التَّحَفِي ، شهد مع علي عليه السلام صفين ، وكان من أول أسره مع معاوية ؛ ثم صار إلى علي عليه السلام ، ثم رجع مدد إلى معاوية ، وكان علي عليه السلام يسميه المهجَّع ، والمهجَّع : الطويل .



ومنهم القمقام بن سُور ، استعمله علي عليه السلام على كنگر ، فنقم منه أمورا منها أنه تزوج امرأة فأصدقها مائة ألف درهم ؛ فهرب إلى معاوية .



ومنهم النجاشي الشاعر من بني الحارث بن كعب ، كان شاعرا أهل العراق بصفيين ، وكان علي عليه السلام يأمره بمعاربة شمراء أهل الشام ، مثل كعب بن جُحَيْل وغيره ، فشرب الخمر بالكوفة ، كخداه علي عليه السلام ، فغضب ولحق بمعاوية ؛ وهجا عليا عليه السلام .

(١) أصل السان : جبل له سا . ونزعه عنه : من الأسداد

حدث ابن الكلبي عن عوانة ، قال : ^(١) خرج النجاشي في أول يوم من شهر رمضان ، فمر بأبي سمائل الأسدي ، وهو قاعد ببناء داره ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أردت السكناة ، فقال : هل لك في رموس وآليات قد وضعت في التنور من أول الليل ، فأصبحت قد أينعت وقد تهرأت ؟ قال : ونحك ! في أول يوم من رمضان ! قال : دعنا مما لا نعرف ، قال : ثم معه ، قال : أسقيك من شراب كالورس ، يطيب النفس ، ويمجى في العرق ، ويزيد في الطرقي ، يهضم الطعام ، ويسهل للفم ^(٢) الكلام ؛ فنزل ؛ فتمدّيا ، ثم أتاه بنبذ فشرباه ، فلما كان آخر النهار علت أصواتهما ، ولم يجر من شيعة علي عليه السلام ، فأتاه فأخبره بقصتهما ، فأرسل إليهما قوما فأحاطوا بالدار ، فأما أبو سمائل فوثب إلى دور بني أسد فأفلت ؛ وأخذ النجاشي فأتى عليه السلام به ، فلما أصبح أقامه في سراويل ، فضره ثمانين ، ثم زاده عشرين سوطا ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أما الحد فقد عرفته ، فاهذه الملاوة ^(٣) ؛ قال : لجراءك على الله ، وإفطارك في شهر رمضان . ثم أقامه في سراويله للناس ، فجعل الصبيان يصيحون به : سري النجاشي ؛ خرى النجاشي ! وجعل يقول : كلاً إنها يمانية وكاؤها شر .

قال : ومرو به هند بن عاصم السلولي ، فطرح عليه مطرقة ، فجعل الناس يرمون به ويطرحون عليه المطارف ؛ حتى اجتمعت عليه مطارف كثيرة ، فدح بني سلول فقال :

إذا الله حيّاً صالحاً من عباده	تقيّاً غنياً الله هند بن عاصم
وكلّ سُلُولِي إذا مادعوتهُ	سريع إلى داعي العلا والسكرام
هم البيص أقداماً وديباج أوجه	جلوها إذا سودت وجوه اللاتم
ولايأكل الكلب السمروق فعاثهم	ولا يثنى للبح الذي في الجماجم

(١) الخبر في الشعر والشعراء ٢٨٩ والمراة ٤ : ٣٦٨

(٢) القدم : النسي .

(٣) الملاوة ، بالسكسر ، كل ماراد عن النسي .

ثم لحق معاوية ، وهجعا علياً عليه السلام ، فقال :

أَلَا مَن مَبْلَغٌ عَنِّي عَلِيًّا بَاتِي قَدْ أَمِنْتُ فَلَا أَخَافُ
عَمِدْتُ لِمُسْتَقَرِّ الْحَقِّ لَمَّا رَأَيْتُ أُمُورَكُمْ فِيهَا اخْتِلَافُ

وروى عبد الملك بن قُريب الأصبهاني ، عن ابن أبي الزماد ، قال : دخل النجاشي على معاوية ، وقد أذن للناس عامة ، فقال لحاجبه : ادع النجاشي ، والنجاشي بين يديه ، ولكن اقتصمت عينه ، فقال : ها هذا النجاشي بين يديك يا أمير المؤمنين ؛ إن الرجال ليست بأجسامها ؛ إنما لك من الرجل أصغراه : قلبه ولسانه ، قال : وبحك أنت القائل^(١) :

وَعَنَى أَنْ حَرَبَ سَاحَ دُو عِلَاقٍ أَجَشَّ هَرِيمٌ وَالرَّمَا حُ دَوَانِي^(٢)
إِذَا قُلْتُ أَطْرَافَ الرَّمَا حُ تَمُوتُهُ مَرَّتُهُ بِهِ السَّلَاقُ وَالْقَدَمَانِ^(٣)

ثم ضرب يده إلى نذبه^(٤) ، فقال : وبحك ! إن مثلي لا تعدو به الخيل ؛ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إني لم أعينك ؛ إنما عيبتُ حُتْبَةً .

وروى صاحب كتاب " العارات " ، أن علياً عليه السلام لما حدث النجاشي غضبت اليماينة لذلك ، وكان أخصمهم به طارق بن عبد الله بن كعب التهمدي ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما كنا نرى أن أهل المصيبة والطاعة ، وأهل الفرقة والجماعة عند دولة الملل ومعادن الفصل سيئان في الجراء ؛ حتى رأينا ما كان من صميمك بأخي الحارث ،

(١) البيتان في الأغانى ١٣ : ٢٦٠ (طبعة الدار) ، والأول مع الخبر في الشعر والشعراء ٢١٩

(٢) السايح : الفرس السريع كأنه يسبح بيديه والملاحة هاهنا هاهنا حرى الفرس . والأجش الشديد الصوت في صهيله ؛ وهو عما يحمى في الخيل . والهريم : الفرس الشديد الصوت

(٣) مرته : استندرت جريه .

(٤) في الشعر والشعراء : « ندو به » ، والندوة : اللحم الذي حول الثدي .

فأغرقت صدورنا، وشقت أمورنا، وحلقتنا على الجادة^(١) التي كنا نرى أن سبيل من ركبها النار. فقال صلى عليه السلام: ﴿وَأَيُّهَا الْكَبِيرَةُ: لَا عَلَى أَتْلَاشِيِّينَ﴾^(٢)؛ يا أحاسنهد، وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حُرِّمَ الله، فأقننا عليه حداً كان كفرته! إن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٣) قال: نخرج طارق من عنده، فبقية الأشر، قال: بطارق؛ أنت القاتل لأمر المؤمنين: «أَوْ غَرَّتْ صُدُورُنَا، وَشَقَّتْ أُمُورُنَا»؟ قال طارق: نعم، أنا قاتلها، قال: والله ما ذاك كما قلت! إن صدورنا له لسامعة، وإن أمورنا له لجامعة. فمضب طارق وقال: ستم يا أشر أنه خير ما قلت؛ فلما جئته القيل قمى^(٤) هو والنعاشى إلى مساوية، فلما قدما عليه، دخل آذنه فأخبره بقدميهما، وعندموجوه أهل الشام، منهم عمرو بن مرة الجهني وعمرو بن صبيح وغيرهما، فلما دخلوا نظر إلى طارق، وقال: مرحبا بالمورق غصنه، والمعرق أصله، السود غير للسود! من رجل كانت منه هفوة ونهوة، باتباعه صاحب الفتنة، ورأس الملاة والشبهة، الذي اغترق في ركاب الفتنة حتى استوى على رجليها، ثم أوجب في مشوة ظلماتها وته ضلالتها، واتهمه رجرجة^(٥) من الناس، وأشابة^(٦) من الحنالة لا أفتدة لهم: ﴿أَفَلَا يَحْدَرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(٧)

قام طارق، فقال: يا مساوية إنى محكّم فلا يسخطك، ثم قال: وهو منكى على سيفه: إن المحمود على كل حال ربّ علا فوق عباده، فهم منه بمنظر ومسمع؛ بحث فيهم

(١) الجادة: سبيل الطريق، وأوسعه

(٢) سورة البقرة ١٥٠.

(٣) سورة التائمة ٥

(٤) الخمس: السير بالليل

(٥) الرجرجة: الجماعة الكثيرة من الناس

(٦) الأشابة: أخلاط الناس

(٧) سورة محمد ٢٤

رسولا منهم ، يتلو كتابا لم يكن من قبله ولا يحطه يمينه ؛ إذا لارتاب البطلون ؛ فليبه
 للسلام من رسول كان بالمؤمنين برأرحيا ؛ أما بعد ، فإن ما كنا موضع فيها أوضعنا فيه
 بين يدي إمام نقي عادل ، مع رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ أتقياء
 مرشدين ، مازالوا منارا للمهدي ، ومعالم للدين ، خفيا عن سلف مهتدين ، أهل دين
 لا دنيا ، كل الخير فيهم ، واتسعم من الناس موك وأفيال ، وأهل بيوتات وشرف ،
 ليسوا بنا كثيرين ولا قاسطين ، فلم يكن رغبة من رغب عنهم وعن محبتهم إلا لمرارة الحق
 حيث جرعوها ، ولوعورته حيث سلكوها ؛ وغلبت عليهم دنيا مؤثرة ، وهو متبع ،
 وكان أمر الله قدرا مقدورا ؛ وقد قارق الإسلام قبينا جبهة من الأيهم فرارا من الضيم ، وأفنا^(١)
 من الذلة ، فلا تفخرن بامساوية ؛ إن شددنا بحوك الرجال ، وأضعنا إليك الركاب .
 أقول قول هذا واستعمر الله العظيم لي ولجميع المسلمين .

فظم على معاوية ماسمه وغضب ملكه^(٢) ؛ وقال : يا عبد الله ؛ إنا لم نرد
 بما قلناه أن نوردك مشرع ظما ، ولا أن نصدرك عن كسرك رى ؛ ولكن القول
 قد يحرى بصاحبه إلى غير ما ينطوى عليه من العمل ، ثم أحطه معه على سريره ، ودماه
 بمقطعات وبرود فصبتها عليه ؛ وأقبل نحوه بوجهه يحدثه حتى قام .

وقام معه عمرو بن مرة وعمرو بن صفيك الجهيين ، فأقبلا عليه ناشدة العتاب وأمضه ،
 يلوامانه في خطبته ، وما واجه به معاوية .

فقال طارق : والله ماقت بما سمعناه حتى حيل لي أن نطن الأرض حير لي من ظهرها
 عند سماي ما أظهر من العيب والنقص لمن هو حير منه في الدنيا والآخرة ، وما رقت به
 نفسه ، وملسكه عجه ، وعاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله واستنقصهم ، فقامت
 مقاما أوجب الله علي فيه ألا أقول إلا حقا ، وأرى حير فيمن لا ينظر ما يصير إليه غدا ؛

(١) ج : « وأفنا من الذلة » .

(٢) ج : « تملكه » .

فبلغ علياً عليه السلام قوله ، فقال : لو قُبل الهدى يومئذ لقتل شهيدا .

وقال معاوية ليهيم بن الأسود أرى العريان - وكان عُمَيا ، وكانت امرأته عُلوية الرأى ، تكتب بأخبار معاوية في أعة الخيل وتدفعها إلى عسكر علي عليه السلام بصفتين فيدفعونها إليه - فقال معاوية بعد التحكيم : يا هيم ، أهل العراق كانوا أنصح أهل في صفين أم أهل الشام لي ؟ فقال : أهل العراق قبل أن يضربوا بالبلاء كانوا أنصح لصاحبهم ؛ قال : كيف قلت ذلك ؟ قال : لأن القوم ناصحوه على الدين ، وناصحك أهل الشام على الدنيا ، وأهل الدين أصبر ، وهم أهل بصيرة ، وإنما أهل الدنيا أهل طمع ؛ ثم والله مالبث أهل العراق أن سذوا الدين وراء طهورهم ، ونظروا إلى الدنيا ، فالتحقوا بك .

فقال معاوية : فما الذي يمنع الأشعث أن يقدم علينا ، فيطلب ما قتلنا ؟ قال : إن الأشعث بكرم نفسه أن يكون رأسا في الحرب ، وذنباً في الطمع .



ومن المصارفين لعلي عليه السلام أحرمه عقيل بن أبي طالب ؛ قدم على أمير المؤمنين بالكوفة يسترفده^(١) ، فعرض عليه عطاءه ، فقال : إنا أريد من بيت المال ، فقال : نقيم إلى يوم الجمعة ، فلما صلى عليه السلام الجمعة ، قال له : ما تقول فيمن خان هؤلاء أجمعين ؟ قال بتس الرجل اقل : فإنك أمرتني أن أخوهم وأعطيتك ، فلما خرج من عنده شخراً إلى معاوية ، فأمر له يوم قدومه بمائة ألف درهم ، وقال له : يا أبا يزيد ، أنا خير لك أم علي ؟ قال : وجدت علياً أنظر لنفسه منه لي ، ووجدتك أنظر لي منك لنفسك .

وقال معاوية لعقيل : إن فيكم يا بني هاشم ليناً ، قال : أجل إن فينا ليناً من غير

(١) يسترفده : يطلب عطاءه .

صَفَّ ، وعِزًّا من غير عُنْف ، وإن لِيَنكُم بِمَعَاوِيَةَ عَذْر ، وسَلَمَكُم كُفْر . فقال معاوية : ولا كُلّ هذا يا أبا يزيد .

وقال الوليد بن عُقْبَةَ لِعَقِيل في مجلس معاوية : غَلَبَكَ أَحْوَك يا أبا يزيد على الثَّرْوَةِ ! قال : نعم ، وسبقني وإياك إلى الجنة ، قال : أما والله إن شِدْقِيَّهَ لَمَضْمُومَانِ من دمِ عُمَانَ ، فقال : وما أنتَ وقريش ! والله ما أنتَ فِيسَا إِلَّا كَطَيطِجِ التَّيْسِ . فنَضِبَ الوليد وقال : والله لو أن أهل الأرض اشترَكُوا في قَتْلِهِ لَأَرْهَقُوا صَعُودًا^(١) ، وإن أخاك لأشدَّ هذه الأمة عذابا ، فقال : مه ! والله إنا لَنَرِفُ بِمِثْلٍ من عِيْدِهِ من صُحْبَةِ أَبِيكَ عُقْبَةَ ابنِ أَبِي مُعَيْطٍ .

وقال معاوية يوما - وعنده عمرو بن العاص - وقد أَقْبَلَ عَقِيلُ : لأَضْعَعُكَ من عَقِيلٍ ، فلما سَلَّمَ قال معاوية : مرحبا رجل عَمَّه أَبُو لُحَبٍ ، فقال عَقِيلُ : وأهلا رجل عَمَّتْهُ : (حَمَالَةٌ أَلْطَلَبُ • فِي جِدِّهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ)^(٢) ؛ لِأَنَّ امْرَأَةَ أَبِي لُحَبٍ أُمُّ جَمِيلَ بِنْتَ حَرْبِ ابنِ أُمِيَّةٍ .

قال معاوية : يا أبا يزيد ما ظَنَنْتُ بِمَعِكَ أَبِي لُحَبٍ ! قال : إذا دخلت النارَ فَخُذْ على يساركَ تَجِدُهُ مَفْتَرِشًا عَمَّتِكَ حَمَالَةُ الْطَلَبِ ؛ أَمَا كَعُ في النارِ خَيْرٌ أَمْ مِنْكَوْحُ ! قال : كلاهما شَرٌّ ، والله .

ومن فارقه عليه السلام حنظلة الكاتب ، خرج هو وجريو بن عبد الله البَجَلِيّ من الكوفة إلى قرقيسيا ؛ وقالوا : لا نَقِيمُ بِهَذِهِ بُعَابٍ فِيهَا عُمَانُ .

(١) الصعود : العتبة الشافعة .

(٢) المسد : حبل من لبث الفل .

ومن قارقه وائل بن حجر الحضرمي ، وخبره مذكور في قصة بسر بن أرطاة .

وروى صاحب كتاب " العارات " عن إسماعيل بن حكيم ، عن أبي مسعود الجبري .
قال : كان ثلاثة من أهل البصرة جواسوس على بضض على عليه السلام : مطرف بن عبد الله
ابن الشخير ، والعلاء بن زياد ، وعبد الله بن شقيق .

قال صاحب كتاب " العارات " : وكان مطرف عابدا ناسكا ؛ وقد روى هشام بن
حصان عن ابن سيرين : أن عمار بن ياسر دخل على أبي مسعود وعنده ابن الشخير ،
فذكر عليا بما لا يحوز أن يُذكر به ، فقال عمار : يا فاسق وإليك لها هنا ! فقال أبو مسعود :
أذكرك الله يا أماه يقظان في ضيق !

قال : وأكثر مبغضيه عليه السلام أهل البصرة كانوا عثمانيّة ، وكانت في أنفسهم أحقاد
يوم الجمل ، وكان هو عليه السلام قليل التآلف للناس ، شديد في دين الله ، لا يبالي مع علمه
بالدين ؛ واتباعه الحق من سقط ومن رضى .

قال : وقد روى يونس بن أرقم ، عن يزيد بن أرقم ، عن أبي ناجية ، مولى أم هانئ ،
قال : كنت عند علي عليه السلام ، فأتاه رجل عليه زي الشمر . فقال : يا أمير المؤمنين ،
إني أتيتك من بلدة مارأيت لك بها محبا ، قال : من أين أتيت ؟ قال : من البصرة ،
قال : أما إنهم لو يستطيعون أن يحبوني لأحبوني ؛ إني وشيعتي في ميثاق الله لا يزداد فينا
رجل ولا ينقص إلى يوم القيامة .

وروى أبو غسان البصري ، قال : بنى عبيد الله بن زياد أربعة مساجد بالبصرة
تقوم على بضض على بن أبي طالب والوقعة فيه : مسجد بني عدي ، ومسجد بني بجاشع ،

ومسجد كان في الملاقيين على فُرْخَة البصرة ، ومسجد في الأزدي .

ومما قيل عنه إنه يفيض عليا عليه السلام ويذمه ، الحسن بن أبي الحسن البصري أبو سعيد؛ وروى عنه حماد بن سلمة أنه قال : لو كان عليّ بأكل الخشخاش^(١) بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه . ورواه عنه أنه كان من المحدثين من نصرته .

وروى عنه أن عليا عليه السلام رآموه يتوسل بالصلاة وكان ذا وسوسة فصب عليّ أعضائه ماء كثيراً ، فقال له : أرقت ماء كثيراً يا حسن ؛ فقال : ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر ! قال : أو ساءك ذلك ؟ قال : نعم . قال : فلا زلت مسوياً .

قالوا : فما زال الحسن عاباً قاطباً فهو ما إلى أن مات .

فأما أصحابنا فإنهم يدفعون ذلك عنه وينكروونه ويقولون : إنه كان من محبي عليّ ابن أبي طالب عليه السلام والمؤمنين له .

وروى أبو عمر بن عبد البر المحدث في كتابه المعروف : " الاستيعاب في معرفة الصحابة " أن إنساناً سأل الحسن بن عليّ عليه السلام ، فقال : كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوّه ، ورباني هذه الأمة وذافضلها ، وذات قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ لم يكن بالنوامة من أمر الله ، ولا باللوامة في دين الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه ففارق منه برياض مؤرخة ، ذلك عليّ بن أبي طالب بالكعباءة وروى الواقدي ، قال : سئل الحسن بن عليّ عليه السلام - وكان يظنّ به الانحراف عنه ، ولم يكن كما يظنّ - فقال : ما أقول فيمنّ جمع الخصال الأربع : اتقائه على براءة ،

(١) الخشب : أرما أتمر .

وما قال له الرسول في غزاة تبوك ، فلو كان غير النبوة شيء يقوته لاستثناه ، وقول النبي صلى الله عليه وآله : «التقلان كتاب الله وحترني» ، وإنه لم يؤمر عليه أمير قط وقد أشرت الأمراء على غيره .

وروى أبان بن عياش ، قال : سألت الحسن البصري عن علي عليه السلام ، قال : ما أقول فيه كانت له السابقة ، والفضل والعلم والحكمة والفقه والرأي والشعبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقراءة ، إن عليا كان في أمره عليا ، رحم الله عليا ، وصلى عليه ! قلت : يا أبا سعيد ، أتقول : «صلى عليه» لغير النبي ؟ قال : ترسم على المسلمين إذا ذكروا ، وصلى على النبي وآله وعلى خير آله . قلت : أهو خير من حمزة وجعفر ؟ قال : نعم ، قلت : وخير من فاطمة وابنيها ؟ قال : نعم ، والله إنه خير آل محمد كلهم ، ومن يشك أنه خير منهم ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «وأبوها خير منهما» ! ولم يجر عليه اسم شريك ، ولا شرب خمر ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام : «زواجك خير أمتي» ، فلو كان في أمته خير منه لاستثناه ، ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، فأخى بين علي ونفسه ، فرسول الله صلى الله عليه وآله خير الناس نفسا ، وخيرهم أخا . قلت : يا أبا سعيد ، فإلهذا الذي يقال عنك إنك قلته في علي ؟ فقال : يا بن أخي ، أحق من دى من هؤلاء الجبابرة ، ولولا ذلك لسانت بي الخشب .

قال شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله تعالى ، ووجدته أيضا في كتاب «الغارات» لإبراهيم بن هلال النخعي : وقد كان بالكوفة من قهاتها من يعادي عليا وييمضه ، مع حبة التشيع على الكوفة ، فمن مرة الحمداني .

وروى أبو نعيم الفضل بن دُكين عن عَطْرِ بن حليفة ، قال : سمعتُ مُرَّةَ بنَ هِزَلٍ يقول : لَأَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ جَلًّا يَسْتَقِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ خَيْرٌ لَهُ تَمَّا كَانَ عَلَيْهِ .

وروى إسماعيل بن بهرام ، عن إسماعيل بن محمد ، عن عمرو بن مرة ، قال : قيل لمُرَّةَ الهمداني : كيف تَخَلَّفْتَ عن عليٍّ ؟ قال (١) : سَقَمْنَا بِمَحْسَنَاتِهِ ، وَاشْتَلَيْنَا بِسَيِّئَاتِهِ .

قال إسماعيل بن بهرام : وقد روينا عنه أنه قال أَشَدَّ فُحْشًا مِنْ هَذَا ؛ وَلَكِنَّا نَتَوَرَّعُ عَنْ ذِكْرِهِ .

وروى الفضل بن دُكين ، عن الحسن بن صالح ، قال : لم يصلْ أبو صادق علي مُرَّةَ الهمداني .

قال الفضل بن دُكين : وسمعتُ أن أبا صادق قال في أيام حياة مُرَّةَ : والله لا يطلنني وإياه سَقَفُ يَتِ أَبَدًا .

قال : ولما مات لم يحضره عمرو بن شرحبيل ، قال : لا أحضره لشيء كان في قلبه عَلَى عليٍّ بن أبي طالب .

قال إبراهيم بن هلال : حَدَّثَنَا السَّعْدِيُّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ بِهَذَا الْحَدِيثِ . قال : ثم كان عهد الله بن عُمَيْرٍ يقول - وكذلك أنا ؛ والله لو مات رجلٌ في نفسه (٢) شيءٌ عَلَى عليٍّ عليه السلام لم أحضره ، ولم أصلْ عليه .

ومنهم الأسود بن يزيد ومُسْرُوقُ بن الأجدع ؛ روى سَمَةَ بن كهيل : أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله ، فيقعان في عليٍّ عليه السلام ؛ فأما الأسود فمات على ذلك ؛ وأما مسروق فلم يمُتْ حتى كان لا يصلي لله تعالى صلاةً

(١) : ب د فقال .

(٢) ب د في قلبه .

إلا صلى بعدها على علي بن أبي طالب عليه السلام ، لحديث سمعه من عائشة في فضله .
وروى أبو نعيم الفضل بن دكين ، عن عبد السلام بن حرب ، عن ليث
ابن أبي سليم ، قال : كان مسروق يقول : كان علي كعاطب ليل ؛ قال : فلم يتم مسروق
حتى رجع من رأيه هذا .

وروى سلمة بن كهيل ، قال : دخلت أنا وزيد اليمامي على امرأة مسروق بعد
موته ؛ فحدثتنا ، قالت : كان مسروق والأسود بن يزيد يقرطان في سب علي
ابن أبي طالب ، ثم مات مسروق حتى سمعته يصلي عليه ، وأما الأسود فمضى لشأنه .
قال : فسألناها : لم ذلك ؟ قالت : شيء سمعته من عائشة تزويده من النبي صلى الله عليه وآله
فحين أصاب الخوارج .

وروى أبو نعيم ، عن عمرو بن ثابت ، عن أبي إسحاق ، قال : ثلاثة لا يؤمنون على علي
ابن أبي طالب : مسروق ، ومروة ، وشريح .
وروى أن الشعبي رابعهم .

وروى عن هبم ، عن محله ، عن الشعبي ، أن مسروقاً ندب علي إبطائه عن علي
ابن أبي طالب عليه السلام .

وروى الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ؛ قال : قال علي عليه السلام لشريح ؛ وقد قضى
قصية نقم عليه أمرها : والله لأنفيتك إلى بانيقيا^(١) شهرين تقضى بين اليهود ، قال : ثم
قُتل علي عليه السلام ومضى دهر ؛ فما قام المختار بن أبي عبيد قال لشريح : ما قال لك
أمير المؤمنين عليه السلام يوم كذا ؟ قال : إنه قال لي كذا ، قال : فلا والله لا تقعد ، حتى
تخرج إلى بانيقيا تقضى بين اليهود . فسيره إليها فقضى بين اليهود شهرين .

• • •

(١) بانيقيا ، بكسر النون : ناحية من نواحي السكوة كانت على شواطئ الفرات (مرامد الاطلاع) .

ومنهم أبو وائل شقيق بن سلمة ، كان عثمانيا يقع في حق علي عليه السلام ، ويقال :
لأنه كان يرى رأي الخوارج ، ولم يختلف في أنه خرج معهم ؛ وأنه طرد إلى علي عليه السلام
مُنِيها مقلما .

روى خلف بن خليفة ، قال : قال أبو وائل : خرجنا أربعة آلاف ، نخرج إلى الناحية ، فما زال
يكلّمنا حتى رجع منا ألفان .

وروى صاحب كتاب " الفارات " ، عن عثمان بن أبي شيبة ، عن الفضل
ابن دُكَيْن ، عن سفيان الثوري ، قال : سمعت أبا وائل يقول : شهدت سيفين وبس
الصفوف كانت !

قال : وقد روى أبو بكر بن عياش ، عن عاصم بن أبي النعود ، قال : كان أبو وائل
عثانيا ، وكان زيرا بن حبيش مَلَوِيًّا .

ومن المبعذين القالين : أبو بريدة بن أبي موسى الأشعري ، وريث البعصة هـ ،
لا عن كلاة (١) .

وروى عبد الرحمن بن جندب ، قال : قال أبو بريدة لزياد : أشهد أن حُمر بن عدي
قد كفر بالله كفره أصم ، قال عبد الرحمن : إن سَأَعَى بِذَلِكَ نِسَةَ الكفر إلى علي
ابن أبي طالب عليه السلام ؛ لأنه كان أصم .

قال : وقد روى عبد الرحمن السعدي ، عن ابن عياش المفتوف ، قال : رأيت أبا بريدة
قال لأبي العادبة الجهمي قاتل عمار بن ياسر : أأنت قتل عمار بن ياسر ؟ قال : نعم ، قال :
ناولني يدك ؛ فقبّلها ، وقال : لا تمسك النار أبدا .

(١) يقال : لم يرنه كلاة ، أي لم يرنه عن عرس بل قرب ؛ يريد أنه وريث البعض عن أبيه أم
موسى الأشعري .

وروى أبو نعيم عن هشام بن المغيرة ، عن الفضبان بن يزيد ، قال : رأيت أبا بردة
قال لأبي العادية قاتل عمار بن ياسر : مرحبا بأخي ها هنا ! فأجلسه إلى جابه .

ومن المتعرفين عنه عليه السلام أبو عبد الرحمن التميمي القاري : روى صاحب كتاب
" العارات " عن حماد بن السائب ، قال : قال رجل لأبي عبد الرحمن التميمي : أشدك
بالله ، إن سألتك لتخبرني ؟ قال : نعم ، فما أكد عليه قال : بالله هل أبمضت عليا
إلا يوم قسم المال في الكوفة فلم يصلك ولا أهل بيتك منه شيء . قال : أما إذ أنشدتني
بالله ، فلقد كان كذلك .

قال : وروى أبو عمر الضرب ، عن أبي عروبة ، قال : كان بين عبد الرحمن بن عوف وبين
أبي عبد الرحمن التميمي شيء في أمر علي عليه السلام : فأقبل أبو عبد الرحمن على حيان ،
فقال : هل تدري ما جرت أحوالك في الله ما أيمى عليا ، قال : وما جرت أحوال أبي العيرك ؟
قال : حدثنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأهل بدر : « اعملوا ما شئتم فقد غفرت
لكم » ، أو كلاما هذا معناه .

وكان عبد الله بن عكيم عماميا ، وكان عبد الرحمن بن أبي ليلى علويًا ، فروى موسى
الجهني ، عن ابنة عبد الله بن عكيم ، قالت : تحدثنا يوما ، فسمعت أبي يقول لعبد الرحمن :
أما إن صاحبك لو صبر لأتاه الناس .

وكان سهم بن طريف عماميًا ، وكان علي بن ربيعة علويًا ، فضرب أمير الكوفة
علي الناس بسا ، وضرب علي سهم بن طريف معهم ، فقال سهم لعلي بن ربيعة : اذهب
إلى الأمير فكلّمه في أمري لئلا يغيبني ، فأتى علي بن ربيعة الأمير ، فقال : أصلحك الله !

لن سهما أعمى فأعفنه ، قال : قد أعفيت ، فلما انتقيا قال : قد أخبرتك الأمير أنك أعمى ، وإنما عفيت عني القلب .

وكان قيس بن أبي حازم يُعِضُّ علياً عليه السلام ؛ روى وكيع ، عن إسماعيل ابن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، قال : أتيت علياً عليه السلام ليكلمني عثمان في حاجة ، فأبى فأبصته .

قلت : وشيوعنا المتكلمون - رحمهم الله - بسقطون روايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله : « إسمكم اترون رتسم كما ترون القمر ليلة البدر » ، ويقولون : إنه كان يُعِضُّ علياً عليه السلام ؛ وكان فاسقا ، ونقلوا عنه أنه قال : سمعت علياً عليه السلام يخاطب علي المنبر ، ويقول : « انفروا إلى نية الأحرار » ، فتدخل بعضه في قلبه .

وكان سعيد بن المسيب معروفا عنه عليه السلام ، وحبته عمر بن علي عليه السلام في وجهه بكلام شديد .

روى عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبي داود الهمداني ، قال : شهدت سعيد ابن المسيب - وأقبل عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له سعيد : يا ابن أخي ، ما أراك تكثير غشيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله كما يفعل إخوانك وبوأعمالك ! فقال عمر : يا ابن المسيب ، أكلت دحت المسجد أجيء فأشهدك ! فقال سعيد : ما أحب أن تنصب ، سمعت أباك يقول : إن آلي من الله مقاماً هو خير لبي عبد للطلب مما على الأرض من شيء . فقال عمر : وأنا سمعت أبي يقول : ما كلمة حكمة

في قلب منافق فيخرج من الدنيا ، حتى ^(١) يكلم بها . قال سعيد : يا ابن أخي ، جعلتني منافقا ! قال : هو ما أقول لك . ثم انصرف .

• • •

وكان الزهري من المتعرفين عنه عليه السلام .

وروى جرير بن عبد الحميد ، عن محمد بن شيبه ، قال : شهدت مسجد المدينة ، فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليا عليه السلام ، فقالا منه ، فبلغ ذلك علي ابن الحسين عليه السلام ؛ فجاء حتى وقف عليهما ، فقال : أما أنت يا عروة ، فإن أبي حاكم أبلك إلى الله ، فحكم لأبي علي أميك ؛ وأما أنت يا زهري ، فلو كنت بمكة لأرسلت بك إلى أميك .

وقد روى من طرق كثيرة ، أن عروة بن الزبير كان يقول : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يزوره إلا علي بن أبي طالب وأسماء بن زيد .
وروى عاصم بن أبي عامر البجلي ، عن يحيى بن عروة ، قال : كان أبي إذا ذكر عليا نال منه .

وقال لي مرة : يا بني ، والله ما أحجم الناس عنه إلا طلبا للدنيا ، لقد بعثت إليه أسماء ابن زيد أن ابست إلى بطناني ، فوالله إنك لتعلم أنك لو كنت في قم أسد دخلت معك فكتب إليه : إن هذا المال لمن جاهد عليه ؛ ولكن لي مالا بالمدينة فأصيب منه ما شئت . قال يحيى : فكنت أعجب من وصفه إياه بما وصفه به ، ومن عيبه له وانحرافه عنه .

• • •

وكان زيد بن ثابت عثاميا شديدا في ذلك ، وكان عمرو بن ثابت عثاميا ، من أعداء علي عليه السلام ومبغضيه ، وعمرو بن ثابت هو الذي روى عن أبي أيوب الأنصاري حديث : « ستة أيام من شوال » .

روى عن عمرو أنه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجمع أهلها ، ويقول : أيها الناس ، إن عليا كان رجلا منافقا ، أراد أن ينحس برسول الله صلى الله عليه وآله لئلا يعقبه ، فآلعه ، فبلغه أهل تلك القرية ؛ ثم يسير إلى القرية الأخرى ، فيأمرهم بمثل ذلك ، وكان في أيام معاوية .

•••

وكان مكحول من اللبغضين له عليه السلام ، روى زهير بن معاوية عن الحسن بن الحر ، قال : لقيت مكحولا ؛ فإذا هو مطبوع - يعني مملوءا - بمصا لعل عليه السلام - فلم أزل به حتى لان وسكن .

وروى المحدثون عن حماد بن زيد ، أنه قال : أرى أن أصحاب علي أشد حبا له من أصحاب السجل لمجملهم . وهذا كلام شنيع .

وروى عن شاذان بن سوار أنه ذكر عنه أنه علي عليه السلام ، وطلبهم الخلافة فقال : والله لا يصيرون إليها أبدا ، والله ما استقامت لعل ، ولا فرح بها يوما ، فكيف تصير إلى هذه الهيئات هيات ! لا والله لا ينوق طعم الخلافة من رضى بقتل عثمان .

•••

وقال شيخنا أبو جعفر الإسكافي : كان أهل البصرة كأهم يبعصونه ، وكثير من أهل الكوفة وكثير من أهل المدينة ؛ وأما أهل مكة فكأهم كانوا يبعصونه قاطبة ، وكانت قريش كلها على خلافه ، وكان جمهور الخلق مع بني أمية عليه .

وروى عبد الملك بن عمير ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، وهو يقول : مالتى أحد من الناس ما نقيت أثم بكى عليه السلام .

وروى الشعبي ، عن شريح بن هاني ، قال : قال علي عليه السلام : اللهم إني أستعديك

على قريش ؛ فإسهم قطعوا رَحِيي ، وأصموا^(١) إناثي ، وصَفَرُوا عَظِيمَ مِزْلَتِي ، وأَجْمَعُوا على منازعتي .

وروى جابر عن أبي الطفيل ، قال : سمعت عياضاً عليه السلام ، يقول : اللهم إني أَسْتَعْدِيكَ على قريش ؛ فإسهم قطعوا رَحِيي ، وعَصَوْنِي حَقِّي ، وأَجْمَعُوا على منازعتي أمراً كنت أولى به ، ثم قالوا : إن من الحق أن تأخذ به ، ومن الحق أن تتركه .

وروى المسيب بن نَحْمَةَ الغراري ، قال : قال علي عليه السلام : من وحدتموه من بني أمية في ما ، فَعَطُّوا على صياحه ، حتى يدخل الماء في فيه .

وروى عمرو بن دينار ، عن ابن أبي مليكة ، عن السَّوَرِ بْنِ مَحْرَمَةَ ، قال : لقيَ عبد الرحمن ابن عوف عمر بن الخطاب ، فقال : ألم نسكن قراً من جملة القرآن : قاتلوم في آخر الأمر كما قاتلتموم في أوله ؟ قال : بلى ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْأَمْرَاءُ بِي أُمِيَّةٍ وَالْوُزَرَاءُ بِي مَحْرُومٍ ! وروى أبو عمر السَّهْدِيُّ ، قال : سمعت علي بن الحسين يقول : ما بمكة وللدينة عشرون رجلاً يحبسوا .

وروى سميان الثوري ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي البختري ، قال : أثنى رجلٌ على علي بن أبي طالب في وجهه - وكان يُبْهَمُهُ - فقال علي : أبا دون ما تقول ، وفوق ما في نفسك .

وروى أبو غسان السَّهْدِيُّ ، قال : دخل قوم من الشيعة على علي عليه السلام في الرَّحْبَةِ ، وهو على حصير خَلَقَ ، فقال : ما جاءكم ؟ قالوا : حُكِّ يا أمير المؤمنين ، قال : أما إنه من أحسن رآني حيث يحب أن يراني ، ومن أسوأ رآني حيث يكره أن يراني ، ثم قال : ما عَدَّ اللهُ أحدٌ قبلي إلا سيئاً عليه السلام ؛ وقد هَجَمَ أبو طالب علينا وأنا وهو ساجدان ، فقال : أو فلتتموها ! ثم قال لي وأنا علام : وَتُحَلِّكُ ، انصر ابن عمك ! وَتُحَلِّكُ لا تُخَدِّلُهُ ،

(١) يقال : أصمى فلان إناء فلان إذا أَمَلَهُ وَغَطَّاهُ حِطَّةً . (السان) .

وجعل يحثني على مؤازرته ومكافئته ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : « أفلا تصلي أنت معنا يا عم ؟ » فقال : لأفعل يا ابن أخي ، لا تنفوني اسقي . ثم انصرف .

وروى جعفر بن الأحمر ، عن مسلم الأعور ، عن حبة المرقني ، قال : قال علي عليه السلام : مَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِيَ ؛ أَمَا إِنَّكَ لَوْ صُنْتَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ، وَقَتَ اللَّيْلِ كُلَّهُ ، ثُمَّ قُتِلْتَ بَيْنَ الصُّفَا وَالْمُرَّةِ - أَوْ قَالَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ - لَمَا بَعَثَكَ اللَّهُ إِلَّا مَعَ هَؤُلَاءِ مَا بَلَغَ ؛ إِنْ فِي جَنَّةِ نَارِ جَنَّةٍ ، وَإِنْ فِي نَارِ غِي نَارٍ .

وروى جابر الجعفي ، عن علي عليه السلام أنه قال : مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلَيْسَ مَعَدَّةً عِدَّةَ الْبِلَاءِ .

وروى أبو الأحوص ، عن أبي حنيفة عن علي عليه السلام : يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ ، مَحَبٌّ ظَالِمٌ ، وَمُبْغِضٌ ظَالِمٌ .

وروى حماد بن صالح ، عن أبي بصير عن كهمس ؛ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : يَهْلِكُ فِي ثَلَاثَةٍ : التَّلَاعُنَ وَالسَّتْعَ الْمَقَرَّ ، وَحَامِلَ الْوِزْرِ ، وَهُوَ الْمَلِكُ الْمَتَرَفُ ، الَّذِي يُتَقَرَّبُ إِلَيْهِ بِلَعْنَتِي ، وَيُبْرَأُ عَنْهُ مِنْ دِينِي ، وَيُنْتَقَصُ عَنْهُ حِسِّي ؛ وَإِنَّمَا حَسِّي حَسْبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَدِينِي دِينُهُ . وَيَنْعَوِي ثَلَاثَةٌ : مَنْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّ عَمِّي ، وَمَنْ عَادَى عَدُوِّي ؛ فَمَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ بَغِيضِي أَوْ أَلْبَسَ عَلَيَّ سِيئِي ؛ أَوْ انْتَضَى ؛ فَلَيْسَ أَنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ وَحَصْبُهُ ^(١) ؟ وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ .

وروى محمد بن الفضل ، عن محمد بن الحنفية ، قال : مَنْ أَحَبَّنَا نَفَعَهُ اللَّهُ بِحُبِّنَا ، وَلَوْ كَانَ أَسِيرًا بِالْفَتْحِ .

وروى أبو صادق ، عن ربيعة بن ماجد ، عن علي عليه السلام ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله : « إِنَّ فِيكَ لَشَهَادًا مِنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، أَحَبَّهُ الْمَصَارِيُّ حَتَّى أَنْزَلَهُ بِالْمَنَزَلَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لَهُ ، وَأَبْغَضَهُ الْيَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ » .

وروى صاحب كتاب "النارات" حديث البراءة على غير الوجه المذكور في كتاب "سج البلاغة" ، قال: أحبرنا يوسف بن كليب السعدي ، عن يحيى بن سليمان العمدي ، عن أبي مريم الأنصاري ، عن محمد بن علي الباقر عليه السلام ، قال : خطب علي عليه السلام على منبر الكوفة ، فقال : سيعرض عليكم سبي ، وستذبحون عليه ؛ فإن عرض عليكم سبي فسيبوني ، وإن عرض عليكم البراءة مني ، فإني على دين محمد صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يقل : « فلا تبرءوا مني » .

وقال أيضا : حدثني أحمد بن مفصل ، قال : حدثني الحسن بن صالح ، عن جعفر بن محمد عليه السلام . قال : قال علي عليه السلام : والله لتذبحن علي سبي - وأشار بيده إلى حلقه - ثم قال : فإن أمرؤكم سبي فسيبوني ؟ وإن أمرؤكم أن تبرءوا مني فإني على دين محمد صلى الله عليه وآله . ولم يههمهم من إظهار البراءة .

وروى شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى عن سلمة بن كهيل ، عن المسيب بن نجيبة ، قال : بينا على عليه السلام يخطب إذ قام أعرابي ، فصاح : وامظلمناه ! فاستدناه علي عليه السلام ، فلما دنا قال له : إنما لك مظلمة واحدة ، وأنا قد ظلمت عدد الدّر والوبر . قال : وفي رواية عباد بن يقوب ، أنه دعا فقال له : ويحك ! وأنا والله مظلوم أيضا ؛ هات فلندع علي من ظلمتنا .

وروى سدير الصيرفي ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : اشتكى علي عليه السلام شكاة ، فعاده أبو بكر وعمر ، وخرجا من عنده ، فأتيا النبي صلى الله عليه وآله ، فسألما : من أين جئنا ؟ قال : عدنا حليًا ، قل : كيف رأيناه ؟ قال : رأينا يمتخاف عليه بما به ، فقال : « كلا إنه لنزعوت حتى يوسع غدرا ونبيا ، وليكونن في هذه الأمة عبرة يحتبر به الناس من بعده » .

وروى عثمان بن سعيد ، عن عبد الله بن العنوي ، أن علياً عليه السلام خطب بالرحبة ، فقال : أيها الناس ؛ إنكم قد أبيتم إلا أن أقولها ! ورب السماء والأرض ، إن من عهد النبي الأمي إلى : « إن الأمة ستندرك بك مدى » .

وروى هيثم بن بشير ، عن إسماعيل بن سالم مثله ؛ وقد روى أكثر أهل الحديث هذا الخبر بهذا اللفظ أو بقريب منه .

وروى أبو حنيفة الإسكافي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة عليها السلام ، فوجد عليها نائماً ، فذهبت نذته ، فقال : « دعيه فرب سهر له مدى طويل ، ورب جنوة لأهل بيتي من أجله شديدة » فيكت ؛ فقال : « لاتبكي فإنكما معي ، وفي موقف الكرامة عندي » .

وروى الناس كافة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « هذا ولتي وأنا وليه ماديت من عاداه ؛ وسالت من سألته » ، أو نحو هذا اللفظ .

وروى أيضاً محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعل عليه السلام : « هدوك عدوي وعدوي هدو الله عز وجل » .

وروى يونس بن حباب ، عن أنس بن مالك ، قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب معنا ، فررتنا بحديقة ، فقال علي : يا رسول الله ، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة ؟ فقال : « إن حديقتك في الجنة أحسن منها » ؛ حتى مرزنا بسبع حدائق ، يقول علي ما قال ، ويحبيه رسول الله صلى الله عليه وآله بما أجابه . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف فوقتنا ، فوضع رأسه على رأس علي وبكى ، فقال علي : ما يبكيك يا رسول الله ؟ قال : « ضمتان في صدور قوم لا يُبدونها لك حتى يفقدوني » ،

قال : يا رسول الله ، أفلا أضع سيفي على عاتق فأبذل خضراءم ؟ قال : بل تصبر ، قال :
فإن صبرت ؟ قال : تلاقى جدها ، قال : أفى سلامة من ديني ؟ قال : نعم ، قال :
فلنأ لا أهلك .

وروى جابر الجعفي ، عن محمد بن علي عليه السلام ، قال : قال علي عليه السلام :
مارأيت منذ بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله رجاء ، لقد أخافني قريش حين
وأنصبتني كبرا ؛ حتى قمى الله رسوله ، فكأت الطامة الكبرى ، والله المصنوع
علي ما تصفون !

وروى صاحب كتاب " الفرائد " عن الأعمش ، عن أنس بن مالك ، قال :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : سيظهر على الناس رجل من أمي ، عظيم
الترحم ، واسع العلم ، يأكل ولا يشبع ، يصل ويؤثر الثقلين ، يطلب الإمارة يوما ، فإذا
أدركتموه فاجتروا بطنه ، قال : وكان في يد رسول الله صلى الله عليه وآله قضيب ، فوضع
طرفه في بطن معاوية .

قلت : هذا المصنف مروج مناسب لما قاله علي عليه السلام في " نهج الخلافة " يومئذ
لاختيارنا أن المراد به معاوية ، دون منعه كثير من الناس أنه زائد ولله .

وروى جعفر بن سليمان التيمي ، عن أبي هارون القمي ، عن أبي سعيد الطخري
قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله يوما لعل ما يلقي بطنه من لثمت فأطال ،
فقال له عليه السلام : أنشدك الله والرسول يا رسول الله لا دعوت الله أن يبعثني إلى عباده ؛
قال : كيف أحاله في أجل مؤجل ؟ قال : يا رسول الله ، فسلام أقاتل من أمرني بقتاله ؟
قال : على الحديث في الدين .

وروى الأعمش ، عن حماد الهشمي ، عن أبي صالح الخنفي ، عن علي عليه السلام ، قال :

قال لنا يوماً : لقد رأيت اليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام ، فشكوت إليه ما لقيت حتى بكيت ، قال لي : انظر ، فنظرت فإذا جلاميد ، وإذا رجلان مصفدان - قال الأعمش : هما معاوية وعمر بن العاص - قال : فجعلت أرضخ رءوسهما ثم تعود ، ثم أرضخ ثم تعود ! حتى انتهت .

وروى نحوه هذا الحديث عمرو بن مرة ، عن أبي عبد الله بن سطة ، عن علي عليه السلام ، قال : رأيت اليلة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فشكوت إليه ، فقال : هذه جهنم ، فانظر من فيها ، فإذا معاوية وعمر بن العاص معلقين بأرجلهم مئكتين ، ترصخ رءوسهما بالحجارة - أو قال : تشدخ .

وروى قيس بن الربيع ، عن يحيى بن هاني " للرازي " ، عن رجل من قومه يقال له رواد ابن فلان ، قال : كنا في بيت مع علي عليه السلام فمن شيعته ^(١) وخواتمه ، فالتفت فلم يترك منا أحداً ، فقال : إن هؤلاء القوم سيظهرون عليكم فيقطعون أيديكم ويسلبون أعيانكم ، فقال رجل منا : وأنت حي يا أمير المؤمنين ؟ قال : أعادني الله من ذلك ؛ فالتفت فإذا واحد بيكي ، فقال له : يا ابن الحقاء ، أتريد الذات في الدنيا والهرجات في الآخرة ! إنما وعد الله الصابرين .

وروى زرارة بن أعين عن أبيه ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام ، قال : كان علي عليه السلام إذا صلى القبر لم يزل مقبياً إلى أن تطلع الشمس ؛ فإذا طلعت اجتمع إليه الفقراء والمساكين وغيرهم من الناس ؛ فيعلمهم الفقه والقرآن ؛ وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك ؛ فقام يوماً فرت رجل ، فرماه بكلمة هجر - قال : لم يسته محمد بن علي عليه السلام - فرجع عوّده على بدته حتى صعد المنبر ، وأمر فنادى : الصلاة جامعة الخيد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ثم قال : أيها الناس ، إنه ليس شيء أحب إلي الله ولا أمّ نعمة من

(١) به : ونحن وشيعته وخواتمه .

حِمْ إِمَامٌ وَقَّهْ ؛ وَلَا شَيْءَ أَنْصَحَ إِلَى اللَّهِ وَلَا أَمْرَ خَيْرٍ مِنْ جِهْلِ إِمَامٍ وَخُرْقِهِ ، إِلَّا وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعْظَمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ اللَّهِ حَافِظٌ ؛ إِلَّا وَإِنَّهُ مِنْ أَنْصَفِ مَنْ نَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهُ اللَّهُ إِلَّا عِزًّا ؛ إِلَّا وَإِنَّ الْقَلْبَ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنَ التَّمَرُّزِ فِي مَعْصِيَتِهِ . ثُمَّ قَالَ : أَيْنَ الْمُتَكَلِّمُ آتِنَا ؟ فَلَمْ يَسْتَطِعِ الْإِنْكَارَ ، فَقَالَ : هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءُ قُلْتُ ، فَقَالَ : إِنْ نَفَعَكَ وَنَصَحَكَ ، فَأَنْتَ أَهْلُ ذَلِكَ ؛ قَالَ : قَدْ عَفَوْتُ وَصَنَعْتُ ؛ فَقِيلَ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا أَرَادَ أَنْ يَقُولَ ؟ قَالَ : أَرَادَ أَنْ يَنْسِبَهُ .

وَرَوَى زُرَّارَةُ أَيْضًا ، قَالَ : قِيلَ لِيُحْمَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ قَوْمًا هَاهُنَا يَنْتَقِصُونَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : سَمَّ يَنْتَقِصُونَهُ لَا أَهْلًا لَهُمْ ! وَهَلْ فِيهِ مَوْضِعٌ خَبِيصَةٌ أَوْ اللَّهُ مَا عَرَّضَ لِعَلِّ أَمْرَانِ قَطُّ كَلَامَاهُ اللَّهُ طَاعَةٌ إِلَّا عَمِلَ بِأَشَدِّهَا وَأَشَقِّهَا عَلَيْهِ ، وَلَقَدْ كَانَ يَمْلِكُ الْعَمَلُ كَأَنَّهُ قَائِمٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، يَنْظُرُ إِلَى ثَوَابِ هَؤُلَاءِ فَيَعْمَلُ لَهُمْ ، وَيَنْظُرُ إِلَى عِقَابِ هَؤُلَاءِ فَيَعْمَلُ لَهُمْ ؛ وَإِنْ كَانَ لَيَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَلِذَا قَالَ أَوْجِهُتُ وَجْهِي تَبَرُّؤُهُ ؛ حَقٌّ بِمَرَفِ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ^(١) ؛ وَلَقَدْ أَعْتَقَ أَلْبَ عَبْدِ مَنْ كَذَبَهُ ؛ كُلُّ مَنَّهُمْ ^(٢) بِمَرَفِ فِيهِ جَبِينُهُ ، وَنَحْنُ فِيهِ كَفُّهُ ، وَلَقَدْ نُشِرَ بَيْنَ نَبَاتٍ فِي مَالِهِ مِثْلُ عُنُقِ الْجُرُورِ ، فَقَالَ : بَشِّرِ الْوَارِثَ بِشَرِّهِ ، ثُمَّ جَعَلَهَا صَدَقَةً عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالسَّائِكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ إِلَى أَنْ يَرِثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا ، لِيَصْرِفَ اللَّهُ النَّارَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَصْرِفَ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ .

وَرَوَى الْقَتَادَةُ ، عَنْ أَبِي سَرِيحٍ الْأَنْصَارِيِّ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَا يَجْنِي كَافِرٌ وَلَا وَلَدُ زَنَاءٍ . وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ أَبِي هَارُونَ الْمُبْدِيِّ ، عَنْ أَبِي سَمِيدٍ الطُّمَرِيِّ ، قَالَ : كُنَّا بَنُوورَ إِيْمَانَنَا نَحْبُو عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَمَنْ أَحْبَبَهُ عَرَفْنَا أَنَّهُ مِنَّا .

• • •

[فصل في معنى قول عليّ : « فسبوني فإياه لي زكاة »]

المسألة الثالثة :

في معنى قوله عليه السلام : « فسبوني ، فإنه لي زكاة » ، ولكم نجاته ، فنقول : إنه أباح لهم سبه عند الإكراه ، لأن الله تعالى قد أباح عند الإكراه التلفظ بكلمة الكفر ؛ فقال : « إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ » ، والتلفظ بكلمة الكفر أعظم من التلفظ بسب الإمام .

فأما قوله : « فإنه لي زكاة ولكم نجاته » ؛ فعناه أنكم تنصرون من القتل إذا أظهرتم ذلك ، ومعنى الزكاة يحتمل أمرين : أحدهما ما ورد في الأخبار النبوية أن سب المؤمن زكاة له وزيادة في حسناته .

والثاني : أن يريد به أن سهمي لا ينقص في الدنيا من قدري ، بل أريد به شرفاً وعلو قدره وشياع ذكره ؛ وهكذا كان ، فإن الله تعالى جعل الأسباب التي حاول أعداؤه بها الغرض منه عللاً لا انتشار صيته في مشارق الأرض ومغاربها .

وقد لمح هذا المعنى أبو نصر بن نباتة ، قال للشريف الجليل محمد بن عمر العلوي :

وأبوك الوصي أول من شا دَ منار الهدى وصامَ وصلي

نشرت به قريش فأعطته إلى صُبْحَةِ القِيَامَةِ قَتْلًا

واحتذيت أنا حذوه ، قلت لأبي المظفر هبة الله بن موسى الموسوي رحمه الله تعالى :

في قصيدة أذكر فيها أباه :

أَمَكِ الدرة التي أنجبت من جَوْهَرِ الجَدِّ راضياً مَرْضِيّاً

وأبوك الإمام موسى كَظِيمِ السُّلْطَانِ حَقِي بُيُوسِدُهُ تَنْبِيّاً

وأبوه تاج الهندى جعفر العا دق وخيا من الغيوب وخيا
وأبوه محمد باقر الدائم مفعى لنا هاديا مهديا
وأبوه السجاد أنقى عباد الله لله مخلصا ووفيا
والحين الذى تخبر أن يقضى عزرا ولا يمشى دنيا
وأبوه الوصى أول من طأ ف ولهى سبعا وساقى الهديا
طامنت بحده قريش فأعطته إلى سذرة السماء رفيا
أخلفت صيته قطار إلى أن تلاً الأفق ضجبة ودوبا
وأبو طالب كفيش أبو السفايم كهلأ وبافيمأ وفيمأ
ولشيوخ البطحاء تاج مقيد شية الخند هل علت سميا
وأبو عمر السلا هاشم الجوى يد من مثل هاشم بشرى
وأبوه الممام عبيد منافى قل تفل صادقاً وتندى بديا
ثم ريد - أعنى قصى الذى لم يك من ذروة السلا قصيا
نسب إن تلقى السب المحض لقالا كان السلب العربا
وإذا أغلقت مناسخ الأ سلب يوما كان السلب الجليا
بإله بخدة على قديم الدهر وقد يفضل المعيق الطريا
وذكرنا هاهنا ما قبل المعنى وما بعده ؛ لأن الشعر حديث ، والحديث - كما قيل -
بأخذ بعضه برقاب بعض ؛ ولأن ما قبل المعنى وما بعده مكمل له ، وموضح مقصده .
فإن قلت : أى مناسبة بين لفظ « الزكاة » وانتشار الصيت والسمع ؟
قلت : لأن الزكاة هى النماء والزيادة ؛ ومنه سميت الصدقة المخصوصة زكاة لأنها تنمى
لمال الزكى ، وانتشار الصيت نماء وزيادة .

[فصل في اختلاف الرأي في معنى السب والبراءة]

للأمة الرابعة :

أن يقال : كيف قال عليه السلام : « فأما السب فهُوَ قِيْلُهُ لِمَنْ لَهُ زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ ، وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَبْرَأُوا مِنْى » ؟ وأى فرق بين السب والبراءة ؟ وكيف أجاز لهم السب ومنعهم عن التبرؤ ، والسب أفحش من التبرؤ ؟
والجواب : أما الذى يقوله أصحابنا في ذلك فإنه لا فرق عندنا بين سبه ^(١) والتبرؤ منه ، في أنها حرام وفسق وكبيرة ، وأن للكفر عليها يجوز له فعلها عند خوفه على نفسه ، كما يجوز له إظهار كلمة الكفر عند الخوف .

ويجوز ألا يظلمها وإن قتل ، إذا قصد بذلك إهزاز الدين ، كما يجوز له أن يسلم نفسه للقتل ولا يظهر كلمة الكفر إهزازا للدين ، وإنما استغنى عليه السلام البراءة لأن هذه اللفظة ما وردت في القرآن العزيز إلا عن المشركين ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ ... أَنْ اللَّهَ يَرَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(٣) ، فقد صارت بحسب العرف الشرعى معطوفة على المشركين خاصة ؛ فإذا نُقِلَ هذا اللفظ على ترجيح تحريم لفظ البراءة على لفظ السب ، وإن كان حكمهما واحدا ؛ ألا ترى أن إلقاء المصحف في القدر أحش من إلقاء المصحف في دَنِّ الشراب ؛ وإن كانا جميعا محرمتين ، وكان حكمهما واحدا ؟
فأما الإمامية فتروى عنه عليه السلام أنه قال : إذا عُرِضَ على البراءة منا فذروا الأعناق .

ويقولون : إنه ^(٤) لا يجوز التبرؤ منه ؛ وإن كان الخائف صادقا ، وإن عليه الكفارة .

(٢) سورة التوبة ١ .

(٤) ساقطة من ١ .

(١) ج : « السب » .

(٣) سورة التوبة ٣ .

ويقولون : إنَّ حكم البراءة من الله تعالى ومن الرسول ومنه عليه السلام ومن أحد الأئمة عليهم السلام ، حكم واحد .

ويقولون : إنَّ الإكراه على السب يُبيح إظهاره ؛ ولا يجوز الاستسلام لقتل معه ، وأما الإكراه على البراءة ؛ فإنه يجوز معه الاستسلام للقتل ويجوز أن يظهر للقتل ، والأولى أن يستسلم للقتل .

• • •

[فصل في معنى قول عليّ : « إني ولدت على الفطرة »]

السَّأَلُ الْخَامِسُ :

أن يقال : كيف علل نهيّه لم على البراءة منه عليه السلام ، بقوله : « إني ولدت على الفطرة » ؛ فإن هذا التعليل لا يختص به عليه السلام ، لأن كل أحد^(١) يولد على الفطرة ؛ قال النبي صلى الله عليه وآله : « كل مولود يولد على الفطرة ؛ وإما أبواه يهودانه وينصرانه » .

والجواب ، أنه عليه السلام علل نهيّه لم من البراءة منه بمجموع أمور وعمل ؛ وهي كونه ولد على الفطرة ، وكونه سبق إلى الإيمان والمجرة ؛ ولم يعلل بأحد هذا المجموع ، ومراده هنا بالولادة على الفطرة أنه لم يولد في الجاهلية ؛ لأنه ولد عليه السلام لثلاثين عاماً مضت من عام الفيل ؛ وللهي صلى الله عليه وآله أرسل لأربعين سنة مضت من عام الفيل ؛ وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وآله مكث قبل الرسالة سنين عشرًا يسمع الصوت ويرى الضوء ، ولا يخاطبه أحد ؛ وكان ذلك إلهاماً لرسالة عليه السلام فصَّحَّكم تلك السنين العشر حكم أيام رسالته صلى الله عليه وآله ؛ فالمولود فيها إذا كان في حجره وهو المتولَّى لتربيته مولود في أيام كآلام النبوة ، وليس بمولود في جاهلية محضة ، ففارق حاله حال مَنْ يدعى له من الصحابة مما نكث في الفضل . وقد روى أن السنة التي ولد فيها عليّ

عليه السلام هي السنة التي بدى فيها برسة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فاستمع
الجنات من الأحجار والأشجار ، وكشف عن بصره ، فشهد أنواراً وأشخاصاً ؛ ولم
يخاطب فيها^(١) بشيء . وهذه السنة هي السنة التي ابتدأ فيها بالنبيل والاقطاع والمزلة
في جبل حراء ، فلم يزل به حتى كوثف بالرسالة ، وأمرل عليه الوحي ، وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله يقيم تلك السنة وبولادة علي عليه السلام فيها ، وبسميها سنة
التحير وسنة البركة ؛ وقال لأهله ليلة ولادته ، وفيها شاهد ما شاهد من الكرامات والقدرة
الإلهية ، ولم يكن من قبلها شاهد من ذلك شيئاً : « لقد ولد لنا الليلة مولود يفتح الله
علينا به أبواباً كثيرة من النعمة والرحمة » ، وكان كما قال صلوات الله عليه ، فإنه عليه
السلام كان ماصره والهايم عنه وكاشف الغم^(٢) من وجهه ؛ وبسيفه ثبت دين
الإسلام ، ورست دعائمه ، وتمهدت قواعده عليه السلام .

وفي للسألة تفسير آخر ؛ وهو أن معنى بقوله عليه السلام : « إني ولدت على
الفطرة » ، أى على الفطرة التي لم تتغير ولم تتحل ، وذلك أن معنى قول النبي صلى الله عليه
وآله : « كل مولود يولد على الفطرة » أن كل مولود فإن الله تعالى قد هيأه بالعقل
الذي خلقه فيه وبصحة الحواس والمشاعر لأن يعلم التوحيد والعدل ، ولم يجعل فيه
مانعاً يمنعه عن ذلك ؛ ولكن التربية والمقيدة في الوالدين والإلف لاعتقادها وحسن
الظن^(٣) فيها يصدّه عما فطر عليه ؛ وأمير المؤمنين عليه السلام دون غيره ، وولد على الفطرة
التي لم تتحل ولم يصدّه عن مقتضاها مانع ؛ لامن جانب الأبوين ولامن جهة غيرهما ، وغيره
ولد على الفطرة ، ولكنه حال عن مقتضاها ، وزال عن موجبها .

ويمكن أن يفسر بأنه عليه السلام أراد بالفطرة الميضة ؛ وأنه منذ ولد لم يواقع قبيحاً ؛

(١) ج : « بها » .

(٢) ج : « الغم » .

ولا كان كافرا حرفة بين قط ، ولا غططنا ولا غالطنا في شيء من الأشياء المتعلقة بالدين .
وعذا تفسير الإمامية .

[فصل فيما قيل من سبق علي إلى الإسلام]

المسألة السادسة :

أن يقال : كيف قال : « وسبقت إلى الإيمان » ، وقد قال قوم ^(١) من الناس : إن
أبا بكر سبقه ، وقال قوم : إن زيد بن حارثة سبقه ؟

والجواب ، أن أكثر أهل الحديث وأكثر المحققين من أهل البصرة رَوَوْا أنه
عليه السلام أول من أسلم ؛ ونحن نذكر كلام أبي عمر يوسف بن عبد البر ، المحدث في
في كتابه المعروف " الاستيعاب " ^(٢)

قال أبو عمر في ترجمة ^(٣) علي عليه السلام : المروى عن سلمان وأبي ذرٍّ ولقنادة
وخبّاب وأبي سعيد الخدري وزيد بن أسلم أن عليا عليه السلام أول من أسلم ؛ وقضاه
هؤلاء على غيره .

قال أبو عمر : وقال ابن إسحاق : أول من آمن بالله وبمحمد رسول الله صلى عليه
 وآله علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو قول ابن شهاب ؛ إلا أنه قال : « من الرجال
 بعد خديجة » .

قال أبو عمر : وحدّثنا أحمد بن محمد ، قال : حدّثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدّثنا
محمد بن جرير ، قال : حدّثنا علي بن عبد الله الذهقان ، قال : حدّثنا محمد بن صالح ، عن
سماك بن حرب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لعلي عليه السلام أربع خصال ، ليست

(١) ب : « كثير » ، وما أثبت من ج . (٢) الاستيعاب ١٠٨٩ وما بعدها .

لأحد غيره : هو أول عربي ومجسي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو الذي كان معه
لواؤه في كل زحف ، وهو الذي صبر معه يوم قرآ عنه غيره ؛ وهو الذي غتله وأدخله قبره .
قال أبو عمر : وروى عن سلمان الفارسي أنه قال : أول هذه الأمة وروداً على نبيها صلى
الله عليه وآله الخوض ، أولها إسلاما : علي بن أبي طالب . وقد روى هذا الحديث مرفوعاً
عن سلمان عن النبي صلى الله عليه وآله ، أنه قال : « أول هذه الأمة وروداً على الخوض
أولها إسلاما : علي بن أبي طالب » .

قال أبو عمر : ورفضه أولى ، لأن مثله لا يذرك بالرائي .

قال أبو عمر : فأما إسناد المرفوع ؛ فلن أحمد بن قاسم ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ
قال : حدثنا بن الحارث بن أبي أسامة ، قال : حدثني يحيى بن هاشم ، قال : حدثنا سفيان
الثوري ، عن سلمة بن كهيل ، عن أبي صادق ، عن حنظل بن العتيق ، عن عليم^(١) السكيتي ،
عن سلمان الفارسي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أولكم وارد على الخوض
أولكم إسلاما : علي بن أبي طالب » .

قال أبو عمر : وروى أبو داود الطيالسي ، قال : حدثنا أبو حوافة ، عن أبي بلج ،
عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس أنه قال : أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وآله
بعد خديجة علي بن أبي طالب .

قال أبو عمر : وحدثنا عبد الوارث بن سفيان ، قال : حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال : حدثنا
أحمد بن زهير بن حرب ، قال : حدثنا الحسن بن حماد ، قال : حدثنا أبو عوافة ، عن أبي بلج
عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : كان علي أول من آمن من الناس بعد خديجة .
قال أبو عمر : هذا الإسناد لا مطمئن فيه لأحد ؛ لصحته وثقة نقلته ؛ وقد عارض^(٢)

(١) في الأصول : « عليم » ، وما أنته من الاستيعاب .

(٢) ج . « عروس » ، والاستيعاب : « وهو عارض » .

ما ذكرنا في باب أبي بكر الصديق ، عن ابن عباس : والصحيح في أمر أبي بكر أنه أول من أظهر إسلامه ، كذلك قاله مجاهد وغيره ، قلوا : ومنعه قومه .

قال أبو عمر : اتفق ابن شهاب ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، وقتادة ، وابن إسحاق على أن أول من أسلم^(١) من الرجال علي . وانفقوا على أن خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدقته فيما جاء به ، ثم علي بعدهما .

وروى عن أبي رافع مثل ذلك .

قال أبو عمر : وحدَّثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد السلام بن صالح ، قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي ، قال : حدثنا عمر مولى غفرة ، قال : سئل محمد بن كعب القرظي عن أول من أسلم : علي أم أبي بكر ؟ قال : سبعمائة الله اعلى أولهما إسلاما ؛ وإعماشه على الناس ؛ لأن عليا أخفى إسلامه من أبي طالب ، وأسلم أبو بكر ، فأظهر إسلامه .

قال أبو عمر : ولا شك عندنا أن عليا أولهما إسلاما ، ذكر عبد الرزاق في جامعه ، عن معمر ، عن قتادة ، عن الحسن وغيره قالوا : أول من أسلم بعد خديجة علي بن أبي طالب عليه السلام .

وروى معمر ، عن عثمان الجري ، عن مِقْسَم^(٢) ، عن ابن عباس ، قال : أول من أسلم علي بن أبي طالب .

قال أبو عمر : وروى ابن فضيل عن الأجنح ، عن حبة بن جوين العرني ، قال : سمعت عليا عليه السلام ، يقول : لقد عيذت الله قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة خمس سنين .

قال أبو عمر : وروى شعبة ، عن سلمة بن كهيل ، عن حبة العرني ، قال : سمعت عليا يقول : أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه .

(٢) هو مقسم بن بكرة . ويقال : فبكرة .

(١) ج : « آسى » .

قال أبو عمر : وقد روى سالم بن أبي الجعد ، قال : قلت لابن الحنفية : أبو بكر كان أولهما إسلاما ؟ قال : لا .

قال أبو عمر : وروى مسلم الملائق ، عن أس بن مالك ، قال : استنحي النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

قال أبو عمر : وقال زيد بن أرقم : أول من آمن بالله بمدر رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب .

قال : وقد روى حديث زيد بن أرقم من وجوه ، ذكرها النسائي وأسلم بن موسى وغيرهما ؛ منها ما حدثنا به عبد الوارث ، قال : حدثنا قاسم ، قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي بن الجعد ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرني عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة الأنصاري قال : سمعت زيدا بن أرقم يقول : أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب .

قال أبو عمر : [وحدثنا عبد الوارث ، حدثنا قاسم ، حدثنا أحمد بن زهير بن حرب ، ^(١)] ، حدثنا أبي ، قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد ، قال : حدثنا ابن إسحاق قال : حدثنا يحيى بن أبي الأشعث ، عن إسماعيل بن إلياس بن عفيف السكندى ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأة تاجرا ، قدمت الحج ، فأبى العباس ابن عبد المطلب لأبتاع منه بعض التجارة . وكان امرأة تاجرا - فوافقه إني لست به بمبي إذ خرج رجل من خيباء قريب منه ، فنظر إلى الشمس ، فلما رآها قد قامت قام يصلي ، ثم خرجت امرأة من ذلك الخيباء الذي خرج منه ذلك الرجل ، فقامت خلفه تصلي ، ثم خرج غلام حين راحق الحلم من ذلك الخيباء ، فقام معه يصلي ، فقلت للعباس : ما هذا يا عباس ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي ، قلت : من هذه المرأة ؟

قال : امرأته خديجة بنت خويلد ، قلت : ما هذا القتي ؟ قال : علي بن أبي طالب ابن عمه ، قلت : ما هذا القتي يصنع ؟ قال : يصلي ، وهو يزعم أنه نبي ، ولم يلعبه على أمره إلا امرأته وابن عمه هذا الغلام ؛ وهو يزعم أنه سيفتح على أمته كنوز كسرى وقيصر ، قال : فكان عفيف الكندي يقول - وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه - لو كان الله رزقني الإسلام يومئذ كنت أكون ثانيا مع علي .

قال أبو عمر : وقد ذكرنا هذا الحديث من طرق في باب عفيف الكندي من هذا الكتاب .

قال أبو عمر : ولقد قال علي عليه السلام : صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله كذا وكذا ، لا يصلي معي غيري إلا خديجة .

فهذه الروايات والأخبار كلها ، ذكرها أبو عمر يوسف بن عبد البر في الكتاب للذكور ، وهي كما تراها تكاد تكون إجماعا .

قال أبو عمر : وإنما الاختلاف في كثرة سننه عليه السلام يوم أسلم ، ذكر الحسن ابن علي الحلواني في كتاب " المرفعة " له ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال : حدثنا الليث ابن سعد ، عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن ، أنه بلغه أن عليا والزبير أسما وهما ابنا ثمانين سنين . كذا يقول أبو الأسود خيم عروة ؛ وذكره أيضا ابن أبي خيثمة عن قتيبة بن سعيد ، عن الليث بن سعد ، عن أبي الأسود ؛ وذكره عمر بن شبة ، عن الحزامي ، عن أبي وهب ، عن الليث ، عن أبي الأسود ، قال الليث : وهما ابنا ثمان عشرة سنة .

قال أبو عمر : ولا أعلم أحدا قال يقول أبي الأسود هذا .

قال أبو عمر : وروى الحسن بن علي الحلواني ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : أسلم علي وهو ابن خمس عشرة سنة .

قال أبو عمر : وأخبرنا أبو القاسم حنف بن قاسم بن سهل ، قال : حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل الطوسي ، قال : أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق بن إبراهيم السراج ، قال : حدثنا محمد بن مسعود ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن الحسن ، قال : أسلم علي - وهو أول من أسلم - وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست عشرة سنة .

قال أبو عمر : قال ابن وضاح : وما رأيت أحدا قط أعلم بالحديث من محمد بن مسعود ، ولا يرى من سُنُون .

قال أبو عمر : قال ابن إسحاق : أول ذكر آمن^(١) بالله ورسوله علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين .

قال أبو عمر : والروايات في مبلغ سنه عليه السلام مختلفة ، قيل : أسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وقيل : ابن اثنتي عشرة سنة . وقيل : ابن خمس عشرة سنة . وقيل : ابن ست عشرة . وقيل : ابن عشر . وقيل : ابن ثمان .

قال أبو عمر : وذكر محمد بن شعبة ، عن اللدائي ، عن ابن جعدة ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : أسلم علي وهو ابن ثلاث عشرة سنة .

قال : وأخبرنا إبراهيم بن النضر الحرامی ، قال : حدثنا محمد بن طلحة ، قال : حدثني جدي إسحاق بن يحيى ، عن طلحة ، قال : كان علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير ابن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص أعمارا واحدة .

قال : وأخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن ، قال : حدثنا إسماعيل بن علي الخطمي ، قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا حُجَّين أبو عمر ، قال : حدثنا حبان ، عن معروف ، عن أبي معشر ، قال : كان علي عليه السلام وطلحة والزبير في سن واحدة .

قال : وروى عبد الرزاق ، عن الحسن وغيره : أن أول من أسلم بعد خديجة على ابن أبي طالب عليه السلام ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، أو ست عشرة .
قال أبو عمر : وروى أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا شريح بن النعمان ، قال : حدثنا الفرات بن السائب ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عمر ، قال : أسلم على وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة .
قال أبو عمر : هذا أصح ما قيل في ذلك والله أعلم .
انتهى حكاية كلام أبي عمر في كتاب " الاستيعاب " .

•••

واعلم أن شهرنا للتكلمين لا يكادون يختلفون في أن أول الناس إسلاما على ابن أبي طالب عليه السلام ؛ إلا مني هذا خالف في ذلك من أوائل البصريين ، فأما الذي تقررت المقالة عليه الآن فهو القول بأنه أسبق الناس إلى الإيمان ، لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلميهم والمحققين منهم خلافا في ذلك .
واعلم أن أمير المؤمنين عليه السلام مازال يدعى ذلك لنفسه ، ويختصر به ، ويجعله في أفضليته على غيره ، وبمترج بذلك ، وقد قال غير مرة : أنا الصديق الأكبر ، والقاروق الأول ، أسلمت قبل إسلام أبي بكر ، وصليت قبل صلاته .
وروى عنه هذا الكلام بسنده أبو محمد بن قتيبة في كتاب " المعارف " ، وهو غير منهم في أمره .

ومن الشعر المروي عنه عليه السلام في هذا المعنى الأبيات التي أولها :
محمد النبي أخي وصهرى وحمة سيد الشهداء عني
ومن جلتها :

سبقتكم إلى الإسلام طرأ غلاما ما بلغت أوان حلي

والأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جدا لا ينسع هذا الكتاب ذكرها ، فلتعَلَّب من مظاهرها .

ومن تأمل كتب السير والتواريخ عَرَفَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَلَدَاهُ .

فأما الذاهبون إلى أن أبا بكر أقدمهما إسلاما فنفروا قليلون ؛ ونحن نذكر ما أورده ابن عبد البر أيضا في كتاب " الاستيعاب " في ترجمة أبي بكر ^(١) .

قال أبو عمر : حدثني خالد بن القاسم ، قال : حدثنا أحمد بن محبوب ، قال : حدثنا محمد ابن عبدوس ، قال : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ، قال : حدثنا شيخ لنا ، قال : أخبرنا بجاهل ، عن الشعبي ، قال : سألت ابن عباس - أرسئل : - أي الناس كان أول إسلاما ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَرًا مِنْ أَنْبِيَاءِ قَوْمٍ

خَيْرَ الْبَرِيَّةِ اتَّقَاهَا وَأَعْدَلَهَا

وَالثَّانِيَ النَّبِيَّ الْيَهُودَ مَشْهُدَهُ

وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنْهُمْ حَقُّ الرِّسَالَةِ

ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله ، قال لحسان : « هل قلت في أبي بكر شيئا ؟ »

قال : نعم ؛ وأنشد هذه الأبيات ، وفيها بيت رابع :

وَتَأْنِي اثْنَيْنِ فِي الْفَارِ الْمُنِيفِ وَقَدْ طَافَ الْمَدِينُ بِهِ إِذْ صَعَدُوا الْجَبَلَا

فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : « أحسنت بإحسان » ؛ وقدرى

فيها بيت خامس :

وَكَانَ حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ قَدْ عَلِمُوا مِنْ الْبَرِيَّةِ لَمْ يَمْدُلْ بِهِ رَجُلَا

(١) كتاب الاستيعاب ص ٩٦٤

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية وترتيب الأبيات .

وقال أبو عمر : وروى شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن إبراهيم النخعي ، قال : أول من أسلم أبو بكر .

قال : وروى الجري ، عن أبي نصر ، قال : قال أبو بكر لعلي عليه السلام : أنا أسلمت قبلك ؛ في حديث ذكره فلم يذكره عليه .

قال أبو عمر : وقال فيه أبو مخنف الثقف :

وَسُمِّيَتْ صِدِّيقًا وَكُلُّ مُهَاجِرٍ سَوَاكَ يَسْتِي بِاسْمِهِ غَيْرُ مُسَكَّرٍ
سَهَبَتْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ وَكَتَبَ جَلِيلًا بِالْعَرِيشِ الْمَشْهُرِ
وَبِالْعَارِ إِذْ سُمِّيَتْ خِيَلًا وَصَاحِبًا وَكَتَبَتْ رَفِيقًا لِلنَّبِيِّ الْكَاطِرِ

قال أبو عمر : وروينا من وجوه : عن أبي أُملة الناهلي ، قال : حدثني عمرو ابن عبسة ، قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو نازل بسكاظ ، فقلت : يا رسول الله ، من أتبعك على هذا الأمر ؟ فقال : حمزة وعبد الله بن مسعود . قال : فأسلمت عند ذلك ، وذكر الحديث .

هذا مجروح ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في هذا الباب في ترجمة أبي بكر ؛ ومعلوم أنه لا نسبة لهذه الروايات إلى الروايات التي ذكرها في ترجمة علي عليه السلام الدالة على سبقه ؛ ولا ريب أن الصحيح ما ذكره أبو عمر أن عليا عليه السلام كان هو السابق ، وأن أبا بكر هو أول من أظهر إسلامه ، فظن أن السابق له .

وأما زيد بن حارثة ؛ فإن أبا عمر بن عبد البر رضى الله تعالى عنه ذكر في كتاب " الاستيعاب " ؛ أيضا في ترجمة زيد بن حارثة ، قال : ذكر معمر بن شعبة في جامعه عن الزهري أنه قال : ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة ^(١) .

قال عبد الرزاق : وما أعلم أحداً ذكره غير الزهري .

ولم يذكر صاحب " الاستيعاب " ما يدل على سبق زيد إلا هذه الرواية ؛ واستغريبها ؛
فدلّ بمجموع ما ذكرناه أنّ علياً عليه السلام أوّل الناس إسلاماً ، وأنّ المخالف في ذلك شاذّ ،
والشاذّ لا يستدّ به .

• • •

[فصل فيما ذكر من سبق عليّ إلى الهجرة]

المسألة السابعة :

أن يقال : كيف قال : « إنه سبق إلى الهجرة » ومعلوم أنّ جماعة من المسلمين هاجر وأقبلوا ،
منهم عثمان بن مظعون وغيره ؛ وقد هاجر أبو بكر قبله ، لأنه هاجر في صحبة النبي صلى الله
عليه وآله ؛ وتختلف على عليه السلام عنهما ^(١) بغيات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ؛
ومكث أياماً يردّ الودائع التي كانت عنده ، ثم هاجر بعد ذلك ؟

والجواب ، أنّه عليه السلام لم يقل : « وسبق كلّ الناس إلى الهجرة » ؛ وإنما قال :
« وسبق » فقط ؛ ولا يدلّ ذلك على سبقه للناس كافة ؛ ولا شبهة أنّه سبق معظم
المهاجرين إلى الهجرة ، ولم يهاجر قبله أحد إلا نهر يسير جداً .

وأيضاً فقد قلنا إنه علّل أفصليّته وتحريم البراءة منه مع الإكراه بمجموع أمور : منها
ولادته على الفطرة ، ومنها سبقه إلى الإيمان ، ومنها سبقه إلى الهجرة ؛ وهذه الأمور الثلاثة
لم تجتمع لأحد غيره ؛ فكان مجموعها عتيراً عن كلّ أحد من الناس .

وأيضاً فإنّ اللام في « الهجرة » يجوز ألا تكون للمعهود السابق ، بل تكون
للجنس ، وأمير المؤمنين عليه السلام سبق أبا بكر وغيره إلى الهجرة التي قبل هجرة المدينة ؛
فإنّ النبي صلى الله عليه وآله هاجر من مكة مزاراً بطوف على أحياء العرب ، وينقل من

أرض قوم إلى غيرها ؛ وكان على عليه السلام معه دون غيره .

أما هجرته إلى بني شيبان ؛ فاحتلف أحد من أهل السيرة أن عليا عليه السلام كان معه هو وأبو بكر ، وأنهم ظفروا عن مكة ثلاثة عشر يوما وعادوا إليها ، كما لم يجلوا عند بني شيبان ما أرادوه من النصرة .

وروى المدائني في كتاب " الأمثال " عن الفضل الضبي ؛ أن ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله لما خرج من مكة يرض نفسه على قبائل العرب ، خرج إلى ربيعة يومه على عليه السلام وأبو بكر ، فدفنوا إلى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر - وكان نسيبه - فسلم فردوا عليه السلام ؛ فقال : تمن القوم ؟ قالوا : من ربيعة ، قال : أين حاميتا أم من لهازمها ؟ ^(٢) قالوا : من حاميتا المنطى ، قال : من أي حاميتا المنطى أنتم ؟ قالوا : من ذهل الأكبر ، قال : أفنكم عوف الذي يقال له : لا حرٌّ بوادي عوف ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم جستان حامي الذمار ومانع الجار ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم الحوقران ، قاتل للوك وسالبها أنفسها ؟ قالوا : لا ، قال : أفنكم للزدلف صاحب الممامة المفردة ؟ قالوا : لا ، قال : أفنتم أخوال للوك من كندة ؟ قالوا : لا ، قال : فسلم إذن ذحلا الأكبر ؛ أنتم ذهل الأصغر . فقام إليه غلام قد بقل ^(٣) وجهه ، اسمه ذخيل ، فقال :

إِنَّ عَلَى سَائِلِنَا أَنْ نَسْأَلَهُ وَالرَّيْبُ لَا نَعْرِفُهُ أَوْ تَحِيَّةً

(١) الخبر في جمع الأمثال ١٧ ، ١٨

(٢) مره صاحب الشأن قال : « وفي حديث أبي بكر والنسابة : « أس حاميتا أو لهازمها » ؛ أي من أشرفها أنت أو من أوساها ؛ والهازم أصول المنكبين ؛ واحدا منها لزمة بالكسر ؛ فاستعارها لوسط النسب والقيمة . »

(٣) بقل وجهه ؛ أي خرج شعره .

يا هذا ، إنك قد سألتنا أجهنك ، ولم نكتبك شيئا ، فمن الرجل ؟ قال : من قريش ، قال : بئح بئح ! أهل الشرف والرياسة ؛ فين : أي قريش أنت ؟ قال : من تيم بن مرة ، قال : أمكنت والله الراعي من الثغرة ^(١) ؛ أيكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من يهر فكان يدعى مجعما ؟ قال : لا ، قال : أفنكم هاشم الذي هشم لقومه التزبد ؟ ^(٢) قال : لا ، قال : أفنكم شيبه الحمد ، مطعم طير السماء ؟ ^(٣) قال : لا ، قال : أفن للقيضين بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين : أهل الندوة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين : أهل الرقادة ^(٤) أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين : أهل الحجابة أنت ؟ قال : لا ، قال : أفين : أهل السقاية ؟ قال : لا ، قال : فاجذب أبو بكر زمام ناقته ، وروح إلى رسول الله صلى الله عليه وآله هاربا من الغلام ؛ فقال دققل :

• صادق درم السيل درم بصدعه ^(٥) •

أما والله لو ثبت " لأخبرتكم أنكم من رماح ^(٦) قريش ؛ فبسم رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال علي عليه السلام لأبي بكر : لقد وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على ناقته ؛ قال : أجل ؛ إن لكل طامة طامة والبلاء موكل بالمنطق ، فذهبت مثلا .

• • •

وأما هجرته صلى الله عليه وآله إلى الطائف ، فكان معه علي عليه السلام وزيد بن

(١) في مجمع الأمثال : « من سفاه الثغرة »

(٢) بصدعه في مجمع الأمثال : « ورجال مكة مسفتون بجهاب »

(٣) بصدعه في مجمع الأمثال : « الذي كان في وجهه قرص » ليل الغلام المأجور .

(٤) في اللسان : « الرقادة شيء كانت قريش ترمده في الجاهلية ؛ فيخرج كل إنسان مالا يقدّر طاقته ، فيجسمون من ذلك مالا عطيا أيام الموسم ، فيشترون به الحاج والجزر والطنان والزيب فلا يزالون يطمعون الناس حتى تنقضي أيام الموسم ، وكانت الرقادة والسقاية لبني هاشم والمداينة واللواء لبني عبدالمبار ؛ وكان أوله من عام بالرقادة هاشم بن عبد مناف » .

(٥) درأ الوادي بالسيل ، دفعه ؛ وأورد للثل صاحب اللسان وسره بقوله : « يحال للسيل إذا أتاك من حيث لا تحسبه : سيل دره ؛ أي يدفع هذا ذلك وفاء هذا » .

(٦) الرمحة في الأصل : القلعة الصغيرة ، أي لست من أشرفهم ، وانظر اللسان (زمع) .

حارثة في رواية أبي الحسن الدائني ، ولم يكن معهم أبو بكر . وأما رواية محمد بن إسحاق ؛ فإنه قال : كان معه زيد بن حارثة وخذّه ، وغاب رسول الله صلى الله عليه وآله عن مكة في هذه الهجرة أربعين يوما ؛ ودخل إليها في جوار مُطِيم بن عدي .

• • •

وأما هجرته صلى الله عليه وآله إلى بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عيلان ؛ فإنه لم يكن معه إلا عليّ عليه السلام وخذّه ؛ وذلك غريب وفاة أبي طالب ؛ أوحى إليه صلى الله عليه وآله : اخرج منها ؛ فقد مات ناصرك ، فخرج إلى بني عامر بن صعصعة ؛ ومعه عليّ عليه السلام وخذّه ، فعرض نفسه عليهم وسألم النصر ، وتلا عليهم القرآن فلم يجيبوه ؛ فعادا عليهما السلام إلى مكة ؛ وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام ؛ وهي أول هجرة هاجرها صلى الله عليه وآله بنفسه .

فأما أول هجرة هاجرها أصحابه ولم يهاجر بنفسه قهقرة الحبشة ؛ هاجر فيها كثير من أصحابه عليه السلام إلى بلاد الحبشة في البحر ؛ منهم جعفر بن أبي طالب عليه السلام ؛ فعابوا عنه سنين ؛ ثم قدم عليه منهم من سلم وطالت أيامه ^(١) وكان قدوم جعفر عليه هام فتح خيبر ؛ فقال صلى الله عليه وآله : « ما أدرى بآتيهما أنا أسر ؛ أبقدوم جفر أم بفتح خيبر ؟ »

(٥٧)

ومن كلام له عليه السلام كلم به الخوارج :

الأصل

أصابكم حاصِبٌ ، وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيَرٌ . أَبَدَتْ إِيْمَانِي بِاللّهِ ، وَجِيهَادِي مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ ، أَشْهَدُ عَلَى قَفِيْسٍ بِالْكَفْرِ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ . فَأَوْبُوا قِمْرَ مَآبٍ ، وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ .
أَمَّا إِنَّكُمْ سَتَقَوْنَ تَمْدِي ذُلًّا شَامِلًا ، وَسَيَمَا قَاطِمًا ، وَآثَرَةٌ بِقَعْدِهَا الظَّالِمُونَ
فِيكُمْ سُنَّةٌ .

قال الرضى رحمه الله :

قوله عليه السلام : « وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آيَرٌ » ، يُرْوَى عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ :
أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ كَأَذْكَرٍ نَسَاءً : « آيَرٌ » بِالزَّاءِ ؛ مِنْ قَوْلِهِمْ : رَجُلٌ آيَرٌ ؛ الَّذِي
يَأْتِرُ النَّخْلَ ، أَيْ يُصْلِحُهُ .

وَيُرْوَى : « آثِرٌ » بِالتَّاءِ ، بِثَلَاثِ قَطْرٍ ، يُرَادُ بِهِ الَّذِي يَأْتِرُ الْحَدِيثَ ، أَيْ يَرْوِيهِ
وَيَحْكِيهِ ؛ وَهُوَ أَصَحُّ الرُّجُوهِ عِنْدِي ، كَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : لَا بَقِيَ مِنْكُمْ مُخَيَّرٌ .
وَيُرْوَى : « آيَرٌ » بِالزَّاءِ أَيْ لِلْمَجْمَعِ ، وَهُوَ الْوَائِبُ ، وَالْمَالِكُ أَيْضًا يَقَالُ لَهُ : آيَرٌ .

• • •

الشيخ :

الحاصب : الريح الشديدة التي تثير الحصباء ؛ وهو صغار الحصى ؛ ويقال لها أيضا حَصْبَةٌ ، قال لبيد :

جَرَّتْ عَلَيْهَا إِذْ خَوَتْ مِنْ أَهْلِهَا أَذْيَالُهَا كُلُّ عَصُوفٍ حَصْبَةٍ^(١)

فأما التفسيرات التي فسرها الرضوي رحمه الله تعالى قوله عليه السلام : « آير » فيمكن أن يزداد فيها ، فيقال : يحوز أن يريد بقوله : « ولا يبق منكم آير » أي تمام يفسد ذات العين ؛ وللثبوت : النية ، وأبر فلان ، أي تم ، والآير أيضا : من بين القوم الفوائل خفية ، مأخوذ من أبرت السكب إذا أطعمته الإبرة في الخبز ؛ وفي الحديث : « للؤمن كالسكب للأبور » ؛ ويحوز أن يكون أصله « هابر » ؛ أي من يضرب بالسيف فيقطع ؛ وأبدلت الهاء همزة ، كما قالوا في : « آل » أهل ؛ وإن صحت الرواية الأخرى « آثر » بالثاء بثلاث قطع ، فيمكن أن يريد به سياجى بطن خف الهمير ؛ وكانوا يستجئون ما من الخلف بمدينة ليقتمن أثره ؛ رجل آثر وبسر مأنور .

وقوله عليه السلام : « فأوبوا شرّ مآب » ، أي ارجعوا شرّ مرجع . والأعقاب : جمع حَقَب بكسر القاف ؛ وهو مؤخر القدم ، وهذا كله دعاء عليهم ، قال لم أولا : أصابكم حاصب ، وهذا من دعاء العرب ، قال تميم بن أبي مقبل :

فَإِذَا خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا وَقَطِينِهَا فَأَصَابَهَا الْحَصْبَاءُ وَالسَّفَانُ

ثم قال لم ثانيا : « لا يبق منكم محبر » . ثم قال لم ثالثا : « ارجعوا شرّ مرجع » ، ثم قال لم رابعا : « عودوا على أثر الأعقاب » ؛ وهو مأخوذ من قوله تعالى : « وَتُرْجَدُ^(٢) »

(١) ديوانه ٣٥٥ البيت أبدأ في السان ١ : ٣١٠

(٢) سورة الأنعام ٧١

قَلَىٰ أَغْتَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ ﴿١﴾ ؛ والمراد انعكاس حالهم ؛ وعودهم من العز إلى القل ؛ ومن الهداية إلى الضلال .

وقوله عليه السلام : « وَأَثَرُهُ يَتَخَذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سِتْرًا » فالأثر : ما هنا الاستعداد عليهم بالنفي ، والفناء ، وأطراح جانبهم ، وقال النبي صلى الله عليه وآله للأَنْصَارِ : « سَتَقُونِ بِمَدَى أَثَرِهِ فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي » .

[أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم]

واعلم أن الخوارج قَتَلُوا أمير المؤمنين عليه السلام كانوا أصحابه وأنصاره في الجبل وصَفَيْنَ قبل التَّحْكِيمِ ؛ وهذه المخاطبة لهم ، وهذا الدِّعاء عليهم ؛ وهذا الإخبار عن مستقبل عالمهم ، وقد وقع ذلك ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَطَّ عَلَى الخوارج بعدة النَّزْلِ الشَّامِلِ ، والسيف القاطع ، والآثمة من السلطان ، وما زالت حالتهم تَضْمَعَلُ ؛ حتى أَفْتَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَفْنَى جُمْهُورَهُمْ ؛ وقد كان لهم من سيف اللَّهْلَبِ بن أبي صفرة وبِفِيهِ الحُتُفُ القاضِي ، والموت الزَّوَامُ .
ونحن نذكر من أخبار الخوارج وحروبهم هاهنا طرفاً .

[عمرو بن حدير]

فمنهم عُمَرُو بن حُدَيْرٍ أحد بني ربيعة بن حنظلة من بني تميم ؛ ويعرف بعُمَرُو ابن أَدِيَّة ، وأدِيَّة جَدَّة له جاهليَّة ؛ وكان له أصحاب وأتباع وشيعة ، قَتَلَهُ زِيَادُ فِي خلافة معاوية صبراً .

[نَجْدَةُ بن عويمر الحنفي]

ومنهم نَجْدَةُ بن عُوَيْرٍ ^(١) الحنفي ، كان من رؤسائهم ؛ وله مقالة ^(٢) مفردة من مقالة الخوارج

(١) وهو نَجْدَةُ بن عامر ؛ وانظر السكائل ٣ : ١٨١ .

(٢) انظر اللال والنحل للمصنف سنن ٩ : ١١٠ - ١١٢ .

وله أتباع وأصحاب ؛ وإليهم أشار الصنفان العبدى بقوله ^(١) :

أرى أمةً شَهَرَتْ سِفْهًا وقد ريدَ في سوطِها الأصْبَحِي ^(٢)
 بنجدةٍ أو حَرُورَةٍ وأزرق يدعو إلى أذْرقِ
 فمَلَّتْنا أنْنا مَلُوتْ على دينِ صَدُوقِنا والنَّبي
 أشابَ الصَّغِيرَ وأَفَى الكَبْرَ بِرَ مَرِّ المَدَاةِ وَكَرَّ العَشِي
 إذا لَمَسَتْ أَهْرَمَتْ بَوْمَهَا أنْ مَدَّ ذَكَ بَوْمَ قِي
 نَرُوحَ ونَمْدُو لِحاجاتِنا وحاجةً مَنْ عَاشَ لَا تَقْضِي
 نموتُ مع الرءِ حاجاتِنا ونَبْقَى لَهُ حاجةٌ ما بَقِي

وكان محمداً يعلى بمكة بمحذاء عبدالله بن الزبير في جمعه [في كلِّ جُمُعَةٍ] ^(٣)، وعبدالله

يطلب الخلافة ، فيمكِّن عن القتال من أجل الحرم ^(٤)
 وقال الراعي مخاطباً عبد الملك ^(٥) :

إِنِّي حَقَّقْتُ عَلَى يَمِينِ بَرٍّ لَا أَكْذِبُ اليَوْمَ الخَلِيفَةَ قِيلاً
 ما إِن أَنَيْتُ أبا حَتِيبٍ واقداً يوماً أريدُ لِيَمِيقَ تَبْدِلاً ^(٦)
 وَلَمَّا أَنَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عُوَيْمِرٍ أَيْسَ الهُدَى فَيَزِيدُنِي نَصِلاً
 مِنْ نِعْمَةِ الرَّحْمَنِ لَا مِثْلَ حِلْقِي أَنِّي أَمَدُّ لَهُ عَلَى نَصُولِ

واستولى بجدة على اليمامة ، وعلم أمره ؛ حتى ملك اليمن والطائف وُعُمانَ والبحرينَ
 ووادي تميم وعامر ؛ ثم إن أصحابه تَقَمَّوا عليه أحكاماً أحدثها في مذهبهم ؛ منها قوله : إِنَّا

(١) الأبيات في ديوان الحماسة ٣ : ١٩١ - بشرح تهريري ومجاهد النعيمي ١ : ٧٣ ، ٧٤ ،
 والسكامل ٦ : ١٠١ - بشرح الرصعي مع احتلال في الرواية وعدد الأبيات وترتيبها .

(٢) السوط الأصحى : منسوب إلى أبي أصحح الهجرى ؛ وكان أول من اتخذ هذه البيات التي يعالِبُ عليها
 السلطان . وانظر السكامل ٢ : ٢٤٦ - بشرح الرصعي

(٣) من كتاب السكامل بشرح الرصعي ٦ : ١٠٢

(٤) من ملحنته في جبهة أشمار العرب ١٧٤

(٥) أبو خبيص : كنية ابن الزبير .

المخلّى بعد الاجتهاد معذور ، وإن الدين أمران : معرفة الله ومعرفة رسوله ؛ وما سوى ذلك فالناس معذرون بحملهم ؛ إلى أن تقوم عليهم الحاجة ؛ فمن استعمل محرّما من طريق الاجتهاد فهو معذور ؛ حتى إن من تزوج أخته أو أمه مستعلا فذلك بحملها فهو معذور ومؤمن ؛ غلّموه وجمّلوا اختيار الإمام إليه ؛ فاختر لهم أبانديك ، أحد بني قيس بن ثعلبة ؛ فجعله رئيسهم . ثم إن أبانديك أخذ إلى نجدة بمد من قله ، ثم تولاه بمد قله طوائف من أصحابه بمد أن تفرّقوا عليه ؛ وقالوا : قتل مظلوما .

•••

[المستورد بن سعد التميمي]

ومنهم المستورد بن سعد أحد بني تميم ؛ كان ممن شهد يوم الخبيبة ونجا بنفسه حين نجا من سيف حلّ عليه السلام ؛ ثم خرج بمد ذلك بمدّة حلّ للغيرة بن شعبة ، وهو والى الكوفة معاوية بن أبي سفيان في جماعة من الخوارج ؛ فوجه للغيرة إلى معقل بن قيس الرضائي ، فلما توافقا دعاه المستورد إلى البارزة وقال له : علام تقتل الناس بيني وبينك ؟ فقال معقل : النصف سألت ، فأقسم عليه أصحابه ، فقال : ما كنت لأبي عليه ؛ فخرج إليه فاختلفا ضربين ، خرّ كل واحد منهما من ضربة صاحبه قتيلًا .

وكان للمستورد ناسكا كثير الصلاة ؛ وله آداب وحكم مأثارة ^(١) .

•••

[حوثة الأسدى]

ومنهم حوثة الأسدى ، خرج حلّ معاوية في عام الجماعة في عصاة من الخوارج ؛ فبحث إليه معاوية جيشا من أهل الكوفة ، فلما نظر حوثة إلىهم ، قال لهم : يا أعداء الله ؛ أنتم بالأمس تقاتلون معاوية تهذوا سلطانها ؛ وأنتم اليوم تقاتلون معه لتشدوا سلطانها ؛ فلما

(١) الكامل ٧٧ (حجة أوربا) ؛ وأورد من كلامه : إذا أصبحت يسرى إلى صديق فأشله لماله ؛ لأنى كنت أولي بحفظه . لانفس إلى أحسرا وإن كل مخلصا لأعلى وجه المشاورة . كن أحرم الناس على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك .

لصحت الحرب قتل حوثة ، قتله رجل من طيء ، وفصت جموعه^(١) .

•••

[قريب بن مرة وزخاف الطائي]

ومنهم قريب بن مرة الأزدي ؛ وزخاف الطائي ، كما عابدين مجتهدين من أهل البصرة ، فرجا في أيام معاوية في إمارة زياد ؛ واختلف الناس : أيهما كان الرئيس ؟ فاعترضنا الناس ، فلقينا شيخنا ناسكا من بني ضبيعة من ربيعة بن نزار فقتلاه - وكان يقال له رؤبة الضبي - وتنادى الناس ، نخرج رجل من بني قلبية ، من الأزدي ، وفي يده السيف ، فناداه الناس من ظهور البيوت الحروية : انج بنفسك ؛ فنادوه : اسنا حروية ، نحن الشرط [فوقف]^(٢) قتلوه ؛ فبلغ أبا بلال مرداس بن أدية خبرهما ، قال : قريب ، لا قر به الله وزخاف لا عفا الله عنهما ركبهما عشواء مظلمة - يريد اعتراضهما الناس - ثم جملا لا يمران بقبيلة إلا قتلوا من وجدنا ؛ حتى مرّا على بني حلّ بن سود ، من الأزدي ؛ وكانوا دماة ، كان فيهم مائة يمهدون الرمي ؛ فرموهم رميا شديدا فصاحوا : يا بني حلّ ، البقية ، لا رماء بيننا . قال رجل من بني حلّ بن سود :

لأشئ لقوم سوى السهام مشحونة في غلّس للطلّام

فمرد عنهم الخوارج^(٣) ، وخافوا الطلب ، واشتقوا مقبرة بني يشكر حتى هذّوا إلى مزيّنة ينظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها ، فجاءهم ثمانون ، وخرجت إليهم بنو طاحية ، من بني سود ، وقبائل من مزيّنة وغيرها ، فاستقتلت الخوارج ، وحاربت حتى قتلت عن آخرها ، وقتل قريب وزخاف^(٤) .

(١) الكامل ٥٧٩ (طبع أوربا) .

(٢) من كتاب الكامل

(٣) مردوا ، من التمريد وهو الفرار .

(٤) الكامل ٥٨١ ، ٥٨٢ (طبع أوربا) .

ومنهم أبو بلال مرداس بن أدبّة ، وهو أخو مروّة بن حدير الذي ذكرناه أولاً ، خرج في أيام عبيد الله بن زياد ، وأخذ إليه ابن زياد عباس بن أخضر المازني ، قتله وقتل أصحابه ، وحمل رأسه إلى ابن زياد ، وكان أبو بلال عابداً ناسكاً شاعراً ، ومن قدماء أصحابه مَنْ يدّعيه ، لما كان يذهب إليه من القُدُلِ وإنكار النكر ، ومن قدماء الشّعة من يدّعيه أيضاً .



[نافع بن الأزرق الحنفي]

ومنهم نافع بن الأزرق الحنفي ، وكان شجاعاً مقدماً في فقه الخوارج ، وإليه تنسب الأزارقة ، وكان يفتي بأنّ الدار دار كفر ، وأنهم جميعاً في النار ، وكلّ مَنْ فيها كافراً ، إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحمل للمؤمنين أن يجيئوا داعياً منهم إلى الصلاة ، ولا أن يأكلوا مِنْ ذبائحهم ، ولا أن يبنوا كعوبهم ، ولا يتوارث الخوارجي وغيره ، وهم مثل كفار العرب وعبيدة الأوثان ، لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف والقمع بمنزلتهم ، والنفية لا تحمل ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ ^(١) ، وقال فہم كان حلّ خلافهم : ﴿ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَتَمَنَّوْنَ لَوِ مَآءٌ لَّآئِمٍ ﴾ ^(٢) ، فنفرت عنه جماعة من الخوارج ؛ منهم نجدة بن عامر ، واحتج نجدة بقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ ^(٣) ، فسار نجدة وأصحابه إلى اليمامة ، وأضاف نافع إلى مقاتله التي ^(٤) قدّمناها ، استعلاّه الضر بأمانته لمن خالفه ، فكتب نجدة إليه :

(١) سورة النساء ٧٧

(٢) سورة المائدة ٥٤

(٣) سورة غافر ٢٨

(٤) ب : « مقالة » .

أما بعد ؛ فإن مهدي بك وأنت لليليم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأنح البر ، تعاخذ قوتى المسلمين ، وتصنع للأحرق منهم ؛ لاتأخذك في الله لومة لائم ؛ ولا ترى معونة ظالم ؛ كذلك كنت أنت وأصحابك ، أولاً^(١) تذكر قولك ؛ لولا أني أعلم أن للإمام العادل مثل أجر رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين ؛ فما شريبت نفسك في طاعة ربك ابتغاء مرضاته ، وأصبت من الحق قصته^(٢) ، وصبرت على مره ، تبرد لك الشيطان ؛ ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك ؛ فامالك واستهواك ؛ وأغواك فسويت ، وأكفرت الذين عذرم الله تعالى في كتابه ، من قعدة المسلمين وضعتهم ، قال الله عز وجل ، وقوله الحق ، ووعدك الصدق ؛ ﴿ لَيْسَ عَلَى الصُّفَّاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٣) : ثم ساءم تعالى أحسن الأسماء فقال ؛ ﴿ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ﴾^(٤) ثم استعقلت قتل الأبطال ، وقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن قتلهم ، وقال الله جل ثناؤه ؛ ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾^(٥) ، وقال سبحانه في القعدة خيراً ، فقال ؛ ﴿ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٦) تفضيله المجاهدين على القاعدین لا يدفع كغزاة من هو دون المجاهدين ، أو ما سمعت قوله تعالى ؛ ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ﴾^(٧) فجعلهم من المؤمنين . [وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم]^(٨) ثم إنك لاتؤدى أمانة إلى من خالفك ، والله تعالى قد أمر أن تؤدى الأمانات إلى أهلها . فأتق الله في نفسك ، واتق يوماً لا يجرى فيه والله عن والده ، ولا مولود هو جاز من والده شيئاً ؛ فإن الله بالمحصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل . والسلام^(٩) .

(١) الكامل : ١٠ أما

(٢) سورة التوبة ٩١

(٣) سورة الإمام ١٥

(٤) سورة النساء ٩٥

(٥) سورة النساء ٩٥

(٦) من كتاب الكامل

(٨) الكامل ٩١٢ (طبع أورما)

(٩) صه : كنه

فكتب إليه نافع :

أما بعد ، أتاني كتابك يعطيني فيه ، وتذكركني وتنصح لي وتزجرني ، ونصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوتره من الصواب ، وأنا أسأل الله أن يعطيني من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وعبت على ما دئت به ، من إكفار القعدة وقتل الأبطال ، واستحلال الأمانة من المخالفين ، وسأفسرك إن شاء الله ...

أما هؤلاء القعدة ، فليسوا كمن ذكرت ممن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه ، لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجنون إلى الحرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد تفقهوا في الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لم تهج واضح . وقد عرفت ما قال الله تعالى فيمن كان مثلهم ، إذ قالوا : ﴿ كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ^(١) فقال : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ ^(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ فَرِحَ الْمَخَلْقُونَ بِمَقْدِمِ خِلَافِ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُحَاجِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٣) ، وقال : ﴿ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ ^(٤) فغير بتذيرهم ، وأهم كذبوا الله ورسوله ، ثم قال : ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٥) فانظر إلى أسمائهم وسماتهم .

وأما الأطفال ، فإن نوحا نبى الله كان أعلم بالله منى وملك ، وقد قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِبَّارًا • إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَصِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ^(٦) ، فسام بالكفر وهم أطفال ، وقبل أن يولدوا ، فكيف كان ذلك

(١) سورة النساء ٩٧

(٢) سورة التوبة ٨١

(٣) سورة التوبة ٩٠

(٤) سورة نوح ٢٦ ، ٢٧

في قوم نوح ، ولا تقول في قومنا ^(١) ؛ والله تعالى يقول : ﴿ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكَكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴾ ^(٢) ، وهؤلاء ككشركي العرب ، لا يقبل منهم جزية ، وليس بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام .

وأما استعلال أمانات مَنْ خالفنا فإنَّ الله تعالى أحلَّ لنا أموالهم ، كما أحلَّ دماءهم لنا ، فدمائهم حلال مطلق ^(٣) ، وأموالهم فيء للمسلمين ؛ فانتقي الله وراجع نفسك ، فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ؛ ولن يسحك خذلاننا والتعمود عنا وترك ما نهجناه لك من مقالتنا ، والسلام على من أقرَّ بالحق وعمل به ^(٤) .

وكشِب إلى مَنْ بالبصرة من الحكمة : أما بعد فإنَّ الله اصطفى لسكِّم الدين فلا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون . إنَّكم تعلمون أنَّ الشريعة واحدة ، والدين واحد ، قسيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد يدبكم الله عز وجل إلى الجهاد ، فقال : ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً ﴾ ^(٥) ، ولم يجعل لسكِّم في التخلف عذراً في حال من الأحوال ، فقال : ﴿ اتَّقُوا خِيفَاتِهِ تَقَالًا ﴾ ^(٦) وإياهم الغضباء والمرضى ، والدين لا يحدون ما يفتقون ، ومن كانت إقامته ليلة ، ثم فصل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولَى الصَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ^(٧) ، فلا تنفروا وتعلمثوا إلى الدنيا ، فإنها غرارة مكارة ، قد تنافدة ، ونعيمها بائد ، حُفَّتْ بالشبهوات اغترارا ، وأظهرت حَبْرَةً ^(٨) وأضرت حَبْرَةً ، فليس آكل منها أكلة تسره ، ولا شارب منها شربة تؤذيه ^(٩) إلا ودناها درجة إلى أجله ، وتواعد بها مسافة من أمه ، وإنما جعلها الله دار للتزود منها ، إلى النعيم المقيم ، والعيش السليم ، فليس يرضى بها حازم داراً ولا حكيم قراراً ، فانتقوا الله وتزودوا

(١) الكامل : ولا تكون قوله في قومنا . (٢) سورة النور ٤٣

(٣) يقال : حل طلق ، أى حلال طيب .

(٤) الكامل للمبرد ٦٩٣ (طبع أوروبا) .

(٥) سورة التوبة ٣٦

(٦) سورة التوبة ٤١ (٧) سورة النساء .

(٨) الحبرة : الحمة .

(٩) تؤذيه : تضره .

فإن خير الزاد التقوى ، والسلام على من اتبع الهدى (١).

فلما أظهر نافع مقالته هذه ، وانفرد عن الخوارج بها ، أقام في أصحابه بالأهواز يستعرض الناس ، ويقتل الأطفال ، ويأخذ الأموال ، ويمحق الخراج ، وفشأ عمله بالسواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ، واجتمع منهم عشرة آلاف إلى الأحنف ، وسألوه أن يؤمر عليهم أمير المؤمنين الخوارج ، ويجاهد بهم ؛ فأتى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وهو المسيبة ، فسأله أن يؤمر عليهم ، وتبعه يومئذ أمير البصرة من قبل ابن الزبير فأمر عليهم مسلم بن عيسى بن كرز ، وكان ديناً شجاعاً ، فلما خرج بهم من جسر البصرة ، أقبل عليهم ، وقال : أيها الناس ، إني ما خرجت لامتيار (٢) ذهب ولا فضة ، وإني لأحارب قوماً إني ظفرت بهم فإراءهم إلا السيوف والرمح ، فمن كان شأنه الجهاد ، فليهنأ ، ومن أحب الحياة فليرجع .

فرجع نفر يسير ، ومضى الباقيون معه ، فلما صاروا بدولاب (٣) خرج إليهم نافع وأصحابه ، فاقتلوا قتالا شديداً حتى تكثرت الرماح : وعقرت الخيل : وكثر الخراج والقتل ، وتضاربوا بالسيوف والعمد (٤) ، فقتل ابن عبيس أمير أهل البصرة ، وقتل نافع بن الأزرق أمير الخوارج : وادعى قتله سلامة الباهلي ، وكان نافع قد استغاف عبيد الله ابن بشر بن الماحوز السلمي اليربوعي ، واستغلف ابن عبيس الربيع بن عمرو الأجزم الغداني اليربوعي ، فكان الرئيسان من بني يربوع ، فاقتلوا بعد قتل ابن عبيس ونافع قتالا شديداً ثانياً وعشرين يوماً ؛ حتى قال الربيع لأصحابه : إني رأيت الباردة كأن يدي

(١) السكامل ٦١٥ (طبع أوروبا) .

(٢) امتيار : مصدر امتار لأعله ؛ أي حلب لهم الليرة ، واليرة : الطعام .

(٣) دولاب : قرية بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

(٤) العمدة ، بفتحين ، أو بضتين بمعنى العمود .

التي أصيبت بكابل انحطت من السماء ، فاستشنتني^(١) ، فلما كان للفد قاتلهم إلى الليل . ثم عاودهم القتال ، فقتل ، فدافع أهل البصرة الراية ، حتى خافوا المطب ، إذ لم يكن لهم رئيس . ثم أجمعوا على الحجّاج بن رباب الحيرى ، فأبأها ، فقتل له : ألا ترى رؤساء العرب قد اختاروك من بينهم ! فقال : إنها مشومة ، لا يأخذها أحدٌ إلا قتل ، ثم أخذها فلم يزل يقاتل القوم بدولاب حتى التقى بعمران بن الحارث الراسبي ، وذلك بعد أن اقتتلوا زهاء شهر ، فاختلفا ضربتين ، فخرّا ميتين^(٢) .

وقام حارثة بن بدر العداني بأمر أهل البصرة بعده ؛ وثبت بإزاء الخوارج يناوشهم القتال مناوشة خفيفة ؛ ويزجي الأوقات انتظاراً لقدوم أمير من قبل ربيعة على حرب الخوارج : وهذه الحرب تسمى حرب دولاب ؛ وهي من حروب الخوارج المشهورة ، وانصف فيها الخوارج من المسلمين ، وانصف للمسلمين منهم ، فلم يكن فيها غالب ولا مغلوب .



[عبيد الله بن بشير بن الماحوز البربوعي]

ومهم عبيد الله بن بشير بن الماحوز البربوعي ، قام بأمر الخوارج يوم دولاب بعد قتل مافع بن الأزرق : وقام بأمر أهل البصرة عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي : ولأه عبيد الله بن الزبير ذلك ، ولقيه كتابه بالإمارة وهو يريد الحج ، وقد صار إلى بعض الطريق ، فرجع فأقام بالبصرة ، وولى أخاه عثمان بن عبيد الله بن معمر محاربة الأزارقة ، فخرج إليهم في اثني عشر ألفاً ، فلقية أهل البصرة الذين كانوا في وجه الأزارقة ، ومعهم حارثة بن بدر العداني ، يقوم بأمرهم عن غير ولاية ، وكان ابن الماحوز حينئذ في سوق الأهواز ، فلما عبر

(١) استشنتني : هاهل البرد : استشنتني : أي أخذتني ذليها واستندتني : يقال : استشلاه واستشلاه .

(٢) الكامل ٦١٦ - ٦١٧ (طبع أوروبا) .

عُمان إليهم دُجيلاً ، نهضت إليه الخوارج ، فقال عُمان لحارثة : ما الخوارج إلا مآري ؛
 فقال حارثة : حسبك هؤلاء ! قال : لا جرم ! لا أتمدّي حتى أباجزهم ، فقال حارثة :
 إن هؤلاء القوم لا يقاتلون بالتعصّف ، فأبقى على نفسك وجندك ، فقال : أَيْتَم وأهل العراق
 إلا جُبنا لوأنت وإحارثة ما علمك بالحرب ! أنت والله بمير هذا أعلم - سرّض له بالشراب ،
 وكان حارثة بن بدر صاحب شراب - فنضب حارثة ، فاعتزل ، وحاربهم عُمان يومه إلى
 أن غربت الشمس ، فأجّلت الحرب عنه قليلاً ، واهزم الناس ، وأخذ حارثة بن بدر الراية ،
 وصاح بالناس : أنا حارثة بن بدر افتاب إلي قوم ضير بهم دجيلاً ، وبلغ قتل عُمان البصرة ،
 فقال شاعر من بني تميم :

مضى ابن قُبيس صابراً غير عاجزٍ وأعقبنا هذا الجعاري عُماناً^(١)
 فأرعد من قبل اللقاء ابنُ عَمْرٍو وأبرق ، والبرقُ اليماني حَوَانُ^(٢)
 فَمَضَتْ قريشاً غَنّاً وسميهاً وقيل بنو تميم بن مرة عُزْلان^(٣)
 فسلّوا ابنُ بدرٍ للعراقي لم يجم سبّحاً قام فيه للعراقي إنسانُ
 إذا قيل من حامي الخليفة أو مات إليه معسداً بالأكف وقسطان

ووصل الخبر إلى عبد الله بن الزبير بمكة ، فكتب إلى عمر بن عبد الله بن مكرم
 بعمره ، وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي للعروف بالقباع^(٤) بالبصرة ، فقدمها ،
 فكتب إليه حارثة بن بدر يسأله الولايّة واللد ، فأراد توليته ، فقال له رجل من بكر بن

(١) الأبيات في الكامل ٦٧٥ (طبعة أوربا)

(٢) قال المرد : قوله : « فأرعد » رجم الأسمي أنه خطأ . . . وأنه لا يقال إلا أرعد وبرق . . .
 وروى غير الأسمي : أرعد وأبرق على ضعف . وقوله : والبرق اليماني حوان ، يريد : والبرق اليماني حوان
 (٣) كذا في الكامل : وفي أ ، ج : « غيلان » ، وفي ب : « عزلان » . وعزلان : جمع أعزل ؛
 وهو من لا سلاح معه .

(٤) قال المرد : « وإنما سمى الحارث بن عبد الله القباع ؛ لأنه ولي البصرة ؛ فبيع على الناس مكابيلهم ؛
 فنظر إلى مكبال صغير في مرآة العين ؛ وقد أحاط بدقيق استكثره ؛ فقال : إن مكبالكم هذا لباع ؛
 والقباع : الذي يغني أو يغني ماله . الكامل ٧ : ٤٣ - يفرح الرصني .

واثل : إن حارثة ليس بذلك ؛ إنما هو صاحب شراب ، وكان حارثة مستهترا بالشراب ، مما قرأ للخمر ؛ وفيه بقول رجل من قومه ^(١) :

ألم تر أن حارثة بن بذرٍ يصلى وهو أكفر من حمارٍ
ألم تر أن لفتيسان حنّاً وحطك في البغايا والمقار ^(٢)

فكتب إليه القبايع : تُكفى حربهم إن شاء الله . فأقام حارثة يُدافعهم حتى تفرق أصحابه عنه وبقى في خبّ منهم ؛ فأقام بهر يبرى ، فعبرت إليه الخوارج ، فهرب من تخلف معه من أصحابه ؛ وخرج يركض حتى أتى دُجَيْلا ، فجلس في سفينة ، وأتبعه جماعة من أصحابه ؛ فكانوا معه فيها ؛ ووافاه رجل من بني تميم ، عليه سلاحه والخوارج وراءه ؛ وقد توسط حارثة دُجَيْلا ، فصاح به : يا حارثة ، ليس مثلي بضيع فقال للملاح : قرب ، فترتب إلى جُرف ^(٣) ، ولا قرضة هناك ، فطَقَر ^(٤) سلاحه في السفينة ، فساخت بالقوم جميعا ، وهلك حارثة ^(٥) .



وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "الأغانى الكبير" أن ^(٦) حارثة لما اقتدوا له الرثاسة ، وسلموا إليه الراية ، أمرهم بالثبات ، وقال لهم : إذا فتح الله عليكم فاعرب زيادة فريضتين ، وللموالى زيادة فريضة ، وندب الناس ، فالتقوا وليس بأحدٍ منهم طريق ^(٧) قد فشت فيهم الجراحات ، وما نطقا الخليل إلا هل القتل ؛ فبينام كذلك ، إذ أقبل جمع

(١) هل للرصني في رعدة الأمل أن اليجن نيا إلى عطية بن معبد اللزني .

(٢) القار : الخمر .

(٣) الجرف : ما أسكاه السيل من أسفل سن الوادى والنهر .

(٤) طقر : وثب .

(٥) الكامل ٦٦٦ وما بعدها (طبعة أوروبا)

(٦) الأغانى ٦ : ١٤٦ وما بعدها (طبعة الفار) . مع اختلاف في الرواية .

(٧) طرق ، أى قوة .

من لشراة من حمة النيامة ، - يقول المسكّر : إنهم مائتان ، والمقتل : إنهم أربعون -
فاجتمعوا وهم مُرَبِّحُونَ مع أصحابهم ، فصاروا كَوْنَكَة ^(١) واحدة ، فلما رأهم حارثة بن بدر
ركض برايته منهزماً ، وقال لأصحابه :

كُفِّرْ نَبُوءَا وَدَوِّلُوا أَوْ حَيْثُ شِئْتُمْ فَاهْبُتُوا ^(٢)

وقال :

أَيُّ الْحَارِ فَرِيضَةُ لِمَبِيدِكُمْ وَالْخَصِيَّتَانِ فَرِيضَةُ الْأَعْرَابِ

قال : كُفِّرْ نَبُوءَا ، أى اطلبوا كرتي ، وهى قرية قريبة من الأهواز ، ودَوِّلُوا : اطلبوا
دُولَاب ، وهى ضيعة بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ .

قال : فتابع الناس عَلَى آثره مهزمين ، وتبعتهم الخوارج ، فألقى الناس أنفسهم فى
الماء ، ففرق منهم بِدَجِيلِ الْأَهْوَازِ خَلْقٌ كَثِيرٌ

[الزبير بن على السليطى وظهور أمر المهلب]

ومنهم الزبير بن على السليطى التميمى ، كان على ^(٣) مقدمة ابن الماحوز ، وكان
ابن الماحوز يحاطب بالخلافة ، ويخاطب الزبير بالإمارة . ووصل الزبير بعد هلاك حارثة
ابن بدر ، وهرب أصحابه إلى البصرة ، نفاقه الناس خوفاً شديداً ، وضيح أهل البصرة
إلى الأحنف ، فأنى القبايع ، فقال : أصلى الله الأمير إِنْ هَذَا الْعَدُوُّ قَدْ غَلَبَنَا عَلَى سِوَادِنَا
وفيتنا ، فلم يبق إلا أن يمحُصِرَنَا فى بلدنا حتى نموت هُزَالاً . قال : فسموا إلى رجلا على
الحرب ، فقال الأحنف : لا ^(٤) أرى لما رجلا إلا المهلب بن أبى صفرة ؛ فقال : أو هذا رأى

(١) السكوبة . الجماعة ، وفى الأغاني « كبكة » وما يمسى .

(٢) السكابل للمبرد ١٠ : ٢٨ وما بعدها - بفتح اللرسى .

(٣) فى السكابل قبل هذه الكلمة : « أن الرأى لا يهمل » ، أى لا يشك ولا يشبه .

جميع أهل البصرة ؟ اجتمعوا إلى في غد لأنظر . وجاء الزبير حتى نزل على البصرة ،
وعقد الجسر ليحبر إليها ، فخرج أكثر أهل البصرة إليه ، وانضم إلى الزبير جميع كور
الأهواز وأهلها رغبة ورهبة ، فوافاه البصريون في السفن وعلى الدواب^(١) ، فأسودت بهم
الأرض ، فقال الزبير لما رآهم : أي قومنا إلا كفراً ؟ وقطع الجسر ، وأقلم الخوارج بإزائهم ،
 واجتمع الناس عند القباع ، وخافوا الخوارج خوفاً شديداً ، وكانوا ثلاث فرق : سمي قوم
المهلب ، وسمي قوم مالك بن مسمع ، وسمي قوم زياد بن عمرو بن أشرف المصكي ،
 فاحترق القباع ما عند مالك وزيد ، فوحدهما متناقبين عن الحرب ، وعاد إليه من أشار بهما ،
 وقالوا : قد رجفنا عن رأينا ؛ ما نرى لها إلا للمهلب ، فوجه إليه القباع فأتاه ، فقال له :
 يا أبا سعيد ، قد ترى ما قد رجعنا من هذا العدو ، وقد أجمع أهل مصرك عليك ؛ وقال له
الأحنف : يا أبا سعيد ، إنا والله ما آثرناك ، ولكننا لم نر من يقوم مقامك .

ثم قال القباع وأومأ إلى الأحنف : إن هذا الشيخ لم يسئك إلا إشاراً للدين والبقية^(٢)
 وكل من في مصرك ماداً هيئة إليك ، راجع أن يكشف الله عنه هذه الغمة بك ، فقال
المهلب : لا حول ولا قوة إلا بالله ، إني عند نفسي لثبور ما وصفت ، ولست آتي مادهم إليه ؛
 لكن لي شروطاً أشرطها ؛ قالوا : قل ، قال : على أن انسحب من أحببت أقال الأحنف : ذاك
 لك ، قال : ولى إمرة كل بلد أعطى عليه قالوا : لك ذلك ، قال : ولى في كل بلد أعطى به
 قال الأحنف : ليس ذاك لك ولا لنا ؛ إنما هو في المسلمين ؛ فإن سلمتهم إياه كنت عليهم
 كدوهم ، ولكن لك أن تعطى أصحابك من في كل بلد تطلب عليه ما أحببت ، وتنفق
 عنه على محاربة عدوك ؛ فافضل عنكم كان للمسلمين ؛ فقال المهلب : لا حول ولا قوة إلا
 بالله ! فن لي بذلك ؟ قال الأحنف : نعم وأميرك وجماعة أهل مصرك ، قال : قد قبلت .
 فكتبوا بينهم بذلك كتاباً ، ووضع دلي بدي الصلت بن حريث بن جابر الجمعي ،
 وانسحب المهلب من جميع الأخماس ، فبالت محبته اثني عشر ألفاً ، ونظروا في بيت الليل ،

(١) في الكامل بعد هذه الكلمة : « ورجل » .

(٢) كذا في ج . وفي أ ، ب : « التي » ، وهي سائغة من الكامل .

فلم يكن إلا مائتي ألف درهم ، فمجزت . فبث للملب إلى التجار ، فقال : إن تجاركم منذ حول قد قسدت باقطاع مواد الأهواز وقارس عنكم ، فملموا فبايعوني واخرحوا معي أوفكم حقوقكم . فبايعوه وتاجروه ، فأخذ منهم من المال ما أصحح به عسكره ، واتخذ لأصحابه الخفاتين^(١) والرايات المحشوة بالصوف ؛ ثم نهض وكان أكثر أصحابه رجالاً حتى إذا صار بجذاء القوم أمر بسفن فأصنعت وأحضرت ، فما ارتفع النهار حتى قرغ منها ، ثم أمر الناس بالمبور ، وأمر عليهم ابنه للميرة ، فخرج الناس ، فلما قاربوا الشط خاضت إليهم الخوارج ، فحاربهم وحاربهم للميرة ، ونصحتهم^(٢) بالسهم حتى تنحوا ، وصار هو وأصحابه على الشط ، فحاربوا الخوارج ، فكشعوم وشعلوم حتى عقد الملب الجسر وعبر ، والخوارج منهزمون ، فبى الناس عن أساعهم ، ففى ذلك يقول شاعر من الأزد :

إن العراق وأهله لم ينهضوا / مثل الملب في الحروب فلموا
أمنى وأيمن في اللقياء قبيهاً / وأقل تهليلاً إذا ما أحجموا

وأبلى مع الميرة يومئذ عطية بن عمرو المنبرى ، من فرسان تميم وشجعانهم . ومن شعر عطية^(٣) :

يُدعى رجالاً للمطاء وإعما / يُدعى عطية لأطمان الأجر

وقال فيه شاعر من بني تميم :

وما فارس إلا عطية فوقه / إذا الحرب أبدت هن تواجذها القما
به هزم الله الأراقرق بقدمه / أبا حوا من المصربين حلاً ومحرماً

فأقام الملب أربعين ليلة يحرى الخراج بكور دجلة ، والخوارج بهر تبرى ، والزبير ابن على منفرد بعسكره عن عكر ابن لائحوز ؛ ففضى الملب التجار ، وأعطى أصحابه ،

(١) الخفان : ثوب من القطن يلبس فوق المدرع . الألفاظ الفارسية ٤٦

(٢) نصحتهم : رشقهم ورميهم . (٣) اكمل : عقال عطية .

فأسرع الناس إليه رغبة في مجاهدة العدو وطمعا في الغنائم والتجارات ، فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الأزدي وعبد الله بن رباح ومعاربة بن قرّة المزني ، وكان يقول : لو جاءت الديد من هاهنا والخرورية من هاهنا لخربت الخرورية ، وجاءه أبو عمران الجوني . وكان يروي عن كعب بن قتيب^(١) الخرورية بفضل قتيب^(٢) غيرهم بمشقة أبواب . ثم أتى المهلب إلى نهر تيرى ، فتنحوا عنه إلى الأهواز ، وأقام للمهلب يحيى ماحوا إليه من السكّور ، وقد دس الجواسيس إلى عسكر الخوارج يأتونه بأخبارهم ومن في عسكرهم ؛ وإذا حشوة^(٣) ؛ ما بين قصاب وحداد وداعر^(٤) . فخطب المهلب الناس ، وذكر لهم ذلك ؛ وقال : أمثل هؤلاء يظنونكم على فيكم ! ولم يزل مقيما حتى فهمهم ، وأحكم أمرهم وقوى أصحابه ، وكثرت الفرسان في عسكره ، وتنام^(٥) أصحابه عشرين ألفا .

ثم مضى يؤمّ سكّور الأهواز ، فاستحلفت أخاه العمارك بن أبي صفرة على نهر تيرى ، وجعل المفيرة على مقدمته ، فسار حتى قاربهم ، فهاوشهم وماوشوه ، فأكشف عن المفيرة بعض أصحابه ، وثبت المفيرة خلفه بنية يومه وإيلته بوقد النيران ، ثم غاداهم فإذا القوم قد أوقدوا النيران في بقية متاعهم ، وارتحلوا عن سوق الأهواز ، فدخلها المفيرة ، وقد جاءت أوائل حيل المهلب ، فأقام سوق الأهواز ، وكتب بذلك إلى الخارث القباع كتابا يقول فيه :

أما بعد ؛ فإننا مذخر جئنا يوم العدو ، في نعم من فضل الله متصلة علينا ، ونقم متتابعة عليهم ، نقيم ويحجمون ، ونحمل ويرتحلون ، إلى أن حلقنا سوق الأهواز ، والحمد لله رب العالمين ، الذي من عنده النصر ، وهو العزيز الحكيم .

(١) كعب بن قتيب ، وما أثبتته من أ ج والكامل .

(٢) الحشوة : ردال الناس .

(٣) الداعر : الحبث للعدو . و الكامل : ما بين نصار وصناع وداعر وحداد .

(٤) ج : د والتنام .

فكتب إليه الحارث :

هنيئاً لك أخا الأزد الشرف في الدنيا ولأجر في الآخرة ، إن شاء الله .

فقال المهلب لأصحابه : ما أجنى أهل الحجاز أما ترونه عرف^(١) اسمي وكنيتي واسم أبي ؟
قالوا : وكان المهلب يثبت الأحراس في الأمن ، كما يثبتهم في الخوف ، ويذكر^(٢)
العيون في الأمصار كما يذكر^(٣) فيها في الصعاري ، ويأمر أصحابه بالتعزز ، ويخوفهم البيات^(٤) ،
وإن يمد منه العدو ، ويقول^(٥) : احذروا أن تسكأوا كما تكيدون ، ولا تقولوا : هزمناهم
وغلبناهم ، والقوم خائفون وجلون ، فإن الضرورة تفتح باب الحيلة .

ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : أيها الناس ، قد عرقتم مذهب هؤلاء الخوارج ، وأنهم
إن قدرُوا عليكم قتلواكم في دياركم ، وسفكوا دماءكم ، فقاتلواهم على ماقاتلهم عليه
أو لكم على بن أبي طالب ، لقد قتلهم^(٦) الصارم المختب مسلم بن عيسى ، والعجل المرتط
عثمان بن عبيد الله ، والمعمى الخالف حارثة بن بدر ، فقتلوا جميعاً وقتلوا ، والقوم بعد وجد
فإننا هم مهنتكم ومبيدكم ، وهار عليكم وشمس في أحسابكم وأديانكم أن يعلبكم هؤلاء
على فينكم ، ويظاؤا حريمكم .

ثم سار يريدهم وهم بمناذر^(٧) الصغرى ، فوجه عبيد الله بن بشر بن الماخوز رئيس
الخوارج رجلاً يقال له واقد ، مولى لآل أبي صفرة من بني الجاهلية ، في خمسين رجلاً ،
فيهم صالح بن غرقاق إلى نهر نوى ، وبها المارك بن أبي صفرة ، فقتلوه وصلبوه ، فتمنى

(١) الكامل : « عرف » .

(٢) العيون : الجواسيس ؟ وإد كاؤها إرساها .

(٣) البيات : اسم من « بيت القوم والعدو بيتا » ؛ أوقع بهم ليلاً وهم عارون .

(٤) ج : « فإن يمد منه العدو يقول » .

(٥) الكامل : « لقيهم قتلهم » ، وفي ب « لقيهم » ، وما أنته من ج

(٦) منافذ الصغرى ، وكذلك منافذ الكبرى : كورنان من كور الأهواز

انطبر إلى المهلب ، فوجه ابنته الخيرة ، فدخل نهر يبرى ، وقد خرج واقد منها ، فاستنزل
 حته فدفعه ، وسكن الناس ، واستخلف بها ورجع إلى أبيه ، وقد نزل بسولاف^(١)
 والخوارج بها ، فواقصهم ، وجعل على بنى نعيم الحريش بن هلال ، فخرج رجل من أصحاب
 المهلب ، يقال له عبد الرحمن الإسكاف ، فجعل يحض الناس ويهون أمر الخوارج ،
 ويختال بين الصّفين ، فقال رجل من الخوارج لأصحابه : يا معشر المهاجرين ، هل لكم
 في قتلة فيها الجنة ! فحمل جماعة منهم على الإسكاف فقاتلهم وحده فارما ، ثم كُتِبَ به
 فرسه ، فقاتلهم راجلا قائما وباركا ، ثم كثرت به الجراحات فذئب سيفه ، ثم جعل يحنو
 في وجوههم التراب ، والمهلب غير حاضر ، فقتل ؛ ثم حضر المهلب فأعلم ، فقال للحريش
 ولعطية المنبري : أسلمتأ سيد أهل العراق^(٢) ، لم يُعْبِده ولم تسفك ذاه حـدأله ، لأنه رجل
 من الموالى ، ووبخهما .

وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فقتله ، فحمل عليه المهلب
 فطعمه فقتله ، ومال الخوارج بأجمعهم على المسكر ، فانهزم الناس ، وقتل منهم سبعون رجلا ،
 وثبت المهلب وابنته الخيرة يومئذ ، وعرف مكانه .

ويقال : حاص^(٣) المهلب يومئذ حبيصة . ويقول الأزدي : بل كان يرد المنهزمة
 ويحس أديارهم ، وبنو نعيم تزعم أنه قرأ ، وقال شاعرهم :

بِسُؤْلَافٍ أَضَعَّتْ دَعَاءَ قَوْمِي وَطَرَّتْ عَلَى مُوْاشِكَةٍ دَرُورٍ^(٤)
 وقال آخر من بنى نعيم :

تَبَعْنَا الْأَعْوَرَ الْكَدَّابَ طَوْعًا يَرْجِي كُلَّ أَرْبَعَةِ حَمَارٍ^(٥)

(١) سولاف ، بضم السين : قرية في غرب جبل ؛ قرب منادر الكبرى .

(٢) كذا في ١ ، ج ، و في ٢ والكامل : « سيد أهل المسكر » .

(٣) حاص حبيصة : جال جولة .

(٤) قال المنبري : مواشكة ، يريد سريسة ، ودرور ، « فلول » ، من در العنق إذا تتابع .

(٥) يرجي : يسوق .

قيادى على تركى عطائى معابنة وأطلبه ضمّارا^(١)

إذا الرحمن يترلى قفولا فخرق فى قرى سولاف مارا

قوله : « الأمور الكذاب » ، يعنى به المهلب ، كانت عينه طارت بسهم أصابها ، وتممؤه الكذاب ، لأنه كان فقيها ، وكان يتأول ماورد فى الأثر من أن كل كذب يكتب كذبا إلا ثلاثة : الكذب فى الصلح بين رجلين ، وكذب الرجل لامرأته بوعده ، وكذب الرجل فى الحرب بوعده ونهده^(٢) . قالوا : وجاء عنه صل الله عليه وآله : « إنما أنت رجل تغدّل عنا ما استطعت » . وقال : « إنما الحرب خدعة » ، فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به من أمر المسلمين ماضف ، ويصمّف به من أمر الخوارج ما اشتدّ ، وكان سعى من الأزديّ يقال لهم الذّذب ، إذا رأوا المهلب رانحا إليهم قالوا : راح ليكذب ، وفيه يقول رجل منهم :

أنت الفقى كلّ الهقى لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب فى ألقين ، فما أصبح رجع بعض المهزّمة ، فصاروا فى أربعة آلاف ، فعطّب أصحابه ، فقال : والله ما بكم من قلة ، وما ذهب عنكم إلا أهل الجبن والضعف والطبع^(٣) والطمع ، فإن يحسبكم قرّح فقدّ منّ القوم قرّح مثله ؛ فسيروا إلى عدوّكم على بركة الله .

فقام إليه الحريش بن هلال ، فقال : أشدك الله أيها الأمير أن تقاتلهم ، إلا أن يقاتلوك ؛ فإن فى أصحابك جراحا ، وقد أئختهم هذه الجولة .

فقبل منه ، ومضى المهلب فى عشرة فأشرف على عسكر الخوارج ، فلم ير منهم أحدا

(١) الضمار : العائب القى لا يرجمى . (٢) الكمال : « يشوعد ونههد » .

(٣) الطبع فى الأصل : المبدأ يكثر على السب وغيره ؛ ثم استعمل بما يشبه ذلك من الأوزار والآنام

يجمعك ، فقال له الحريش : ارتحل عن هذا المنزل ، فارتحل ، فمير دجّيلا وصار إلى
حاقول^(١) لا يؤتى إلا من جهة واحدة ، فأقام به ، وأقام الناس ثلاثا مستريحين .

وفي يقوم سولاف بقول ابن قيس الرقيات :

ألا طرقت من آل مية طارقةً على أنها معشوقة الدلّ عاشقة^(٢)
تراءت وأرض الشوس يدي وبينها ورستاق سولاف رحمة الأزارقة
إذا نحن شئنا صادفتنا عصاة حرورية فيها من الموت بارقة
أجازت علينا المكر من كائنها^(٣) فهايت لنا دون المحاف معاقه

فأقام المهلب في ذلك الماقول ثلاثة أيام ثم ارتحل ، والحوارج بسلى وسنبري
فزل قريبا منهم ، فقال ابن الماحوز لأصحابه : ما تنتظرون بعدوكم وقد هزمتهم
بالأمس ، وكسرتهم حدم فقال له واقد مولى أبي صفرة : يا أمير المؤمنين ، إنما نفرق
عهم أهل الصنف والخن ، وبقى أهل الجلبة والقوق ، فإن أصبتهم لم يكن ظفرا^(٤)
هتيا ، لأنى أراهم لا يصابون حتى يسيبوا ، وإن غلبوا ذهب الدين . فقال أصحابه :
ناقق واقد ، فقال ابن الماحور : لا تمجلوا على أحبيكم ، فإنه إنما قال هذا نظرا لكم .

ثم وجه الزبير بن علي إلى عسكر المهلب ، لينظر ما حالهم ، فأنهم في مائتين
فخرّهم ورجع . وأمر المهلب أصحابه بالتحارّس ، حتى إذا أصبح ركب إليهم في نمشة ،
فالتقوا بسلى وسنبري ، فحاصفوا ، فخرج من الحوارج مائة فارس ، فرّكزوا رماحهم
بين الصنفين ، واتكأوا عليها ، وأخرج إليهم المهلب أعدادهم ، ففعلوا مثل ما فعلوا ،
لا يرفعون إلا الصلاة ، حتى إذا أمسوا رجع كل قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا هكذا
ثلاثة أيام .

(١) الحاقول : منطبت الواصي .

(٢) ديوانه ١٦٢ .

(٣) في الكامل : « أجازت إلينا » ، و« الديوان » : « أجازت إلى » .

(٤) « ظفرك » .

ثم إن الخوارج تطاردوا لهم في اليوم الثالث ، فحمل عليهم هؤلاء الفرسان ، فجالوا ساعة ، ثم إن رجلاً من الخوارج حمل على رجل فطعنه ، فحمل عليه المهلب فطعنه ، فحمل الخوارج بأجمعهم ، كما صنعوا يوم سؤلاف فضعفوا الناس ، وفقد المهلب وثبت للغيرة في جمع أكثر أهل عمان

ثم نجى^(١) للمهلب في مائة ، وقد انفس كئاه^(٢) في الدم ، وعلى رأسه قلنسوة مربعة فوق ليفر محشوة قرأ وقد تمزقت ، وإن حشوها ليتطاير وهو يلتهث ، وذلك في وقت الظهر ، فلم يزل يحاربهم حتى أتى الليل ، وكثر القتل في الفريقين ، فلما كان الغد غاداهم ، وقد كان وجهه بالأس رجلاً من طاحية بن سود بن مالك بن فهم ، من الأزدي من ثقاته وأصحابه ، يرد للهمزمين ، فرتبه عامر بن مسمع فردّه ، فقال : إن الأمير أذن لي في الانصراف ، فبعث إلى المهلب ، فأعلمه م فقال : دعه فلا حاجة لي في مثله من أهل الجبل والصف . ثم غاداهم للمهلب في ثلاثة آلاف ، وقد تفرق عنه أكثر الناس ، وقال لأصحابه : ما بكم من قلة ! أبصر أحدكم أن يلقى رعيه ثم يتقدم فيأخذه ! ففعل ذلك رجل من كندة ، واتبه قوم ؛ ثم قال المهلب لأصحابه : أخذوا نحالي فيها حجارة ، وارموا بها في وقت الغفلة ، فلما قصد الفارس ، ونصرع الرجال ، قطعوا . ثم أمر منادياً ينادي في أصحابه ، يأمرهم بالجد والصبر ، ويطمعهم في المدد ، ففعل ذلك حتى مرّ بيني العدوية ، من بني مالك بن حنظلة ، فنادى فيهم فضربوه ، فدعا المهلب بسيدم - وهو معاوية بن عمرو - فجعل يركله^(٣) برجله ، فقال : أصلح الله الأمير ! اعفني من أم كيسان - والأزد تسمى الركبة أم كيسان - ثم حمل للمهلب وحلوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فجهد الخوارج ، ونادى مناد منهم : ألا إن المهلب قد قُتل .

(١) نجى : ظهر .

(٢) الكاه : دكفاه .

(٣) الركل : الضرب بالرجل خاصة .

فركب المهلب يردونا ورداً^(١) ، وأقبل يركض بين الصّفين ؛ وإنّ إحدى يديه لفي القباء ، وما يشعر لها ، وهو بصيح : أنا المهلب ! فكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وغلثوا أن أميرهم قد قتل ، وكلّ الناس مع المعز ، فصاح المهلب بابنه المغيرة : تقدّم ؛ ففعل وصاح بذكوان مولاه : قدّم رايتك ؛ ففعل ، فقال له رجل من وهه : إياك تفرّر بنفسك ، فزبره وزجره ، وصاح : يا بني سمة ، أمركم فتصوموني ! فتقدّم وتقدم الناس فاجتلبوا أشدّ جِلاد ، حتى إذا كان مع المساء قتل ابن الماحور ، وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله ، فقال لأصحابه : انضوا إلى رحلاً جُلداً يطوف في القتلى ، فأشاروا عليه برجل من جرّهم ، وقالوا : إنّا لم نر قطّ رحلاً أشدّ منه ؛ ففعل يطوف ومعه النيران ، ففعل إذا مرّ بمخرج من الخوارج ، قال : كافر وربّ الكعبة ! فأجهز عليه ، وإذا مرّ بمخرج من المسلمين أمر بسقيه وحمله ، وأقام المهلب يأمرهم بالاحتراس ؛ حتى إذا كان في نصف الليل ، وجّه رجلاً من اليخمد^(٢) إلى عشرة ، فصاروا إلى حسكر الخوارج ، فإذا هم قد تمحلّوا إلى أرّجان ، فرجع إلى المهلب فأعلمه ، فقال لهم : أنا الساعة أشدّ خوفاً ، احذروا البيّات .

ويروى عن شعبة بن الحجاج أنّ المهلب قتل لأصحابه يوماً : إنّ هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناصحتكم إلا من جهة البيّات ؛ فإنّ يكن ذلك فاجعلوا شعاركم : « حم لا يُنصرون » فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بها .

ويروى أنه كان شعار أصحاب عليّ بن أبي طالب عليه السلام .
فلما أصبح القوم غدّوا على القتلى ؛ فأصابوا ابن الماحور قتيلاً ، ففي ذلك يقول رجل من الخوارج :

(١) الكامل : « يردونا نصيراً أشهب » .

(٢) اليخمد : بطن من الأزد .

يَسْلَى وَسَلْبَرَى مَعَارِعَ فَنِيْزٍ كِرَامٍ وَعَقْرَى مِنْ كَسْبَتٍ وَمِنْ وَرْدٍ^(١)
وقال آخر :

يَسْلَى وَسَلْبَرَى جَاهِمَ فَنِيْزٍ كِرَامٍ وَحَرَمَى لَمْ تَوْسَدْ خَدُودَهَا^(٢)
وقال رجل من موالى المهلب : لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة ، رميت به
رجلا فصرعته ، ثم رميت به رجلا فأصبت به أصل أذنه فصرعته ، ثم أخذت الحجر
وصرعت به ثالثا ؛ وفي ذلك يقول رجل من الخوارج :

أَنَا بِأَحْبَارٍ لَيَقْتُلُنَا بِهَا وَهَلْ يَقْتُلُ الْأَبْطَالُ وَيَمُوتُ بِالْحَجَرِ
وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم يَسْلَى وَسَلْبَرَى وقتل ابن الماحوز :

وَيَوْمَ سَلَى وَسَلْبَرَى أَحَاطَ بِمِثْلٍ صَوَاقٍ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ^(٣)
حتى تركنا حبيد الله مُتَجَدِّلا كَمَا تَحْدِلُ حِذْمٌ مَالٌ مُتَقَفِّرٌ^(٤)

ويروى أن رجلا من الخوارج يوم يَسْلَى عمل على رجل من أصحاب المهلب ؛
خطفه ، فلما خالطه الرمح صاح : يا أمتاه افساح به المهلب : لا كثر الله منك في
المسلمين^(٥) ! فضحك الخارجي ، وقال :

أَمَّاكَ خَيْرٌ لَكَ مِنِّي صَاحِبًا تَسْفِيكَ تَحْصَا وَتُكَلِّمُ رَأْيَا

وكان المعبرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه ، فكس^(٦) قَلَى

(١) قل للرصى من ابن بَرَى أنه لأبى ينفذ به بن صهب الحس - وعقري : جمع عقير ، بمعنى
« عقود » من عقير الفرس والعير ، إذا قطع قوائمه .

(٢) سَلَى وَسَلْبَرَى ، ضطهما للبرد بكسر السين ؛ وقال الأخفش فتنعها ؛ وقال : موضعان بالأهوار

(٣) قال للبرد : « تقول العرب : صاعقة وصواق ؛ وهو مذهب أهل الحجاز ؛ وبه ثل القرآن ، ويروى

بغير يقولون : صاعقة وصواق » .

(٤) اللصير : اللصع من أصله .

(٥) كذا في ج ، وفي ب : « مثلك » ، وفي « تكامل » : « ينطقه المسلمين » .

(٦) فكس : طأطأ .

قَرَبُوس^(١) للسرّج ، وَحَمَلٌ مِنْ نَحْمِهَا ، فَبَرَاها بِسَيْفِهِ ، وَأَثَرٌ فِي أَصْعَابِهَا ، فَتُحَرِّمُ بِهَا الْمِيْمَةَ مِنْ أَجَلِهِ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا تَسْكُونُ الْحَرْبُ اسْتِمَاراً أَشَدَّ مَا يَكُونُ تَبَسُّماً ، وَكَانَ اللَّهْلَبُ يَقُولُ : مَا شَهِدَ مَعِيَ حَرْباً قَطُّ إِلَّا رَأَيْتُ الْبُشْرَى فِي وَجْهِهِ !
وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ فِي هَذَا الْيَوْمِ :

فَإِنْ تَلَّكَ قَتَلَى بِوَيْمٍ سَلَى تَنَامَتْ فَكَمْ عَادَتْ أَسْيَافُهَا مِنْ قَمَافٍ^(٢)
خَدَاةً تَكْرَهُ لِلشَّرِيفَةِ فِيهِمْ بِسُؤْلَافٍ يَوْمَ الْمَازِقِ الْمَتَلَاخِمِ^(٣)

فَكَتَبَ لِلْهَلَبِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أُنَى رِيْمَةِ الْقُبَاعِ^(٤) :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا لَقِينَا الْأَرَارِقَةَ الْمَارِقَةَ مَحْدَرٍ وَحِدَةٍ ، فَكَانَتْ فِي النَّاسِ جَوَاقِدٌ ، ثُمَّ ثَابَتْ أَهْلُ الْحِفَاطِ وَالصَّبْرِ سَيَّاتٍ صَادِقَةٍ ، وَأَبْدَانٍ شَدِيدَةٍ ، وَسُيُوفٌ حِدَادٍ ، فَأَعْقَبَ اللَّهُ خَيْرَ حَاقِيَةٍ ، وَجَاوَزَ بِالْعَمَةِ مَقْدَارَ الْأَمَلِ ، فَصَادُوا خَدِيشَةً^(٥) رَمَاحَنَا ، وَضَرَّائِبَ^(٦) سَهْوِنَا ، وَقَتَلَ اللَّهُ أَمِيرَهُمُ ابْنَ الْمَاحُوزِ ، وَأَرْجَوْنُ أَنْ يَكُونَ آخِرَ هَؤُلَاءِ النَّمَةِ كَأَوَّلِهَا . وَالسَّلَامُ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْقُبَاعُ :

قَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَا أَحَا الْأَزْدِ ، فَرَأَيْتُكَ قَدْ وَهَبَ^(٧) لَكَ شَرَفُ الدُّنْيَا وَمِزْهُهَا ، وَذَخِيرُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَأَجْرُهَا ، وَرَأَيْتُكَ أَوْثَقَ حَصُونِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَازِ

- (١) قَرَبُوس السرج : مقدمه ؛ وَلِسَكَلٌ سَرَجٌ لَرَبُوسَانَ مَقْدَمٌ وَمُؤَخَّرٌ .
(٢) الْقَمَافُ ، بضم أوله : السِّيدُ السَّكِيمُ الْوَاسِعُ الْبَصَلُ ؛ كَالْقَمَافِ .
(٣) الْمَازِقُ : الْمَوْضِعُ الضَّيِّقُ يَقْتُلُونَ فِيهِ ، وَالْمَتَلَاخِمُ ، مِنْ لَوَّحِهِمْ ؛ شَجَّةٌ مُتَلَاخِمَةٌ ؛ وَهِيَ الَّتِي تَلْتَقِي الْعِصَمُ هُونَ الْعِظَمِ ثُمَّ تَتَلَاخَمُ فَلَا يَجُوزُ فِيهَا الْمَسِيرُ . وَالشَّرِيفَةُ : السُّيُوفُ لَمَسَتْ إِلَى الْخَشَارِفِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ .
(٤) فِي الْكَامِلِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » ، أَمَّا بَعْدُ
(٥) الْخَدِيشَةُ : حَلْقَةٌ يَحْمِلُهَا الطَّلَعُ .
(٦) الضَّرَّائِبُ : جَمْعُ ضَرْبَةٍ ؛ وَهُوَ كُلُّ مَا صُرَّتْ بِسَيْفِكَ .
(٧) الْكَامِلُ : « وَهَبَ اللَّهُ لَكَ . . . وَذَخِيرُكَ . . . » .

أركان المشركين ، وذا الرياسة وأخا السياسة ، فاستدِم الله بشكركه ، يتم عليك نعمه . والسلام .

وكتب إليه أهل البصرة يهنئونه ، ولم يكتب إليه الأحنف ، ولكن قال : اقرءوا عليه السلام وقولوا : أنا لك على ما فارقتك عليه . فلم يزل يقرأ الكتب وينظر في تصانيفها ، ويلتمس كتاب الأحنف فلا يراه ، فلما لم يره ، قال لأصحابه : أما كتب أبو بحر ؟ فقال له الرسول : إنه تخلف إليك رسالة ، فأبلىه ، فقال : هذا أحبُّ إليَّ من هذه الكتب . واجتمعت الخوارج بأرجان ، فبايعوا الزبير بن عدي ، وهو من بني سليط بن يربوع ، من رَهط ابن المأخوذ ، فرأى فيهم اسكساراً شديداً ، وصفاً بيتنا ، فقال لهم : اجتمعوا ، فاجتمعوا ، بحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ورسوله صلى الله عليه وآله ؛ ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تمحيص وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وجري ، وإن يصيب منكم أمير المؤمنين ، فما صلوا إليه خيراً مما خلف ، وقد أصبتم منهم مسلم بن عبيس وربيعة الأجدم والحجاج بن رباب ^(١) وحارثة بن بدر ، وأشجيتهم للهرب وقتلتم أخاه المَعَارِك ، والله يقول لإخوانكم المؤمنين : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ مُدَاوِلُهُا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) ، فيوم يلى كان لكم بلاء وتمحيص ، ويوم سولاف كان لهم عقوبة ونكالا ، فلا تدببن على الشكر في حينه ، والصبر في وقته ، وثقوا بأنكم المستخلفون في الأرض ، والعاقبة للمتقين .

ثم تحمل للمصاربة نحو المهلب ، فتفجعهم للمهلب ففجعه فرجموا وأكثنوا للمهلب . - في تمحيص ^(٣) من محوض الأرض بقرب من مسكره - مائة فارس ليقتالوه ، فسار المهلب

(١) الكامل : رباب .

(٢) سورة آل عمران ١٤٠

(٣) الفصحى : المطن من الأرض

يوماً يُطِيفُ بِسُكْرِهِ ، وَيَتَفَقَّدُ سَوَادَهُ ، فَوَقَفَ عَلَى جَبَلٍ ، فَقَالَ : إِنَّ مِنَ التَّدْبِيرِ لِهَذِهِ
الْمَارِقَةِ أَنْ تَكُونَ قَدْ كُتِمَتْ فِي سَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ كَيْتاً ؛ فَبَعَثَ لِلْهَلَبِ عَشْرَةَ فِوَارِسَ ، فَأَمَّلَعُوا
عَلَى الْمَائَةِ ، فَلَمَّا عَلِمُوا بِهِمْ قَطَعُوا الْقَنْطَرَةَ وَبَجَرُوا ، وَانْكَشَفَتِ الشَّمْسُ فَصَاحُوا : يَا أَعْدَاءَ
اللَّهِ ، لَوْ قَامَتِ الْقِيَامَةُ لَجَدَدْنَا وَنَحْنُ فِي جِهَادِكُمْ ^(١) .

ثُمَّ بَشَّرَ الزُّبَيْرُ مِنَ نَاحِيَةِ الْمُهَلَّبِ ، فَضَرَبَ إِلَى نَاحِيَةِ أَصْبَهَانَ ، ثُمَّ كَرَّ رَاجِعاً إِلَى
أَرْجَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ جُوعاً ؛ وَكَانَ لِلْمُهَلَّبِ يَقُولُ : كَأَنِّي بِالزُّبَيْرِ وَقَدْ جَمَعَ لَكُمْ ؛ فَلَا تَرْهَبُوهُمْ ؛
فَتَنْخَبُ ^(٢) قُلُوبُكُمْ ، وَلَا تَعْمَلُوا الْإِحْتِرَاسَ فَيَطْمَئِنُّوا فِيكُمْ . فَبَجَّاهُوهُ مِنْ أَرْجَانِ ، فَلَقَوْهُ
مُسْتَعِذاً آخِذاً بِأَفْوَاهِ الطَّرِيقِ ، فَخَارِبَهُمْ فَظَهَرَ عَلَيْهِمْ ظُهُوراً يَبِينُ ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ
مِنْ بَنِي يَرْبُوعَ :

سَقَى اللَّهُ الْمُهَلَّبَ كُلَّ عَشِيرَةٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ انْتِحَاراً ^(٣)

فَمَا وَهَنَ الْمُهَلَّبُ يَوْمَ جَاءَتْ عَوَاسُ حِيلِهِمْ تَبْنِي الْفِوَارِ ^(٤)

وَقَالَ لِلْمُهَلَّبِ يَوْمَئِذٍ : مَا وَقَفْتُ فِي مَصِيقٍ مِنَ الْحَرْبِ إِلَّا رَأَيْتُ أُمَامِي رَجَالاً مِنْ بَنِي
الْهُجَيْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ يَحَارِبُونَ ، وَكَانَ لِحَامِ أَذْنَابِ الْقَمَاقِ ^(٥) وَ [كَانُوا] ^(٦) صَبَرُوا
مَعَهُ فِي غَيْرِ مَوَاطِنَ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الْمُهَلَّبِ مِنْ نَسَبِ تَمِيمٍ :

(١) فِي الْكَامِلِ : « لَجَدَدْنَا فِي جِهَادِكُمْ » .

(٢) تَنْخَبُ : تَصِفُ ، وَفِي الْكَامِلِ : « تَخْتُ » .

(٣) : مَطَرُ الرِّيحِ الْأَوَّلِ ، سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَسُمُّ الْأَرْضَ ثَلَاثَ أَيَّامٍ وَنَحْوَهَا ، أَيْ أَنْبَقَ
بِمَاءٍ كَثِيرٍ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الرَّافِعِيِّ :

قَمَرٌ عَلَى مَنَازِلِهَا وَأَلْقَى بِهَا الْأَثْقَالَ وَانْتَحَرَ انْتِحَاراً

(٤) الْفِوَارُ : مَعْدَنُ غَاوِرِ الْمَدَى مُسَاوِرَةٌ وَعَوَارَا ؛ أَغَارَ عَلَيْهِ .

(٥) الْقَمَاقُ : جَمْعُ حَقَقٍ ؛ وَهُوَ طَائِرٌ قَوْلُ رَجُلٍ : أَيْسُ وَأَسْوَدُ طَوِيلُ الذَّنَبِ .

(٦) مِنَ الْكَامِلِ .

أَلَا يَأْمَنُ لِيَصِبَ مُسْتَهَامٌ^(١) قَرِجَ الْقَلْبِ قَدْ مَلَّ الْمَزُونَا^(٢)
لَمَّا نَ عَلَى الْمَهْلَبِ مَالِقِينَا إِذَا مَارَاحَ مَسْرُورًا بَطِينَا^(٣)
يَهْمُ السَّابِرِيَّ وَتَحْنُ شُمْتُ كَانَ جُلُودَنَا كُيِّبَتْ طَعِينَا^(٤)

وحمل يومئذ الحارث بن هلال على قيس الإيماء كاف ؛ وكان من أنشد فرسان الخوارج ؛

فطعنَه فذَقَ صلبه ؛ وقال :

قيس الإيماء عداة الرُّويع يَنْفَلِكُنِي ثَبَّتَ الْقَعَامَ إِذَا لَاقَيْتُ أَفْرَانِي
وقد كان بعض جيش المهلب يوم سِيلَ وَيَنْبَرِي صاروا إلى البصرة ، فدكروا أن
المهلب قد أصيب ، فهم أهل البصرة بالثقة إلى النادية ، حتى ورد كتابه بظفره ، فأقام
الناس ؛ وتراجع من كان ذهب منهم ؛ فعند ذلك قال الأحنف : السَّخْرَةُ نَصْرَةُ الْمَهْلَبِ .
وقدم رجل من كِنْدَةَ يَرْفُ بِابْنِ أَرْقَمَ ، فَتَنَى^(٥) عَمَّ هـ ، وقال : إني رأيت رجلاً من
الخوارج ، وقد مكَّن رِجْلَهُ مِنْ صُلْبِهِ ، فلم يَشِبْ أَنْ قَدِمَ لِلنَّيِّ سَالِمًا ، قَلِيلٌ هـ ذَلِكَ ،
فقال : صدق ابن أرقم ، لَمَّا أَحَسَّتْ رِجْلُهُ بَيْنَ كَتْفِي صِغَتْ بِهِ : النَّقِيَّةُ ، فرفسه ، وتلا :
(يَفْقَهُ اللَّهُ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)^(٦) وَوَجَّهَ لِلْمَهْلَبِ بِقَبْرِ هَذِهِ الْوَقْعَةِ رَجُلًا
مِنَ الْأَزْدِ ، بِرَأْسِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ بَشِيرٍ بْنِ الْمَاحُوزِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، فَلَمَّا صَارَ
بَكْرُ بَيْجٍ^(٧) دِنَارَ لِقَيْتِهِ إِخْوَةَ عُبَيْدِ اللَّهِ : حَبِيبٌ وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَعَلِيٌّ وَبَنُو بَشِيرٍ بْنِ الْمَاحُوزِ

(١) الكامل : « مستهام » ، من استحمه الشوق إلى وطنه ؛ أي استطربه .

(٢) قال البرد : المزون : محان ؛ وهو اسم من أسماءها ، قال السكيت :

فَأَمَّا الْأَزْدُ أَزْدُ بَنِي سَعِيدٍ فَأَكْرَهُ أَنْ أُسَمِّيَهَا الْمَزُونَا

وقال جرير :

وَأَطْلَعَتْ نِيرَانَ الْمَزُونِ وَأَهْلَهَا وَقَدْ حَاوَلُوهَا فِتْنَةً أَنْ تُسْعَرَا

(٣) الطين : عظيم الطل

(٤) السابري من الثياب : ما كلفه رفيقا .

(٥) سورة هود ٨٦

(٦) كرج : موضع قرب سوق الأهواز .

قالوا : ما الخبر ؟ وهو لا يعرفهم ؛ فقال : قتل الله ابن الماحوز المارق ، وهذا رأسه معي ، فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ، ودفنوا رأس أخيهما عبيد الله ، فلما ولي الحاج دخل عليه علي بن بشير ، وكان راسيا جسيما ، فقال : من هذا ؟ فخبّره ، فقتله ووهب ابنته الأزهر وابنته لأهل الأزدي المقتول ، وكانت زينب بنت بشير لم مواصلة ، فوهبها لها .

• • •

قال أبو العباس محمد بن يزيد اللبّرد في كُتُب " الكامل " ،^(١) : ولم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحارث الثُّباع ، حتى عُزل وولى مصعب بن الزبير ، فكتب إلى المهلب أن أقدم عليّ ، واستخلف ابنك المنيرة . ففعل بعد أن جمع الناس ، وقال لم : إني قد استعلفتُ للميرة عليك ، وهو أبو صغيركم رقة ورحمة ، وابنُ كبيركم طاعةٌ وبرٌّ ، وتبجيلا ، وأخو منته مواصلةً ومناصحةً ، فلتحسنْ له طاعتكم ، وليلينْ له جانبكم ، فوالله ما أردتُ صواباً قط إلا سقي إليهِ .

ثم مضى إلى مصعب ، فكتب مصعب إلى المنيرة بولايته ، وكتب إليه : إنك إن لم تكن كأبيك ، فإنك كافٍ لما وليت^(٢) ، فشر وأتذر^(٣) ، وجِدْ واجتهد .

ثم شَخَّص المصعب إلى الزَّار ، فقتل أحر بن شُبيط ، ثم أتى الكوفة فقتل المختار ، وقال للمهلب : أرشز عليّ برجل أجعله يني وبين عبد الملك ، فقال له : اذكر واحداً من ثلاثة : محمد بن حمير بن عطارد الهارمي ، أو زياد بن عمرو بن الأشرف المتسكي ، أو داود ابن قُحْدَم ، قال : أو تكفيني أنت ؟ قال : أكفيك إن شاء الله . فشَخَّص فولاه الموصل فخرج إليها ؛ وصار مُصعب إلى البصرة لينفي إلى أخيه بمكة . فشاور الناس فيمن يستكفيه

(١) الكامل ٦٤٣ وما بعدها (طبع أوربا)

(٢) الكامل : « وليك »

(٣) الكامل : « وأتذر »

أمر الخوارج، فقال قوم : ولَّ عبد الله بن أبي بكرة، وقال قوم : ولَّ عمر بن عبد الله بن معمر، وقال قوم : ليس لهم إلا المهلب فاردده إليهم؛ وبلغت للشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم، فقال قطري بن الفجاءة للارني - ولم يكن أمروه عليهم بقدر - : إن جاءكم عبد الله بن أبي بكرة أناكم سيّدٌ تمتح كرم حواد مضيع لمسكره، وإن جاءكم عمر بن عبد الله أناكم فارس شجاع، بطل جاد، يقاتل لدينه وللمسكة، وبطيحة لم أر مثلها لأحد؛ فقد شهدته في وقائع؛ فما نودى في القوم لحرب إلا كان أول فارس؛ حتى يشد على قرنه ويضربه؛ وإن رُدَّ للمهلب فهو من قد عرفتموه، إذا أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمدّه إذا أرسلتموه، ويرسله إذا مددتموه، لا يبدؤكم إلا أن تبدؤوه؛ إلا أن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث البر^(١)، والعلب الرواغ، واللبلاء القيم.

فولَّى مصعب^(٢) عليهم عمر بن عبد الله بن معمر، وآلاه فارس، والخوارج بأرجان يومئذ، وعليهم الزبير بن عتيب السديطي، فخص إليهم فقاتلهم، وألح عليهم حتى أخرجهم منها، فألحقهم بأصبهان، فلما بلغ للمهلب أن مصعباً ولَّى حرب الخوارج عمر بن عبد الله، قال : رماهم بفارس العرب وقتلها. فجمع الخوارج له، وأعدوا واستعدوا، ثم أتوا ساجور^(٣). فسار إليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ، فقال له مالك بن أبي حسان الأزدي : إن المهلب كان يذكي الميرون، ويخاف البيات، ويرقب الغفلة، وهو على أبعد من هذه السافة منهم.

فقال عمر : اسكُتْ، خَلَعَ اللهُ قَلْبَكَ ! أنراك تموت قبل أجلك ! وأقام هناك، فلما كان ذات ليلة يئسه الخوارج، فخرج إليهم فحاربهم حتى أصبح، فلم يظفروا منه بشيء. فأقبل على مالك بن أبي حسان، فقال : كيف رأيت؟ فقال : قد سلم الله، ولم يكونوا

(١) البر : الغالب؛ من أبر عليه؛ إذا غلبه.

(٢) ساجور : كورة مشهورة بأرض فارس، بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً.

يُطْعَمُونَ فِي مِثْلِهَا مِنَ اللَّهْلِيبِ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ تَنَاصَحْتُمُونِي مَنَاصِحَتَكُمْ لِلَّهْلِيبِ ، لَرَجَوْتُ أَنْ أَتَنِي هَذَا الْعَلْوُ ، وَلَكِنَّكُمْ تَقُولُونَ : قَرِئْتُ حِجَازِي ، بِمَيْدُ الدَّارِ خَيْرٌ لِّغَيْرِنَا ، فَتَقَاتِلُونَ مِنِّي تَعْذِيرًا ^(١) . ثُمَّ زَحَفَ إِلَى الْخَوَارِجِ مِنْ غَدِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَجَانِبَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا ، حَتَّى الْجَانِمِ إِلَى قَطْرِ ، فَكَثَّفَ النَّاسُ عَلَيْهَا حَتَّى سَقَطَتْ ، فَأَقَامَ حَتَّى أَصْلَحَهَا ^(٢) ، ثُمَّ عَبَّرَ ، وَتَقَدَّمَ ابْنَهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْنٍ بْنِ كَعْبٍ . فَجَانِبَهُمْ حَتَّى قُتِلَ ، فَقَالَ قَطْرٌ لِلْخَوَارِجِ : لَانْقَاتِلُوا عُمَرَ الْيَوْمَ ؛ فَإِنَّهُ مَوْتُورٌ ، قَدْ قَتَلْتُمْ ابْنَهُ . وَلَمْ يَلَمْ عَمْرُ بْنُ قَتْلِ ابْنِهِ حَتَّى أَفْصَى إِلَى الْقَوْمِ ؛ وَكَانَ مَعَ ابْنِهِ التَّيْمَانُ بْنُ عَبَادٍ - فَصَاحَ بِهِ عَمْرُ : يَا تَيْمَانُ ، ابْنُ ابْنِي ؛ قَالَ : احْنَسِبْهُ فَقَدْ اسْتَشْهَدَ صَابِرًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدِيرٍ ؛ فَقَالَ : يَا نَافِلُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أَلَمْ تَحْمِلْ عَلَى الْخَوَارِجِ حِمْلَةً لَمْ يُرْ مِثْلُهَا ، وَحَمَلَ أَصْحَابُهُ بِحِمْلَتِهِ ؛ فَجَانِبُوا فِي وَجْهِهِمْ ذَلِكَ تَسْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْخَوَارِجِ ، وَحَمَلَ عَلَى قَطْرِ فَمَرَبَهُ عَلَى جَبِينِهِ فَخَلَقَهُ ، وَانْهَزَمَتِ الْخَوَارِجُ وَانْتَهَبَهَا ؛ فَلَمَّا اسْتَقَرُّوا وَارَأَى مَا رَلَّ بِهِمْ ، قَالَ : أَلَمْ أُشِيرْ عَلَيْكُمْ بِالْإِنْصِرَافِ أَفَعَمَلُوهُ حِينَئِذٍ مِنْ ^(٣) وَجُوهِهِمْ ؛ حَتَّى خَرَجُوا مِنْ طَارِسَ ، وَتَلَقَّاهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الْفَزَارِيُّ بْنُ مِهْزَمِ الْعَبْدِيِّ ، فَسَأَلُوهُ عَنْ حَبْرِهِ ، وَأَرَادُوا قِتْلَهُ ، فَأَقْبَلَ عَلَى قَطْرِ ، وَقَالَ : إِنِّي مُؤْمِنٌ مُهَاجِرٌ ؛ فَسَأَلَهُ عَنْ أَقْوَابِهِمْ فَأَجَابَ إِلَيْهَا ؛ فَجَلَّوْا عَنْهُ ، فَبَيَّنَ ذَلِكَ يَقُولُ فِي كَلِمَةٍ لَهُ :

فَسَدَّوْا وَتَأَنَّى ثُمَّ أَلْجَوْا خُصُوفَتِي إِلَى قَطْرِ ذِي الْجَبِينِ الْمَفْلُوقِ
وَحَاجَجْتُهُمْ فِي دِينِهِمْ حُجَجَتُهُمْ وَمَا دِينُهُمْ غَيْرُ الْهُوَى وَالتَّحَلُّقِ
ثُمَّ رَجَعُوا وَتَسَكَّنُوا ^(٤) ، وَعَادُوا إِلَى نَاحِيَةِ أَرْجَانِ ، فَسَارَ إِلَيْهِمْ عَمْرُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مُصْعَبٍ :

(١) تعذيرا ؛ أي يقاتلون من غير تمام أو مالة .

(٢) ج : « فأصلحها » .

(٣) كفا في ب ، و ، ج ، والكمال بحذف كلمة « من » .

(٤) في زيادات الأختش على الكامل : « تسكَّنوا ؛ أمان بعضهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم في كنف بعض » .

أما بعد ، فإنّي قمت الأزارقة ؛ فرزق الله عزّ وجلّ عبيد الله بن عمر الشهادة ، ووهبه السعادة ، ورزقنا بعدُ عليهم الظفر ، ففرقوا شذر مذر^(١) . وبلغني عنهم حودة فيمنّتهم ؛ وبالله استعين ؛ وعليه اتوكل .

فسار إليهم ومعه عطية بن عمرو ، وتجماعة بن ستر فالتقوا ، فألح عليهم عمر حتى أخرجهم ، وانفرد من أصحابه ، فميد إلى أربعة عشر رجلا من مذكوريهم وشجعانهم ؛ وفي يده صود ، فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة إلا صرعه ، فركض إليه قطريّ على فرس طير^(٢) ، وعمر على مهر ، فاستملاء قطريّ بقوة فرسه ؛ حتى كاد يصرعه ، فبصر به تجماعة ، فأسرع إليه ، فصاحت الخوارج : يا أبا نعام ، إن عدوّ الله قد رهقك^(٣) . فأنمط قطريّ على قربوسه وطمس تجماعة ؛ وعلى قطريّ ديزان فتهكها وأسرع السنان في رأس قطريّ ، فكشط جلده وبها ، ولوحل القوم إلى أصفيان ، فأقاموا برهة ، ثم رجعوا إلى الأهواز ؛ وقد ارتحل عمر بن عبيد الله إلى إسطنخر^(٤) ، فأمر تجماعة بلقي الخراج أسبوعا ؛ فقال له : كم جيت ؟ قال : تسائة ألف ، فقال : هي لك .

وقال يزيد بن الحكم لتجماعة :

وَدَعَاكَ دَعْوَةً مُرْهَقٍ فَأَجَبْتَهُ عُمَرُ وَقَدْ نَسِيَ الْحَيَاةَ وَضَاعَهَا^(٥)

فَرَدَدْتَ عَامِيَةَ الْكُتَيْبَةِ عَنْ قَتَى قَدْ كَادَ يُتْرَكُ نَحْمُهُ أَوْزَامًا^(٦)

قال : ثم هزل مضطرب بن الزبير ؛ ووتى عبد الله بن الزبير العراق ابنه حزة

(١) شذر ، مذر ؛ بالتعريك فيهما : دصوا في كل وجه ؛ ومذر : إباح .

(٢) فرس طير ؛ هو الطويل القوائم الخفيف ، أو هو المستفز للوث والمدو ؛ والأتى طيرة .

(٣) رهقك : غشاك .

(٤) إسطنخر : بلد من أعيان بلاد فارس .

(٥) المرهق : هو الذي أدرك ليقول ؛ من أرهق الرجل لئلا يفلح . و « عمر » فاعل : ودعاه .

(٦) العامية : الحبل يمدو ، أو الرجال يمدون . وأوزاما : قطما .

ابن عبد الله بن الزبير ؛ فكث قتيلا ؛ ثم أُعيد مُصعب إلى العراق ، والخوارج بأطراف
أصبهان ، والوالي عليها عقاب بن ورقاء الرُّياحى ؛ فأقام الخوارج هناك يجمعون شيئا
من القرى ، ثم أقبلوا إلى الأهواز من ناحية فارس ؛ فكتب مُصعب إلى عمر بن عبيد الله :
ما أنصفنا ! أقت بخارس نجى الحراج ؛ ومثل هذا العدو يجتاز بك لا تحاربه ! والله
لو قاتلت ثم هُزمت لكان أعذر لك !

وخرج مُصعب من البصرة يريدهم ؛ وأقبل عمر بن عبيد الله يريدهم ، فلتقى الخوارج
إلى الشوس ، ثم أتوا إلى المدائن ؛ وبسطوا في القتل ؛ فجلوا يقتلون النساء والصبيان ؛ حتى أتوا
المدائن^(١) ؛ فقتلوا أحر طي ؛ وكان شعاعا ، وكان من فرسان عبيد الله بن الحر ؛ وفي ذلك
يقول الشاعر :

تَرَ كُنُفَ قَتَى الْعِثْمَانِ أَحْمَرَ طِيٍّ^(٢) يَا بَابُ لَمْ يَمُطِفْ عَلَيْهِ خَلِيلٌ^(٣)
ثم خرجوا حامدين إلى الكوفة ، فلما خالطوا أسوأها ؛ وواليها الحارث القباع - تناقل
عن الخروج ، وكان جباناً ؛ فذمره^(٣) إبراهيم بن الأشتر ، ولأمه الناس ؛ فخرج متحاملا
حتى أتى النخيلة ، ففي ذلك يقول الشاعر :

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سَيْراً نَكُوراً بِسِيرٍ يَوْمًا وَيُجِمُّ عَشْراً
وجعل يعد الناس بالخروج ولا يخرج ؛ والخوارج يميثون ؛ حتى أخذوا امرأة ، فقتلوا
أباها بين يديها ، وكانت جميلة ، ثم أرادوا قتلها ، فقالت : أنقتلون مَنْ يُنْشَأُ فِي الْحِلْمَةِ
وهو في الخصاص غير مبين ! فقال قاتل منهم : دعوها ، فقالوا : قد فتنتك ، ثم
قدموها فقتلوها .

(١) المدائن : بلدة في ميسان بين واسط والبصرة .

(٢) ساباط . موضع بالمدائن ؛ يقال له : ساباط كسرى .

(٣) ذمره ، أى حظه مع لوم ليجد .

وقربوا امرأة أخرى وهم يلذاء القُبَاع ، والجسر معقود بينهم ؛ فقطعه القُبَاع وهو في
سنة آلاف ، والراة تستغيث به وهي تقبل ؛ وتقول : علام تقتلونني ا فوالله ما فسقت ،
ولا كفرت ، ولا زنييت ^(١) ، والناس يفتنون إلى القتال ، والقُبَاع بمنهم .

فلما حاف أن يصوّه أمر عند ذاك قطع الجسر ، فأقام بين ديري ودأها ^(٢) خمسة
أيام ، والخوارج جُزّبه ، وهو يقول للناس في كل يوم : إذا قيسم المدوّ غدا ، فأثبتوا
أفدائكم واصبروا ؛ فإن أول الحرب التراخي ، ثم إشراع الرماح ، ثم السلة ^(٣) ؛ فشككت
رجلا أمه فر من الزحف ا

فقال بعضهم لما أكثر عليهم : أما السلة فقد سمعناها ، فحق يقع النمل ؟

وقال الراجز :

إن القُبَاعَ سَارَ سَيْراً مَلَساً ^(٤) بَيْنَ دَبَاها وَدَيْرِي خِصَا

وأخذ الخوارج حاجتهم ، وكان شأن القُبَاع التحصن منهم ؛ ثم انصرفوا ورجع إلى
الكوفة ؛ وساروا من فورهم إلى أصبهان ، فبث عتاب بن وزياد الرياحي إلى الزبير بن
علي : أنا ابنُ تحمك ، ولست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيري . فبعث إليه
الزبير : إن أدنى العاسقين وأبدم في الحق سواء .

فأقام الخوارج يمكّدون عتاب بن وزياد القتال وبرأؤهم ، حتى طال عليهم القيام ،
ولم يظفروا بكبير شيء ؛ فلما كثر عليهم ذلك انصرفوا ؛ لا يمرّون بقرية بين أصبهان
والأهواز إلا استباحوها ، وقتلوا من فيها . وشاور المصّب الناس فيهم ؛ فأجمع رأيهم على

(١) الكامل : « ارتفعت » .

(٢) ديري ودأها ، هتج أقال فيها : قربان من نواحي بغداد

(٣) السلة : استغلال السيوف .

(٤) اللس : السير الشديد .

المهلب، فبلغ الخوارج مشاورتهم؛ فقال لم قطري: إن جاءكم عتاب بن ورقاء؛ فهو فائتكم
بطلع في أول المقنب^(١) ولا يظفر بكثير^(٢)، وإن جاءكم حر بن عبيد الله ففارس يقدم؛
إما عليه وإما كنه؛ وإن جاءكم المهلب فرجل لا ينافيكم حتى تنأجزوه؛ وبأخذ منكم
ولا يطيحكم؛ فهو البلاء اللاريم، والسكره الهائم.

وعزم مصعب على توجيه المهلب، وأن يشخص هو لحرب عبد الملك. فلما أحسن به
الزبير خرج إلى الرمي - وبها يزيد بن الحارث بن رويم - فخاربه ثم حصره؛ فلما طال عليه
الحصار خرج إليه؛ فكان الطمر للخوارج، فقتل يزيد الحارث بن بن رويم؛ ونادى
يزيد ابنه حوشباً، ففر عنه وعن أمه لطيفة [وكان علي بن أبي طالب عليه السلام دخل
على الحارث بن رويم يسود ابنه يزيد، فقال: عندي جارية لطيفة الخدمة أبست بها إليك،
فتمأها يزيد لطيفة^(٣)، فقتلت مع بعلها^(٤) يزيد يومئذ. وقال الشاعر:

مواقفنا في كل يوم كريمة أسر وأشتى من مواقف حوشب
دعاه أبوه والرماح شوارع^(٥) فلم يستجيب بل راع ترؤاع ثعلب
ولو كان شهم النفس أود حفيظة رأى ما رأى في اللوت عيسى بن مصعب

وقال آخر:

نجمي حليته واسم شيخه نصب الأينة حوشب بن يزيد^(٦)

(١) المقنب: جماعة الخيل.

(٢) كذا في أ، ج، وفي ب والكامل: «بكبير».

(٣) نسخة من كتاب الكامل.

(٤) الكامل: «قتلت معه».

(٥) كذا في أ، ج، والكامل، وفي ب: «تروعه».

(٦) نصب الأينة: أي مخافتها.

قال : ثم ^(١) انحط الزبير على أصفهان ، فحصر بها عتّاب بن ورقاء سبعة أشهر ، وعتّاب يحارب في بعضهن ؛ فلما طال به الحصار قال لأصحابه : ما تنتظرون ؟ والله ما نؤاتون من قلة ؛ وأنكم لفرسان عشايركم ؛ ولقد حاربتموه مرارا فانتصمتم منهم ؛ وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تنفق ذخائركم ، فيموت أحدكم ، فيدفنه أخوه ، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه ؛ فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يصفت أحدكم عن أن يمشی إلى قرنه .

فلما أصبح صلى بهم الصبح ؛ ثم خرج إلى الخوارج وهم غارون ^(٢) ، وقد نصب لواء جلارية له يقال لها ياسمين ، فقال : من أراد البقاء فليلق بلواء ياسمين ؛ ومن أراد الجهاد فليخرج معي ؛ فخرج في ألفين وسمائة فارس ؛ فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشّوه ، فقاتلهم بجدة لم تر الخوارج منهم مثله ؛ ففروا منهم خلعاً كثيراً وقتل الزبير بن عتي ، وانهزمت الخوارج ، فلم يلهمهم عتّاب ، ففي ذلك يقول القائل :

وَيَوْمَ بَجَى تَلَايَتُهُ ^(٣) وَلَوْلَاكَ لَا ضَظِيمَ الْمَسْكُ ^(٤)

وقال آخر :

خَرَجْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مُسْتَبِقًا وَلَمْ أَكُ فِي كَتِيبَةٍ بِأَتَمِينَا

(١) في الكامل قبل هذا الكلام : « وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يسره بأمة - وبلال مغدود عند يوسف بن عمر : « ابن حوراء » فقال بلال - وكان حلفاً : « إن الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة . وزعم الكلبي أن بلالاً كان حلفاً حيث اضل . قال الكلبي : ويحیی أن أرى الأسير حلفاً » قال : وقال خالد بن صفوان له بمصر يوسف : الحمد لله التي أزال سلطانك ، وعدركك ، وغير حالك ؛ فوافقه القدر كست شديد الحجاب ، مستخاً بالشرع ، مطهراً للصحية ؛ فقال له بلال : « إنما طال لسانك يا خالد ثلاث منك من علي : الأمر عليك مثل وهو في مديرة ؛ وأنت مطلق وأما بأسور ، وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريب - ولما جرى إل حد لأنه يخال : إن أصل آل الأهم من الخيرة ، وأنهم أشابة دخلت في بني مضر من الروم » .

(٢) غارون : غافلون .

(٣) جى : اسم مدينة كانت ناحية أصبهان ، والبيت لأعشى عدي (ياقوت) .

(٤) اضطم : أيد .

أَلَيْسَ مِنَ الْفَضَائِلِ أَنْ قَوْمِي فَنَدُوا مُسْتَلْثِينَ بِجَاهِدِيْنَا^(١)

قال : وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ، ويحمل بعضهم على بعض ، وربما كانت موافقة^(٢) بغير حرب ، وربما اشتدت الحرب بينهم ؛ وكان رجل من أصحاب عتّاب - يقال له : شريح ، ويكنى أبا هريرة - إذا تماجز^(٣) القوم مع النساء نادى بالخوارج والزبير بن علي :

يَا بْنَ أَبِي الْمَاحُوزِ وَالْأَشْرَارِ كَيْفَ تَرَوْنَ يَا كِلَابَ النَّارِ
شَدَّ ابْنُ هُرَيْرَةَ الْهَرَارِ تَهْرُكُمُ بِالْقِلِّ وَالنَّهَارِ
أَلَمْ تَرَوْا جَبًّا عَلَى الْغَمَارِ ثُمْسِي مِنَ الرَّثْمِ فِي حِوَارِ

فناظهم ذلك ، فكمن له عبيدة بن هلال ، فصره بالسيف ، واحتمله أصعابه ، وظنت الخوارج أنه قد قتل ؛ فكأمو إذا تواقفوا لدوهم : ما لك الهرار ؟ فيقولون : ما به من بأس ؛ حتى أبل من جلته ، تخرج إليهم ، فقال : يا أعداء الله ، أنزوني بأسا ؟ فصاحوا به : قد كنا نرى أنك قد لحقت بأهلك الهاوية ، إلى النار الحامية .

•••

[قطري بن الفجاءة المازني]

ومنهم قطري بن الفجاءة المازني ، قال أبو العباس^(١) :

لما قُتِلَ^(٢) الزبير بن علي أدارت الخوارج أمرها ، فأرادوا تولية عبيدة بن هلال ؛ فقال : أدلكم على من هو خير لكم مني ؛ من بطايعن في قُبُل ، ويحس في دُبُر ؛ عليكم

(١) مستلثين : لا يلبس الألة ؛ وهي الدرع . وق ح : « مستلثين » .

(٢) الموافقة في الحرب والمصومة : أن يفت كل من الطرفين أمام الآخر .

(٣) ج : « تأخر » .

(٤) الكامل ٦٥٢ وما بعدها (طبة أوربا) .

بَقَطْرِيَّ بنِ الْقُبَاةِ لِلزَّانِي . فَبَايَعُوهُ . وَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ امضِ بِنَا إِلَى فَارَسَ ، قَالَ :
 إِنَّ فَارَسَ عَمْرُ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مَعْمَرٍ ؛ وَلَكِنْ نَسِيرُ إِلَى الْأَهْوَازِ ؛ فَإِنْ خَرَجَ مُصْعَبُ بنِ
 الْبَصْرَةِ دَخَلَهَا ، فَأَتُوا الْأَهْوَازَ ثُمَّ تَرَفَعُوا عَلَيْهَا عَلَى الْيَدَجِ ^(١) . وَكَانَ لِلْمُصْعَبِ قَدْ عَزَمَ عَلَى
 الْخُرُوجِ إِلَى بَاجِيرٍ ^(٢) . وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : إِنَّ قَطْرِيًّا لَمُطْلٌ عَلَيْنَا ؛ وَإِنْ خَرَجْنَا عَنْ
 الْبَصْرَةِ دَخَلَهَا ، فَبِثْ إِلَى اللَّهَبِ فَقَالَ : أَكَيْفُنَا هَذَا الْمَدَى ؛ فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ اللَّهَبُ ؛ فَلَمَّا
 أَحْسَنَ بِهِ قَطْرِيٌّ يَتِمُّ نَحْوَ كَرْمَانَ ، وَأَقَامَ لِلَّهَبِ بِالْأَهْوَازِ ، ثُمَّ كَرَّ عَلَيْهِ قَطْرِيٌّ ، وَقَدْ
 اسْتَعَدَّ ، وَكَانَتْ الْخَوَارِجُ فِي حَالِهِمْ أَحْسَنَ عُدَّةٍ مِنْ بَقَاتِلِهِمْ بِكَثْرَةِ السَّلَاحِ وَكَثْرَةِ
 الدَّوَابِّ ، وَحَصَانَةِ الْجُنَيْنِ ^(٣) . فَخَارَبَهُمُ اللَّهَبُ ، فَدَفَعَهُمْ فَصَارُوا إِلَى رَامَهْرُمُزْ ؛ وَكَانَ
 الْحَارِثُ بنُ عُجَيْبَةَ الْمَدَائِيّ قَدْ صَارَ إِلَى الْمُهَلَّبِ رَاغِمًا لِعَتَابِ بنِ وَرْقَاءَ ، وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَمْ يُرْضِهِ
 عَنْ قَتْلِ الزَّيْبَرِ بنِ عَلِيٍّ ، وَكَانَ الْحَارِثُ بنُ عُجَيْبَةَ هُوَ الَّذِي قَتَلَهُ وَحَاضَ إِلَيْهِ أَصْحَابَهُ ، فَقَالَ
 ذَلِكَ يَقُولُ أَحْسَى تَهْدَانِ :

إِنَّ الْكَارِمَ أَكَيْتَ أَصَابِيهَا - لِابْنِ الْقُيُوثِ الْفَرَّجِ مِنْ تَهْدَانِ ^(٤)
 فَفَارَسَ الْحَارِمِ الْحَقِيقَةَ مُعَلِّمًا رَادِ الرَّفَاقِ وَفَارَسَ الْفَرَّجَ مَا ^(٥)

(١) الْيَدَجُ ، يَكْسِرُ الْهَمْزَ وَتَحْتِ الْقَامِلِ ؛ يَدُ بنِ حُوزَسْتَانَ وَأَصْبَهَانَ .

(٢) بَاجِيرًا ، بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ الْوَاوِ سَاكِنَةٍ ؛ مَوْسِمٌ دُونَ تَكْرِيتٍ .

(٣) الْجُنَيْنُ : جَمْعُ جَنَةٍ ؛ وَهِيَ الْقَرْعُ .

(٤) دِيْوَانُ الْأَعْمَشِينَ ٣٤٣ ، وَرَوَاتُهُ : « مِنْ قِطْعَانِ » ، وَهِيَ رِوَايَةُ الْكَامِلِ أَيْضًا .

(٥) دِيْوَانُ الْأَعْمَشِينَ وَالْكَامِلُ : « زَادَ الرَّفَاقُ إِلَى فَرَى نَجْرَانَ » ؛ قَالَ الْبُزْدُ : وَتَأْوِيلُهُ أَنَّ الرَّفَاقَ إِذَا
 صَحِبَهَا أَغْنَاهَا مِنَ الْعُرُودِ ؛ كَمَا قَالَ حَرِيرٌ - وَأَرَادَ ابْنَ لَهْ سَفَرًا ، وَفِي ذَلِكَ السَّفَرِ يَحْيَى بنُ أَبِي خُصَّةٍ ؛ فَقَالَ
 لِأَبِيهِ : رُوْدُنِي ؛ فَقَالَ حَرِيرٌ :

أَزَادًا سَوَى يَحْيَى تَرِيدُ وَصَاحِبًا أَلَا إِنَّ يَحْيَى نَمَّ زَادَ السَّافِرِ
 فَاتُّكِرُ الْكُومَاءَ مُضْرِبَةً سَيْفِي إِذَا أَرْمَلُوا أَوْ خَفَّ مَا فِي الْفَرَاثِرِ

وَزَادَ فِي الدِّيْوَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ :

حَتَّى تَدَارِكَهُمْ أَغْرٌ تَمِيدُ فَمَا هُمْ إِلَّا الْكَرِيمَ يَمَاتُ

الحارث بن حمزة القيث الذي يحس العراق إلى قرى تيمران^(١)
 ودة الأزدائق لو يصاب بطمعة ويموت من فرسائهم مائتان
 قال أبو العباس : وخرج مصعب إلى الحجيرة ، ثم أتى الخوارج خبر مفقده بمسكن ،
 ولم يأت المهلب وأصحابه ، فتوافوا يوماً برأسهم مزم على الخندق ، فناداهم الخوارج : ماتقولون
 في مصعب ؟ قالوا : إمام هدى ، قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : ضالّ مضلّ ، فلما
 كان بعد يومين أتى المهلب قتل للمصعب ؛ وأن أهل العراق قد اجتمعوا على عبد الملك ، وورد
 عليه كتاب عبد الملك بولايته ؛ فضايقوا فناداهم الخوارج : ماتقولون في للمصعب ؟ قالوا :
 لا نخبركم ، قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : إمام هدى ، قالوا : يا أجداء الله ، بالأمس
 ضالّ مضلّ ، واليوم إمام هدى ! يا عبيد الدنيا عليكم لعنة الله !

وروى أبو الفرج الأصفهاني في كتاب^(٢) الأغاني الكبير ، قال :^(٣) كان
 الشراة والسلمون في حرب المهلب وقطرى جواققون ويتساءلون بينهم من أمر الدين
 وغير ذلك ، على أمان وسكون ، لا يهيج بعضهم بعضاً ، فتواقف يوماً عبيدة بن هلال
 البشكري ، وأبو حُرابة^(٤) النخعي ، ضالّ عبيدة : يا أبا حُرابة ، إني أسألك عن أشياء ،
 أفتصدّقني عنها في الجواب ؟ قال : نعم ، إن ضمنت لي مثل ذلك ، قال : قد فعلت ، قال :
 فسَلْ منّا بذلك ، قال : ماتقولون في أئمتكم ؟ قال : يبيعون الدم الحرام ، قال : ويحك !
 فكيف فعلهم في المال ؟ قال : يحبونه من غير حيلة ، ويُنْفِقونه في غير وجهه ، قال :
 فكيف فعلهم في اليتيم ؟ قال : يظلمونه ماله ، ويمنونه حقه ، ويُنْهَكُون أمه ، قال : ويحك
 يا أبا حُرابة ! أمثل هؤلاء تنبّع ! قال : قد أجبتك ، فاسمع سؤالي ، ودع حثابي على رأيي ،

(١) الديوان : « إلى قرى كرمات » .

(٢) الأغاني ٦ : ١٤٩ وما بعدها (طبعة النجف) .

(٣) هو الوليد بن حبيبة أحد شعراء الدولة الأموية .

قال : حل ، قال : أيّ الخمر أطيب ، خمر التسهيل أم خمر الجبل ؟ قال : وبمحك ! أمثلي يسأل عن هذا ! قال : قد أوجبت على نفسك أن تحب ، قال : أما إذ آيت ؟ فإن خمر الجبل أقوى وأسكر ، وخمر التسهيل أحسن وأسلم ، قال : فأى الزواني أفقر ؟ أزواني رأمهرمز ، أم زواني أرجان ؟ قال : وبمحك ! إن مثلي لا يسأل عن هذا ، قال : لا بدّ من الجواب أو تفدير .

قال : أما إذ آيت فوزاني رأمهرمز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرجان أحسن أبداناً . قال : فأى الرحلين أشعر ، جرير أم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ، قال : لا بدّ أن تحب ، قال : أيّهما القدي بقول :

وطوى الطراد مع القياد بطوها على التّجار بحضرموت رودا
قال : جرير ، قال : فهو أشعرهما .

قال أبو العرج : وقد كان للناس تهادوا في أمر جرير والفرزدق في عكر اللهب ؛ حتى تواتبوا ، وصاروا إليه محكّمين في ذلك ، قال : أنريدون أن أحكم بين هذين الكلبيين التّهارشين ، فيضفاني أيا كنت لأحكم بينهما ، ولكني أدلكم على من يحكم بينهما ، ثم يهون عليه سيابهما ، عليكم بالشّراء ، فاسألوه إذا توافقتهم ؛ فلما توافقتوا سأل أبو خزابة عبيدة بن هلال عن ذلك ، فأجابه بهذا الجواب .

•••

وروى أبو الفرج أن^(١) امرأة من الغوارج كانت مع قطريّ بن القجاجة ، يقال لها م حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم بالدين تمسكاً ، وخطبها

(١) الأغاني ٦ : ١٥٠ (طبعة النّار) .

جماعة منهم فردتهم ولم تجبهم ؛ فأخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس وترجز ، فتقول :

أَحْمِلُ رَأْسًا قَدْ سَيِّئَتْ حَمْلَهُ وَقَدْ مَلِيتُ دَعْنَهُ وَغَسَلَهُ
• أَلَا فَنَى يَحْمِلُ عَنِّي ثِقْلَهُ •

والخوارج يخذونها بالآباء والأمهات ؛ فإرأينا قبلها ولا بعدها مثلها .

• • •

وروى أبو الفرج^(١) ، قال : كان عبدة بن هلال ، إذا تكافأ الناس ناداهم : ليخرج إلى بعضكم ؛ فيخرج إليه فتيان من عسكر المهلب ؛ فيقول لهم : أيتما أحب إليكم ؟ أقرأ عليكم القرآن أم أنشدكم الشعر ؟ فيقولون له : أما القرآن فقد عرفناه مثل معرفتك ؛ ولكن تنشدنا ، فيقول : بآفة ؛ فدواقه علمت أنكم تختارون الشعر على القرآن ثم لا يزال ينشدكم ويستنشدكم حتى يملأوا ويخرقوا .

• • •

قال أبو العباس^(٢) : وولى خالد بن عبد الله بن أسيد تقدم فدخل البصرة ، فأراد حمل المهلب ، فأشير عليه بالآلة يفعل ؛ وقيل له : إنا آمن [أهل]^(٣) هذا للصبر ؛ لأن المهلب بالأهواز وهر بن عبيد الله بخارس ؛ فقد نصحى هر ، وإن نحييت للمهلب لم تأمن على البصرة . فأبى إلا عزله ، فقدم للمهلب البصرة ، وخرج خالد إلى الأهواز ؛ فاستصعبه^(٤) ، فلما صار بكرج ديار لقيه قطري ، فنهض حذو أمته ، وحاربه ثلاثين يوما . ثم أقام قطري بإزائه ، وخندق على نفسه ، فقال للمهلب عليه السلام : إن قطرياً ليس

(١) الأغاني ٦ : ١٥١ (طعة الفار)

(٢) الكامل ٦٥٤ (طعة أوربا) .

(٣) من الكامل .

(٤) الكامل : فاستصعبه .

باحق بالخلدق منك ، فعبر دُجَيْلا إلى شق نهر تيرى ، واتبعه قطرى فصار إلى مدينة
هر تيرى ، فبنى سورها ، وخذق عليها ، فقال للمهلب خالد : خندق على نفسك ، فإني
لآمنُ اليك ، فقال : يا أبا سعيد ، الأمر أجهل من ذلك ، فقال للمهلب لبعض ولده :
أتى أرمى أمراً ضائعاً ، ثم قال لزياد بن عمرو : خندق علينا ، نخندق المهلب على نفسه^(١) ،
وأمر بسفنه ففترغت ، وأبى خالسان بفرغ سفنه ، فقال للمهلب فيروز حصين : سير معنا ؛
فقال : يا أبا سعيد ، إن الحزم مانقول ، غير أنى أكره أن أفارق أصحابي ، قال : فكن
بقرتنا ، قال : أما هذه فنعلم .

وقد كان عهد الملك يكتب إلى بشر بن مروان يأمره أن يمدّ خالداً بميش كثيف ،
أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث : فقبل ، فقدم عليه عبد الرحمن ، فأقام قطرى
بسادتهم القتال ويروهم أربعين يوماً ؛ فقال المهلب لمولى أبي عينة : سير^(٢) إلى ذلك
الناس ، فبث عليه كل ليلة ، فبقي أحسن خيراً ففجّارح ، أو حركة أو سهيل خيل ،
فانجمل إلينا .

فجاءه ليلة ، فقال : قد محرك القوم ، فجاس للمهلب بباب الخلدق ، وأعد قطرى
سفناً فيها حطب وأشعلها ناراً ، وأرسلها على سفن خالد ، وخرج في أدبارها حتى
حاط بهم ، لا يمر رجل إلا قتله ، ولا بدابة إلا عقرها ، ولا بسطاط إلا هتكه ؛
فأمر المهلب يزيد ابنه ، فخرج في مائة فارس . فقاتل ، وأبلى عبد الرحمن بن محمد
ابن الأشعث يومئذ بلاء حسناً ، وخرج فيروز حصين في مواليه ؛ فلم يزل يرميهم بالنشاب
هو ومن معه ، فأثر أثراً جليلاً ، وصريح يزيد بن المهلب يومئذ ، وصريح عبد الرحمن
ابن محمد بن الأشعث ؛ فغاص عنها أصحابها حتى ركبا ، وسقط فيروز حصين في

(١) كذا في الأصول ، وهي ساطعة من الكامل .

(٢) كذا في ب ، وى ج : « عد » ، وى الكامل : « اغيب » ، أى سر إليه منفرداً . والناس

في الأصل : مقابر النصارى .

الخلق ، فأخذ يده رجل من الأرء ؛ فاستنقذه ؛ فذهب له فيروز عشرة آلاف ، وأصبح
 هسكر خالد كأنه حرة سوداء^(١) ، فجعل لا يرى إلا قتيلا أو جريحا ؛ فقال للمهلب :
 وأبا سعيد ، كدنا نفتضح ا فقال : خندق على نفسك ؛ فإن لم تفعل عادوا إليك ، فقال :
 اكفنى أمر الخندق ، فجمع له الأحاس^(٢) فلم يبق شريف إلا عمل فيه ، فصاح بهم
 الخوارج : والله لولا هذا الساحر المروتي ، لكان الله قد دمر عليكم . وكانت الخوارج
 تسمى المهلب الساحر . لأنهم كانوا يدبرون الأمر فيوجدون للمهلب قد سبق
 إلى نقص تدبيرهم .

وقال أحشى محمدان لابن الأشعث ، بذكره بلاء القسطنطينية عنده ؛ في كلمة طويلة^(٣) :

وَيَوْمَ أَهْوَاكَ لَا تَنْتَهُ لَيْسَ لَنَا وَاللهُ كَرُّ بِالْبَاءِ

ثم مضى قطري إلى كرمان ؛ وانصرف خالد إلى البصرة ؛ وأقام قطري بكرممان
 شهرا ، ثم عهد لقارس ، فخرج خالد إلى الأهواز وغدب الناس للرحيل ؛ فجلسوا يطلبون
 للمهلب ، فقال خالد : ذهب للمهلب بحظ هذا النصر ؛ إني قد ولّيت أخى قتال الأزارقة .
 فولى أخاه عبد العزيز ، واستخلف للمهلب على الأهواز في ثلاثمائة ؛ ومضى عبد العزيز
 والخوارج يدرا بجرد وهو في ثلاثين ألفا ، فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : يزعم أهل
 البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب ؛ سيعلمون !

قال صقب^(٤) بن يزيد : فلما خرج عبد العزيز من الأهواز ، جاءني كزدوس ،

(١) المرة : أرس ذات حجارة سوداء نخرة ؛ كأنها أحرقت بالنار .

(٢) الأحاس : هم جند البصرة .

(٣) ديوان الأشعث ٢٤ ؛ ومطلبها :

هَلْ تَعْرِفُ اللهُ أَرْغَفَ رَمْمِهَا بِالْحَضِرِ قَارُوسَةَ مِنْ أَمْدِ

دَلَّ نَطَوْدٍ طَفَلَةٍ رُوَادَةٍ بَانَتْ فَأَمْسَى حَبْثًا عَامِدِي

(٤) الكامل : « صب بن زيد » .

حاجب للهلب ، فدعاني ، فجئت إلى الهلب وهو في سطح ، وعليه ثياب هرّوية ، فقال :
 يا منقعب ؛ أنا ضائع كأي أنظر إلى هزيمة عبد العزيز ، وأخشى أن توافيني الأزارقة
 ولا جند معي ، فابست رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا إلى به ، فوجهت رجلا من
 قبلي يقال يقال له عمران بن فلان ؛ وقلت له : اصحب مسكر عبد العزيز ، واكتب إلى
 بخير يوم فيوم ؛ فجملت أوردته على الهلب ، فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة ، فقال له
 الناس : هذا منزل ، فينبغي أن تنزل فيه أيها الأمير ؛ حتى نطمئن ثم نأخذ أهبتنا ،
 فقال : كلاً ، الأمر قريب ؛ فنزل الناس من غير أمره ، فلم يستقم النزول ؛ حتى ورد عليه
 سعد الطلائع في خمسمائة فارس ؛ كأنهم خبط بمردود ، فهاضهم عبد العزيز فواقضوه
 ساعة ، ثم انهزموا عنه مكيدة ، واتسمهم فقال له الناس : لا تبهمهم ؛ فإننا على غير نصية ،
 فأبى ؛ فلم يزل في آثارهم حتى اتحصوا عتبة ، فاتحصوا وراءهم والناس ينهوتونه ويأبى ،
 وكان قد جعل على بني تميم عيسى بن مطلق الصريمي الملقب حبش الطمان ، وعلى بكر بن
 وائل مقاتل بن مسمع ، وعلى شُرطته رجلا من بني ضبيعة بن ربيعة بن زرار . فزلوا من
 العقبة ، وزل خلفهم و [كان]^(١) لم في بطن العقبة كمين ، فلما صاروا من ورائها ؛ خرج
 عليهم الكمين ، وحطف سعد الطلائع ، فترجل عيسى بن مطلق ، فقتل وقتل مقاتل بن
 مسمع ، وقتل الضبيعي ، صاحب شُرطة عبد العزيز ، وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارج
 فرسخين يقتلونهم كيف شاموا ، وكان عبد العزيز قد أخرج معه أم حنص بنت اللذر
 ابن الجارود امراته ، فسبوا النساء يومئذ ، وأخذوا أسارى لا تحصى ، فقتلوا في غار
 بعد أن شدّوهم وثاقا ، ثم شدّوا عليهم بأبه ، حتى ماتوا فيه .

وقال بعض من حضر ذلك اليوم : رأيت عبد العزيز ، وإن ثلاثين رجلا ليضربوه

بسيوفهم ؛ فأتحميك في جنبه^(١) ، ونودي على السبي يومئذ ، فنولي بأم حنص ، فبلغ
 بها رجل سبعين ألفا ، وكان ذلك الرجل من محوس كانوا أسلموا ، ولحقوا بالخوارج ،
 فترضوا لكل رجل منهم خمائة ، فكاد ذلك الرجل يأخذ أم حنص ، فشق ذلك
 على قطري ، وقال : ما ينسني لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ؛ إن هذه لفتنه
 فوثب عليها أبو الحديد المبدئي قتلها ؛ فأتي به قطري ، فقال : منهم^(٢) يا أبا الحديد !
 فقال : يا أمير المؤمنين ؛ رأيت المؤمنين ترايدوا في هذه للشركة فغشيت عليهم الفتنة ،
 فقال قطري : أحسنت ، فقال رجل من الخوارج :

كفانا فتنه عظمت وجئت بحمد الله سيف أبي الحديد

أهلب المسلمون بها وقالوا على قرط الهوى هل من مزيد^(٣)

فزاد أبو الحديد بنصل سيف رقيب كلد فسل فتى رشيد

وكان الصلاء بن مطرف السدي ابن عم عمرو القنا ، وكان يحب أن يلقاه في

صدر مبارزة^(٤) ، فلقاه عمرو القنا يومئذ ؛ وهو مهزم ، فضحك منه وقال متملا :

تغناي إلتقاني لتقيط^(٥) أمام لك ابن صمصمة بن صدير

ثم صاح به : اهج يا أبا الصدي^(٦) ، وكان الصلاء بن مطرف قد حل معه امرأتين :

(١) قال اللرد : « يقال : ما أملك به السيف ، وما يحبك فيه ؛ وما حك ذا الأمر في صدري ، وما
 حكي في صدري ، وما احكي في صدري . » ويقال : حاك الرجل في شئته يحبك إذا يخطر . »

(٢) منهم : حرف استنهام ، معناه : ما الخبر ؟ وما الأمر ؟ فهو دال على ذلك مخوف الخبر .

(٣) أهلب به : أعلن .

(٤) الكامل : « في تلعب الحروب مبارزة » .

(٥) البيت من شرح سيويه ١ : ٣٢٩ ، في باب المادي ، ونسبه لفرخ بن الأحوس ، ونسبه للبرقي
 الكامل إلى يزيد بن الصمق وفي شرح الشواهد للأعلم : « الشاهد في قوله : « لك » : « والحق :
 يا أبا هريرة ، دعاني لك ، والحق معنى التعجب ؛ كما تقول : « لك فرسا ! » أي بأهنا دعاني لك من فرس ؛
 أي أعجب لك في هذه الحال وكان لقيط بن زائدة التميمي قد تواعد الأحوس أبا شرح الكلبي ،
 وتعي أن يلقاه فيقتله ؛ فقال هذا متعجبا لقومه من بني عامر من تميمه لفته وتوعده له وأراد عامر
 ابن صمصمة فرخم . »

(٦) هي كنية عمرو القنا .

إحداهما من بنى ضَبَّة ، يقال لها أم جميل ، والأخرى بنت عمه ؛ يقال لها فلانة بنت
عَقِيل فطلق الضَّبَّة ، وحملها أولا ، وتخلص بابنة عمه ، فقال في ذلك :

أَلَسْتُ كَرِيماً إِذْ أَقُولُ لِفَتَيْتِي قِفُوا فَاحْلُوهَا قَبْلَ بِنْتِ عَقِيلٍ
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ عُوْدِي نَصَاراً لَأَصْبَحْتُ نَجْرَةً عَلَى الْمَتْنَيْنِ أُمِّ جَمِيلٍ^(١)

قال الصنم بن يزيد : وعشني المهلب لأنه بالخبر ، فصررت إلى قنطرة أربك^(٢)
على فرس اشترينته بثلاثة آلاف درهم ؛ فلم أحسن خبراً ، فصررت مهجراً^(٣) إلى أن
أمسيت ؛ فلما أمسينا وأظلمنا ، سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم ، فقلت : ما وراءك ؟
قال : الشر ، قلت : فأين عبد العزيز ؟ قال : أمامك ، فلما كان آخر الليل ، إذا أنا بزُهاء
خمين فارساً معهم لواء ، فقلت : لواء من هذا ؟ قالوا : لواء عبد العزيز ، فتقدمت إليه ،
فسلمت عليه ، وقلت : أصليح الله الأمير ؟ لا يكبرن عليك ما كان ، فإنك كنت في
شر رجند وأحبته ، قال لي : أو كنت معنا ؟ قلت : لا ، ولكن كأني شاهد أمرك ، ثم
أقبلت إلى المهلب وتركته ، فقال لي : ما وراءك ؟ قلت : ما يترك ، هزم الرجل وقُلَّ
جيشه ، فقال : وتحمك ! وما يسرني من هزيمة رجل من قريش وقُلَّ جيش من المسلمين !
قلت : قد كان ذلك ، ساءك أو سرك ، فوجه رجلاً إلى خالد يخبره بسلامة أخيه . قال
الرجل : فلما عبرت خالداً ، قال : كذبت ولؤمت ، ودخل رجل من قريش فكذبني ،
فقال لي خالد : والله لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقلت : أصليح الله الأمير ! إن كنت
كاذباً فاقطنني ، وإن كنت صادقاً فأعطني مطرف هذا التكلم ، فقال خالد : لبس ما أخطرت
به دَمَك ! فما يرحت حتى دخل عليه بعض الفلّ ، وقدم عبد العزيز سوق الأهواز ،
فأكرمه للمهلب وكساه ، وقدم معه على خالد ، واستخلف للمهلب ابنته حبيبا ، وقال ه :

(١) الكامل : « نجر على المتنين »

(٢) أربك : قرية بمحوزستان .

(٣) مهجراً : وقت المجاعة .

مجنس الأخبار ، فإن أحسست بخيل الأزارقة قريباً منك فانصرف إلى البصرة على
نهر تيرسى . فلما أحس حبيب بهم ، دخل البصرة وأعلم خالداً بدخوله ، فغضب وخاف
حبيب منه ، فاستتر في بني عامر بن صعصعة ، وتزوج هناك في استتاره الهلالية ، وهي أم
ابنه عباد بن حبيب . وقال الشاعر نبالد يغيل^(١) رأيه :

بمَثَّ غلاماً من قريش فَرَوَقَةً وتركُ ذا الرأي الأصيل للهلبي^(٢)
أبى الذَّمَّ واختارَ الوفاً وحَكِمَت قراءُ ، وَقَدْ سَاسَ الْأُمُورَ وَجَرَّبا
وقال الحارث بن خالد المخزومي :

فَرَّ عَبدُ العَزيز إِذْ رَأَى عِيسَى وابنَ داودَ نازلاً قَطَرِيّاً^(٣)
عَاهَدَ اللهَ إِن تَجَا يَلْمَنَاهَا لَيَمُودَنَّ بِسَدِّهَا حُرُمِيّاً^(٤)
يَسْكُنُ الخُلَّ^(٥) وَالصَّفاحَ فُورِيساً مِرْكَراً وَتَرَةً تَجْدِيَا
حَمَّثُ لَا يَشْهَدُ القِتَالُ وَلَا يَسْمَعُ بَوْمًا لَكُرٍّ خَيْلٍ دَوِيَا
وكتب خالد إلى عبد الملك بمذِّر عبد العزيز ، وقال للهلبي : ما ترى أمير المؤمنين
صاحباً بي ؟ قال : يمزلك ، قال : أترأه قطعاً رحي ! قال : نعم ، قد أنته هزيمة أمية
أخيك^(٦) ففعل - بمعنى هرب أمية من سيعفان - فكتب عبد الملك إلى خالد :

(١) يغيل رأيه : يحسك .

(٢) الفروقة : شديد القزع .

(٣) في الكامل :

فَرَّ عَبدُ العَزيز لما رَأَى الأَبطالَ في السُّفحِ نازِلُوا قَطَرِيّاً

(٤) قال البرد : العرب تنسب الحرم فيقولون : حريمي وحريمي .

(٥) الخُلَّ والصَّفاح وغورين مواضع ، ورواية البت في الكامل :

يَسْكُنُ الخُلَّ وَالصَّفاحَ فُرا نَّ وَسَفحاً وَتارَةً نَحْديا

(٦) عبارة الكامل : « أنته هزيمة أمية أخيك من الحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من

أما بعد ؛ فإن كنت حذّدت لك حدّا في [أمر] ^(١) للمهلب ؛ فلما ملكت أمرك ،
نبذت طاعتي وراءك ، واستبدّدت برأيك ؛ فوليت للمهلب الجباية ، ووليت أخاك
حرب الأزارقة ؛ ففتح الله هذا رأيا ! أنهمت غلاما غيرا لم يجرّب الأمور والحروب للحرب ؛
وترك سيّدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب فتّيج ^(٢) ؛ غشنته بالجباية ؛ أما لو كافأناك
على قدر ذنبك لأنّاك من تكبري مالا بقيّة لك معها ؛ ولكن تذكّرت ربحك فكفّفتني
عنك ؛ وقد جعلت عقوبتك عزّلك . والسلام .

قال : وولى بشر بن مروان الإمارة وهو بالكوفة ؛ وكتب إليه :

أما بعد ؛ فإنك أخو أمير المؤمنين ؛ يحضّك وإياه مروان بن الحكم ؛ وإن خالفا
لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية ، فاطهر المهلب بن أبي صفرة ، فوله حرب الأزارقة ؛
فإنه سيّد بطل مجرّب ، وامتدّه من أهل الكوفة بنهاية آلاف رجل ؛ والسلام .
فشقّ على بشر ما أمره به في المهلب ؛ وقال : والله لأقتلنّه ، فقال له موسى بن نصير :
أيها الأمير ؛ إن للمهلب حقاظا ووقا . وبلاء .

وخرج بشر بن مروان يريد البصرة ؛ فكتب موسى بن نصير وعكرمة بن ربيعة
إلى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به ؛ فتلقاه للمهلب على بعلي ، وسلم عليه في عمار ^(٤)
الناس ؛ فلما جلس بشر مجلسه ، قال : ما فعل أميركم المهلب ؟ قالوا : قد تلقاك أيها الأمير ،
وهو شاك .

فهمّ بشر أن يولّي حرب الأزارقة عمر بن عبد الله بن متمر ؛ وشدّ عزّمه أسماء

(١) من الكامل .

(٢) ج : « فاستبدّدت » .

(٣) ملج : ظفر واتصر .

(٤) عمار ، بكسر العين ؛ جمع عمرة ؛ والعمرة : أردحم . وفي الكامل : « عمار الناس » ، وعمار
الناس كثرتهم وزخمتهم وجاعتهم .

ابن خزيمة ، وقال له : إنما ولاءك للأمير المؤمنين لدرى رأيك ؛ فقال له يحكرمة بن ربیع :
اكتب إلى أمير المؤمنين فأعلمه علة المهلب ، فكتب إليه بذلك ، وأن بالبصرة من ينق
فناءه ، ووجه بالكتاب مع وفد أوفدم إليه ، رئيسهم عبد الله بن حكيم الجعاشي .
فلما قرأ عبد الملك الكتاب خلا ببدر الله ، فقال له : إن لك ديناً ورأيًا وحرماً ، فمن
لقتال هؤلاء الأزارقة ؟ قال : للمهلب ؛ قال : إنه عليل ، قال : ليست علقته بمائة ^(١) ،
فقال عبد الملك : لقد أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد ؛ فكتب إليه يعزم عليه أن يولى
المهلب الحرب ، فوجه إليه ، فقال : أنا عليل ، ولا يمكنى الاختلاف ؛ فأمر بشر بحمل
الدواوين إليه ؛ فجعل ينتخب ، فعزم عليه بشر بالتفروج ؛ فانتزع أكثر نخبته ، ثم هزم
عليه ألا بقي بعد ثلاثة ، وقد أخذت الحوارج الأهوار وخلقوها وراء ظهورهم ؛ وصاروا
بالفرات ، فخرج المهلب حتى صار إلى كهلوان ^(٢) ؛ فأتاه شيخ من بني تميم ، فقال :
أصلح الله الأمير ! إن سئ ما ترى ، فهني كعبال ، فقال ^(٣) : هل أن تقول للأمير إذا خطب
لجيشكم على الجهاد : كيف نحمي على الجهاد ؛ وأنت تخبس عنه أشرافنا ، وأهل النجدة
منا ؟ ففعل الشيخ ذلك ؛ فقال له بشر : وما أنت وذاك ؟ ثم أعطى المهلب رجلاً ألف
درهم ، على أن يأتي بشرًا فيقول له : أيها الأمير ، أعين ^(٤) المهلب بالشرطة والمقاتلة ؛ ففعل
الرجل ذلك ؛ فقال له بشر : وما أنت وذاك ؟ فقال : نصيحة حصرتني للأمير وللسلمين ؛
ولا أعود إلى مثلها ، فأمدت بشر بالشرطة والمقاتلة ، وكتب إلى خليفته على الكوفة أن
يسعد لعبد الرحمن بن عفيف على ثمانية آلاف ، من كل رُئع ألفين ، ويوجه بهم
مددًا للمهلب .

(١) الكامل : د عاصه .

(٢) ساقطة من ح .

(٣) ب : و أعين .

فلما أتاه الكتاب ، بعث إلى عبد الرحمن بن عفيف الأزدي بقصد ^(١) له ، واختار من كل رُبْع ألفين ، فكان على رُبْع أهل المدينة بشر بن جبرير بن عبد الله البجلي ، وعلى رُبْع تميم وحمدان محمد بن عبد الرحمن بن سميد بن قيس الهمداني ، وعلى رُبْع كِنْدَةَ محمد ابن إسحاق بن الأشعث بن قيس الكندي ، وعلى رُبْع مَذْحِجٍ وأسد زحر بن قيس اللذحي ، تقدموا على بشر بن مروان ، فلما بعث عبد الرحمن بن عفيف ، وقال له : قد هرفت رأيي فيك ، وتمعنت بك ، فكن عند ظني بك ، وانظر إلى هذا اللزوي ، يخالفه في أمره ، وأفيد عليه رأيه .

فخرج عبد الرحمن ، وهو يقول : ما أحب ما طلب ^(٢) متى هذا العلم ! يأمرني أن أصبر شأن ^(٣) شيخ من مشايخ أهل ، وسيد من ساداتهم ! فليحق بالهلب . فلما أحس الأزارقة بدنو للهلب منهم أبكشفوا عن العورات ، فأتهم للهلب إلى سوق الأهواز ، ففنام عنها ، ثم أتهم إلى رَامَهْرُمَز فهزمهم عنها ، فدخلوا فارس ، وأبلى يزيد ابنه في وقائمه هذه بلاء شديدا ، تقدم فيه وهو ابن إحدى وعشرين سنة .

فلما صار القوم إلى فارس ، وجه إليهم ابنه للصبرة ، فقال له عبد الرحمن بن صالح : أيها الأمير ، إنه ليس لك رأي قتل هذه الأكلب ، ولئن وافقه قتلهم لتتدن في بيتك ، ولكن طاولهم ، وكل بهم . فقال : ليس هذا من الوفاء ، فلم يلبث برَامَهْرُمَز إلا شهرا ، حتى أتاه موت بشر بن مروان .

فاضطرب الجند على ابن عفيف ، فوجه إلى إسحاق بن الأشعث وابن زحر ، فاصطفيا ألا يبرحا ، فلما لم يبق ، وجعل الجند من أهل الكوفة يتسلطون حتى اجتمعوا

(١) الكامل : « بقصد » .

(٢) كنداني ، ج ، ول الكامل ، و ب : « طبع » .

(٣) ج : « رأي » .

بِسُوقِ الْأَهْوَازِ ، وَأَرَادَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ الْانْسِلَالَ مِنَ الْمُهَلَّبِ ، نَظَبِهِمْ قَالُوا : إِنَّكُمْ لَيْسَتْ
كَأَهْلُ الْكُوفَةِ ، إِمَّا تَدْبُونَ عَنْ مِصْرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَحَرَاسِكُمْ .
فَأَقَامَ مِنْهُمْ قَوْمٌ ، وَنَسَلُ مِنْهُمْ قَوْمٌ كَثِيرٌ .

وَكَانَ حَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ خَلِيفَةَ بَشَرَ بْنِ مَرْوَانَ ، فَوَجَّهَ مَوْلَى لَهُ بِكِتَابٍ مِنْهُ إِلَى مَنْ
بِالْأَهْوَازِ ، يَخْلَفُ بِاللَّهِ بِجَهْدِنَا ؛ لَئِنْ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَى مِرَاكِزِهِمْ ، وَانْصَرَفُوا عَصَاةَ لَا يَنْظُرُ بِأَحَدٍ
إِلَّا قَتَلَهُ . فَجَاءَهُمْ مَوْلَاهُ ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ ، وَلَا يَرَى فِي وَجُوهِهِمْ قَبُولًا ، قَالُوا :
إِنِّي أَرَى وَجُوهًا مَا الْقَبُولُ مِنْ شَأْنِهَا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ زَعْرٍ : أَيُّهَا السِّيدُ ، اقْرَأْ مَا فِي الْكِتَابِ ،
وَانْصَرَفْ إِلَى صَاحِبِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا فِي أَنْفُسِنَا . وَجَلُّوا يَسْتَعِثُّونَهُ بِقِرَاءَتِهِ ، ثُمَّ قَصَدُوا
قَصْدَ الْكُوفَةِ ، فَزَلُّوا الدُّخَانَةَ ، وَكَتَبُوا إِلَى خَلِيفَةِ بَشَرَ بِسَأْلِهِ أَنْ يَأْذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ
الْكُوفَةِ ، فَأَبَى ، فَدَخَلُوهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ .

قَلَمَ يَزِلُ الْمُهَلَّبُ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوَائِدِهِ وَأَمِنْ يَخْتَفِ عَنِ حُدُودِ قَلِيلٍ ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَلِيَ
الْحِجَابُ الْعِرَاقَ .

فَدَخَلَ الْكُوفَةَ قَبْلَ الْبَصْرَةِ ؛ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ ؛ نَظَبِهِمْ انْطَلَبَ لِلشَّهْرَةِ ^(١) ،
وَسَهَّدَهُمْ ؛ ثُمَّ نَزَلَ قَالُوا لَوُجُوهَ أَهْلِهَا : مَا كَانَتْ الْوَلَاةُ تَفْعَلُ بِالْعَصَاةِ ؟ قَالُوا : كَانَتْ
تَضْرِبُ وَتَحْبَسُ ، فَقَالَ : وَلَكِنْ لَيْسَ لِي عَسَدِي إِلَّا السِّيفُ ؛ إِنْ لَلَسْلِينَ لَوْ لَمْ يَفْزُوا
لِلْمُشْرِكِينَ لَفَزَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، وَلَوْ سَاغَتْ لِلْعَصِيَةِ لِأَهْلِهَا ، مَا قُوتِلَ عَدُوٌّ ، وَلَا جُيِيَ قَتْلٌ ،
وَلَا هَزَّ دِينَ .

ثُمَّ جَلَسَ لِتَوْجِيهِ النَّاسِ ، فَقَالَ : قَدْ اجْتَلَيْتُمْ ثَلَاثًا ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَا يَخْلَفُ أَحَدٌ مِنْ

(١) فِي السَّكَاكِلِ : « وَهَذَا ذِكْرُنَا الْمَخْطُوبَةَ مَعْدَمًا » ؛ وَهِيَ فِي السَّكَاكِلِ ٢١٧ (طَبْعَةُ أَوْرُشَا) .

أصحاب ابن مخنف بعدها إلا قتلته . ثم قال لصاحب حرّسه ولصاحب شرطته ^(١) : إذا مضت ثلاثة أيام ، فاشحذا ^(٢) سيوفكما ^(٣) فجاءه عمير بن ضاري ^(٤) [البرجمي] ^(٥) بابه فقال : أصلح الله الأمير ! إن هذا أفع لك مني ؛ وهو أشدّ بني نعيم أبداً ^(٦) ، وأجدهم سلاحاً ، وأرطهم جاشاً ؛ وأنا شيخ كبير عليل ؛ واستشهد [جلساءه] ^(٧) ؛ فقال له الحجاج : إن عذرك لو اوضح ، وإن ضمنتك لبيّن ؛ ولست أكره أن يجرى بك الناس على ؛ وبعد ، فأنت ابن ضاري صاحب عمان ، وأمر به فقتل ^(٨) ، فاحتمل الناس ، وإن أحدهم ليُتبع بزاده وسلاحه ، ففي ذلك بقول [عبد الله] ^(٩) بن الزبير الأسدي ^(١٠) :

أقول لعبد الله يوم لقيناه أرى الأمر أمسى منصيباً منشعباً ^(١١)

(١) الكامل : شرطته .

(٢) الكامل : فاشحذا .

(٣-٣) ورواية أخرى للمرد ٢١٧ . فومض الناس أعطيتهم ؛ لحلوا بأحذرون ، حتى أتاه شيخ برّش كرا ؛ فقال : أيها الأمير ؛ إنهم على الضعف على ما ترى ، ولي ابن هو أقوى على الأسفار مني ؛ فقلت بدلا مني ؛ فقال الحجاج : فعل أيها الشيخ ؛ فلما ولي قال له لائل (هو عبد بن سعيد الأموي) : أغري من هذا أيها الأمير ؟ قال : لا ؛ قال : هذا عمير بن ضاري الذي يقول أبوه :

تممت ولم أعمل وكذت وليلاني تركت على عمان تبكي حلاله

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقلّوا ؛ فوطئ ضنه ، فسكر صلب من أسلحه فقال : ردوه ؛ فلما رد قال له الحجاج : أيها الشيخ ؛ فلا بحث إلى أمير المؤمنين عثمان بدلا يوم الدار ؛ إن في ذلك أيها الشيخ لصلاحة المسلمين ؛ يا حرسى ، اضرب عنه ؛ ففعل برحس يصبى عليه أمره فبرئحل ، ويأمر وليه أن يلحقه براده ؛ حتى ذاك يقول عبد الله بن الزبير . الأبيات وأطرب الشعر والشعراء ٣١١ ، وطفات الشعراء لابن سلام ١٤٥ .

(٤) من الكامل .

(٥) الكامل : أيدي .

(٦) قل الرصوى في رغبة الأول : ٢٢٠ ؛ أنه في هذه الأبيات يحاطب إبراهيم بن عامر الأسدي ؛ وروى التت الأول :

أقول لإبراهيم لسا لقيته أرى الأمر أضحي منصيباً منشعباً

ودكر بعده :

تمهر وأسرع فالخو الجيش لا أرى سوى الجيش إلا في الممالك مذهباً
فما إن أرى الحجاج فيمدّ سيفه مدى الدهر حتى يترك الطفل أشيباً

(٧) مصاب : مصيباً مجهداً .

تَجَمَّزَ فَلَمَّا أَنْ تَزُورَ ابْنَ ضَايٍ مُعْبِراً ، وَإِنَّا أَنْ تَرُودَ الْمُهَلْبَا
هَما خُطَّتَا خَسْفٍ تَجَاوُكُ مَسْهَما رُكُوبُكَ حَوْلِيَا مِنْ التَّلَجِّ أَشْهَبَا ^(١)
فَمَا إِنْ أَرَى الْحِجَّاجَ بَعْدُ سَوْفَهُ مَدَى الدَّهْرِ حَتَّى يَتَرَكَ الطُّفْلَ أَشْبَهَا
فَأَصْحَى وَلَوْ كَانَتْ خُرَّاسَانُ دُونَهُ رَأَاهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَبَا ^(٢)

وَمَرْبَ سَوَارِ بْنِ الْمُتَرْبِ السَّعْدِيِّ مِنَ الْحِجَّاجِ ، وَقَالَ :

أَقَاتِلِي الْحِجَّاجَ إِنْ لَمْ أَذُرْ لَهُ دَرَابَ وَأَتْرَكَ هَيْدَ فُؤَادِيَا ^(٣)
فِي قَصِيدَةٍ مَشْهُورَةٍ لَهُ .

نُفِرَ النَّاسُ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَأَتَى الْحِجَّاجُ الْبَصْرَةَ ، فَكَانَ أَشَدَّ عَلَيْهِمُ الْخَافَا ،
وَقَدْ كَانَ أَتَاهُمْ خَبْرُهُ بِالْكُوفَةِ ، فَتَعَمَّلَ النَّاسُ قَبْلَ قُدُومِهِ . وَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي يَثْرَجَ ،
وَكَانَ شَيْخًا أَعْوَرَ ؛ يَجْعَلُ عَلَى عَيْنَيْهِ الْمَوَدَّاءَ صُوفًا ، فَكَانَ يُلَقَّبُ ذَا الْكُرْسُوعَةِ ، فَقَالَ :

(١) عَلِ الْمَرْصِيُّ بِهِدَهُ :

فَكَائِنْ تَرَى مِنْ مَكْرِهِ الْقَرْوِ مُدِيرًا نَحْمَ حِنَوِ السَّرِجِ حَتَّى تَحْنَبَا
وَالسِرْ : الْقَدَى لَمْ يَنْهَ ، وَنَحْمَ حِنَوِ السَّرِجِ : لَزِمَهُ ؛ حَتَّى صَارَ كَأَنَّهُ حَمِيمٌ لَهُ . وَحِنَوِ السَّرِجِ : مَا انْطَلَفَ
مِنْهُ . وَنَحْمَ : تَقَوَّسَ .

(٢) الْمَاءُ فِي « دُونَهُ » عَائِدَةٌ عَلَى الْهَلَبِ ؛ أَيْ لَوْ كَانَتْ خُرَّاسَانُ قَرِيبَةً مِنْ مَوْضِعِ عُرُودِهِ ، وَالسُّوقُ :
مَوْضِعُ حِكْمَةٍ ؛ مَوْضِعُ بَنَوَاتِحِ الْكُوفَةِ . وَأَتْرَكَ : مَدَّوْلٌ تَائِي ؛ عَلَى أَنْ « رَأَى » بِمَعْنَى « طَلَعَ » ،
وَالْقُرْسُوعُ : مَوْضِعُ الْمَوَدَّاءِ بِرِصَصِ الْبَصْرِ ، وَ« أَوْ » بِمَعْنَى « أَيْ » ؛ وَأَطْرَ الْكَامِلُ - بِشَرْحِ
الْمَرْصِيِّ ٤ : ٧٩

(٣) دَرَابٌ ؛ هِيَ دَرَا بَجَرْدٍ ؛ اقْتَصَرَ عَلَى أَحَدِ الْجَرَائِنِ : كَوْرَةُ حَارِسٍ وَرَوَى لِلْمَدَدِيِّ الْكَامِلُ ٢٨٩
(طَبَعَ أَوْرِيَا) بِهِدَهُ هَذَا الْبَيْتَ :

فَإِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ حَتَّى تَرُدِّي إِلَى قَطْرِي مَا إِخَالُكَ رَاضِيَا
إِذَا جَاوَزْتَ دَرَبَ الْحِيزِينَ نَاقِيَا فَبَاسَتْ أَبَى الْحِجَّاجِ لِمَا ثَنَانِيَا
أَبْرَجُوا بَنُو مَرْوَانَ سَمَى وَطَاعِيَا وَتَوَمَّي نَمْسِيمَ وَالْفَلَاةِ وَرَائِيَا ١

أصلح الله الأمير ! إنَّ بي فتناً ، وقد عذرتني بشر بن مروان ؛ وقد رددت العطاء ،
فقال : إنَّك عندي لصادق ؛ ثم أمر به فضربت عنقه ؛ ففى ذلك يقول كعب الأشقرى -
أو الفرزدق^(١) :

لَقَدْ ضَرَبَ الْحِجَاجُ بِالْمِصْرِ ضَرْبَةً تَقَرَّقَ مِنْهَا بَطْنُ كُلِّ عَرِيفٍ^(٢)



ويُروى عن أبي البثر^(٣) ، قال : إنَّنا لتغذى معه يوماً ، إذ جاءه رجل من بني سليم^(٤)
برجل بقوده ، فقال : أصلح الله الأمير ! إنَّ هذا عاصي ، فقال له الرجل : أشدك الله أيها
الأمير فى دى ! فوالله ما قبضتُ دبراً ناقطاً ، ولا شهدتُ عسكرياً قط ، وإنى لكأنك ،
أخذتُ من تحتِ الحف^(٥) فقال : اضربوا عنقه . فلما أحسن بالسيف سجد ، فلعقه
السيف وهو ساجد ، فأمسكنا من الأكل ، وأقبل علينا ، وقال : مالى أراكم قد صغرت
أيديكم ، واصفرت وجوهكم ، وحدت نظركم من قتل رجل واحد ! ألا إن العاصي يجمع
خلاًلاً ؛ يُحَلُّ بمركزه ، ويَمُصُّ أميره ، ويفتر كلسين ؛ وهو أجير لهم ؛ وإنما يأخذ
الأجرة لِمَا يعمل ، والوالى محير فيه ، إن شاء قتل ، وإن شاء عفا .

ثم كتب إلى المهلب :

أما بعد ، فإنَّ بشرأ استكره نفسه^(٦) عليك ، وأراك غناه^(٧) عنك ، وأنا أريك
حاجتى إليك ، فأرني الجدة فى قتال عدوك ، ومن خيفته على المصيبة بمن قبلك فاقله ،

(١) انظر ديوان الفرزدق ٢ : ٥٧٠ .

(٢) الفرار : صوت ، والعريف : السيف دون الرنيس .

(٣) كذا فى ب ، وفى ا ، ج : « من أبي السر » ، وفى الكامل : « ابن أبي ميرة » .

(٤) كذا فى ب والكامل ، وفى ا ، ج : « من بني تميم » .

(٥) الحف : القصة التى تسمى وتندب .

(٦) استكره نفسه : أدبرها على الكره منها .

(٧) أى أراك أنه فى غنى عنك .

فإني قاتل من قِبل ، ومن كان عدي من حرب عنك ؛ فأعلمني مكانه ؛ فإني أرى أن آخذ
التي بالتي ، والولي بالولي .

فكتب إليه المهلب :

ليس قِبل إلا مطيعٌ . وإن الناس إذا [خافوا العقوبة كبروا الذنب ، وإذا]^(١)
أمنوا العقوبة صغروا الذنب ؛ وإذا ينسوا من العنوا كفرهم^(٢) ذلك ؛ فهب لي هؤلاء
الذين سميتهم عصاة ؛ فإنهم فرسان أبطال ؛ أرجو أن يقتل الله بهم العدو . [ولادم على
ذبه]^(٣) .

فلما رأى المهلب كثرة الناس عنده قال : اليوم قُتِل هذا العدو .



ولما رأى ذلك قطري ، قال لأصحابه : أتهضوا بنا نريد السردن^(٤) ، فتعصن
فيها ، فقال عبيدة بن حلال : أو تأتي^(٥) سابور ، كأخذ منها ما نريد ، ونصير إلى كرمان .
فأتوا سابور ، وخرج المهلب في آثارهم فأتى أرتجان ، وخاف أن يكونوا قد تحصنوا
بالسردن . وليست بمدينة ، ولكنها جبال مُحْدَقة مديمة . فلم يصب بها أحداً ، فخرج
فمسكر بكازرون^(٦) ، واستمدوا قتاله ، فغلق على نفسه ، ووجه إلى عبد الرحمن

(١) من الكامل .

(٢) أكرم : حليم على الكرم .

(٣) من الكامل و : « نادم » مطوف على « مطيع » .

(٤) السردن : موضع ببلاد فارس وراء كازرون .

(٥) سابور : كورة بينها وبين غيراز غلة ومعرون فرسخا .

(٦) كازرون ، بتقديم الزاي : مدينة من أحص من سابور ؛ وذكر بالوث أن لها ذكرا في أخبار

المؤارج ؛ وروى لقمان بن عتبة من أصحاب المهلب :

لَيْتَ أَلْهَوَا صِنَ فِي الْخُلْدُورِ شَهْدَ نَنَّا	فَبَرَيْنَ مَنْ وَغَلَ الْكِتْبَةَ أَوْ لَا
وَقَرُّوا وَكُنَّا فِي الْوَقَارِ كَمِثْلِهِمْ	إِذْ لَيْسَ تَسْمَعُ غَيْرَ قَدَمٍ أَوْ حَلَا
رَعَلُوا فَأَيَّرَفْنَا لَهُمْ بِسُيُوفِنَا	ضَرْبًا تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ تُحْقَلِي
تَرَكَوا الْجَاهِمَ وَالرَّمَّاحَ تُجِيلُهَا	فِي كَازِرُونِ كَمَا تُجِيلُ الْخُنْظَلَا

ابن مخنف : خذني على نفسك . فوجه إليه : خادقنا سيوفنا ، فوجه للمهلب إليه : إني لا آمن عليك البيات ، فقال ابنه جعفر : ذاك أهون علينا من ضربة رجل ، فأقبل المهلب على ابنه للنزرة ، فقال : لم يصيبوا الرأي ، ولم يأخذوا بالوثيقة .

فلما أصبح القوم غادوه الحرب ، فبعث إلى ابن مخنف يستدنه ، فأمدّه بجماحة ؛ جعل عليهم ابنه جعفرا ، فجاءوا وعليهم أقبية بيض جدّد ، فألوا يومئذ حتى عرف مكانهم المهلب ، وأبلى بنوه يومئذ كبلاء الكوفيين أو أشدّ .

ثم أتى رئيس من الخوارج ، يقال له صالح بن محراق ، وهو ينتخب قوما من حلة المشرك حتى بلغ أربعمائة ، فقال لابنه للنزرة : ما أراه يُمدّ هؤلاء إلا للبيات^(١) .

وانكشفت الخوارج ، والأمر للمهلب عليهم ، وقد كثرت فيهم الجراح والقتل ، وقد كان الحجاج يتفقد الصاة ، ويوجه الرجال ، وكان يحبسهم سهارا ، ويضع الحبس ليلا ، فيستلّ الرجال إلى ناحية المهلب ، وكان الحجاج لا يعلم ، فإذا رأى أسراهم تمثل :
 إِن لَهَا لَسَاهَا عَشْرًا إِذَا وَثِنَ وَثِيَّةٌ تَفْشَرَا^(٢)



ثم كتب الحجاج إلى المهلب يستعنه :

أما بعد ، فإنه قد بلغني أنك قد أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال العدو ، وإني وليّتك^(٣) وأنا أرى مكان عهد الله بن حكيم الهاشمي . وعبد بن الحصين الخطبي ، واخترتك وأنت من أهل عُمان ، ثم رحل من الأزدي ؛ فأتهم يوم كذا في مكان كذا ، وإلا أشرعت إليك صدر الرمح .

(١) الكامل : « ما يد هؤلاء إلا للبيات » .

(٢) في الكامل : « إذا وثن وثية » ، وفيه « المشعر » . الصلب ، والتمشعر : ركوب الرأس ، والتمشعر : الجاد على ما خبت . يريد : ما جلت فيه ؛ وهم يمدحون فاعل هذا الفعل

(٣) يريد أيقنك على ولايتك .

فشاور المهلب بنه ، فقالوا : أيها الأمير ^(١) ، لا تُفِلْظ عليه في الجواب ^(٢) .
فكتب إليه :

وردَ إلى كتابك ، زعمُ أبي أُمَيْلٍ على جباية الخراج ، وتركُ قتال العدو ، ومن
تَجَرَّ عن جباية الخراج ، فهو عن قتال العدو أَمْجَز . وزعمتَ أنك وليّني ، وأنت ترى
مكانَ عبيد الله بن حكيم وعبيد بن الحصين ، ولو وليتهما لكنا مستعدين لذلك
لفضلهما وغنائهما ونطشهما وزعمتَ أنك احترتني وأما رجلٌ من الأزد ، ولعمرى إن
شرًّا من الأزد لقبيلة تنازعتهما ثلاث قبائل ، لم تستقر في واحدة منهن . وزعمتَ أني
إن لم ألقهم يوم كذا في مكان كذا أشرعت إلى صدر الرمح ، لو فعلت لقلت لك ظهر
المجن ^(٣) . والسلام .

قال : ثم كانت الوقعة بينه وبين الخوارج عتيب ^(٤) هذا الكتاب .



فلما اصرف الخوارج تلك الليلة ، قال لابنه للعبرة : إني أخاف البيات على بني تميم ،
فانهض إليهم فكن فيهم ، فأتاهم للعبرة ، فقال له الخريش بن هلال : يا أبا حاتم ،
أخاف الأمير أن يؤتى من ناحيتنا قلٌّ له : فليبت آمنا ، فإذا كافوه ما قبَلنا إن شاء الله .
فلما انتصف الليل ، وقدر حج للعبرة إلى أبيه ، سرى صالح بن غزاق في القوم الذين كان
أعدّهم للبيات إلى ناحية بني تميم ، ومعه عبيدة بن هلال ، وهو يقول :

إني كئُذٍ للشراة نازها ومانع تمن أناها دارها

• وغامِلٌ بالسيف عنها عارها •

(١ - ١) الكامل : « إنه أمير ، فلا تفلظ عليه في الجواب » .

(٢) المجن من السلاح : ما يلقى به .

فوجد بنى نعيم أيقاظاً متعارفين ، وخرج إليهم الحريش بن هلال ، وهو يقول :

وَجَدْتُمُونَا وَقُرَأَ أَنْجَادَا لَا كُشْفًا مَيْلًا وَلَا أَوْغَادَا^(١)

ثم حمل على الخوارج ، فرجعوا عنه ، فأتبعهم ثم صاح بهم : إلى أين يا كلاب النار ! فقالوا : إنما أعدت لك ولأصحابك ، فقال الحريش : كل مملوك لي حرٌّ إن لم تدخلوا النار ، ما دخلها مجوسٌ^(٢) فيما بين سقوان^(٣) وحراسان .

ثم قال بعضهم لبعض : نأى عسكر ابن مخنف ، فإنه لا حديق عليه ، وقد بعث فرسانهم اليوم مع المهلب ، وقد زعموا أنا أهونُ عليهم من صرطة جل . فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه ، إلا وقد خالطوهم في عسكرهم .

وكان ابن مخنف شريفاً ، وفيه يقول رجل من بنى هاشم لرجل يعاتبه ، ويضرب بابن مخنف المثل :

تَرَوْحُ وَتَمْدُو كُلَّ يَوْمٍ مُعْظَمًا كَأَنَّكَ فِينَا مَخْنَفٌ وَابْنُ مَخْنَفٍ

فترجل عبد الرحمن تلك الليلة بمحارهم ، حتى قتل وقتل معه سبعون رجلاً من القرناء ، فيهم نفرٌ من أصحاب علي بن أبي طالب ، ونفرٌ من أصحاب ابن مسعود . وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فعاءم مُعِينًا فقاتل حتى ارتث^(٤) ، ووجه المهلب إليهم ابنه حبيباً ، فكشفهم ، ثم جاء المهلب حتى صلّى على عبد الرحمن بن مخنف وأصحابه ، وصار جندُه في جند المهلب ، فصنّهم إلى ابنه حبيب ، فبصرهم البصريون ، وسموا جعفرًا خضفة الجبل .

(١) في الكامل : « قوله » : وحدهم وقرا ، جمع ولور ، والجند : عد البليد ؟ وهو التلبيط الذي لا كل عنده ولا نور . والأميل : فيه قولان : قلوا : الذي لا يستقر على النهاية ؛ وقلوا : الذي لا سبب معه . والأكشف : الذي لا ترس معه . والأحم : الذي لا رمح معه ، والناصر : الذي لا درع عليه . والأمزل : الذي لا يقوم على ظهر الغاية . والوعد : الضعيف . وذكر منه هذا البيت :

هَيْهَاتَ لَا تُلْفُونَنَا رُقَادَا لَا بَلْ إِذَا صَبَحَ بَنَا آسَادَا

(٢) سقوان ، بفتحين : ماء على قدر مرحلة من مريد البصرة .

(٣) الرث : الذي يحصل من الحركة جريماً وبه رمي .

وقال رجل منهم بلصفر بن عبد الرحمن بن مخنف :

تركت أصحابكم تَذَمُّيْ نُحُورَهُمْ وَجِئْتَ تَسْمِي إِلَيْنَا خَصْفَةَ الْجَلِّ^(١)

فَلَا مَ لِلْهَلْبِ^(٢) أَهْلُ الْبَصْرَةِ ، قَالَ : بَنَسَا قَلَمٌ ؛ وَلِلَّهِ سَافَرْتُمْ وَلَا جَبُّوْا ؛ وَلَكِنْهُمْ خَالِفُوا

أَمِيرَهُمْ ؛ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ فِرَارَكُمْ بِدَوْلَابِ عَنِّي ، وَفِرَارَكُمْ بِدَارِسِ^(٣) عَنْ حَمَّانِ^(٤) ؟

■ ■ ■

ووجه المحتاج البراء بن قبيصة إلى الهلب يستعفه في مناجزة القوم ، وكتب إليه : إنك

تحب بقاءهم لتأكل بهم ، فقال للهلب لأصحابه : حرِّكُوهم ، فخرج فرسان من أصحابه ،

فخرج إليهم من الخوارج جمعٌ كثير ، فاقبلوا إلى الليل : فقال لهم الخوارج : وَيْلَكُمْ أَمَا

تَمْلُكُونَ ؟ قَالُوا : لَا ، حَتَّى تَمْلُكُوا ، قَالُوا : فَمَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ ، قَالَتْ الْخَوَارِجُ : وَنَحْنُ نَحْمِ

أَيْضًا ، فَلَمَّا أَمْسَوْا افترقوا ، فَلَمَّا كَانَ الْمَدُ خَرَجَ حَشْرَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْهَلْبِ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِمْ

مِنْ الْخَوَارِجِ حَشْرَةٌ ، وَاحْتَفَرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَفِيرَةً ، وَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ فِيهَا ، كَلَّمَا قُتِلَ

رَجُلٌ جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَاجْتَزَّهَ وَقَامَ^(٥) مَكَانَهُ حَتَّى أُغْنِمُوا^(٦) ، قَالَ لَهُمُ الْخَوَارِجُ :

ارْجِعُوا ، قَالُوا : بَلْ ارْجِعُوا أَنْتُمْ ، قَالُوا لَهُمْ : وَيْلَكُمْ مَنْ أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : نَحْنُ ، قَالُوا : وَنَحْنُ

(١) في الكامل : « تركت أصحابا » ، وفيه : قوله « خصفَةَ الْجَلِّ » يريد خبطة الجمل ؛ يقال :

خَصَفَ الْبَعِيرُ ؛ وَأَنْفَضَنِي الرِّيشَ لِأَمْرَابٍ بَيْنَ رَحْلٍ وَتَحْدٍ وَلِيَّةٍ :

إِنَّا وَجَدْنَا خَلْفًا بِشَى الْخَصْفِ أَغْلَقَ حَسْبًا بِأَبَةٍ ثُمَّ حَلَفَ

لَا يَدْخُلُ الْبَوَابُ إِلَّا مِنْ حَرْفٍ عِذَا إِذَا مَا نَاءَ بِالْجُمْلِ خَصَفَ

(٢) في الكامل : « فلامهم » .

(٣) في الأصول : « يفارس » ، وما أثبت من الكامل . وفارس : موضع ذكره البكري وقال :

إِلَهُ فِي نَاحِيَةِ مِسْرَافٍ . وَمِسْرَافٌ : قَرْيَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

(٤) هو حَمَّانُ بْنُ قُلَيْبٍ بْنِ عَيْدِ اللَّهِ ؛ أَحَدُ بَنِي عَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛ وَكَانَ الْحَاجَّاجُ يَهْدِيهِ إِلَى شَيْبٍ ؛ فَانْهَرَمَ

أَصْحَابُهُ عَنْهُ ، وَفَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

(٥) الكامل : « ووقف » .

(٦) أُغْنِمُوا : سَارُوا فِي الْعَتَمَةِ ، وَمِنْ ثَلَاثِ الْبَلِّ الْأَوَّلِ بَعْدَ مَعْبِيبِ التَّنْقِ .

تيم أيضاً : فرجع البراء بن قبيصة إلى الحجاج فقال له : منهم ؟^(١) قال : رأيت أيها الأمير قوماً لا يعين عليهم إلا الله .

وكتب المهلب جواب الحجاج : إني متظر بهم إحدى ثلاث : موتاً قريباً ،^(٢) أو جوعاً مريضاً ، أو اختلافاً من أهوائهم .

وكان المهلب لا يتكلم في الحراسة على أحد ، كان يقول ذلك بنفسه ، ويستعين عليه بولده ، ومن يحمل عنهم في الثقة عنده .

قال أبو حرملة العبدي يهجو المهلب ، وكان في عسكره :

عَدِمْتُكَ يَا مُهَلَّبُ مِنْ أَمِيرٍ أَمَا تَنْذِي بِمَنْكَ لِلْعُقُورِ

يَدُولَابِ أَصَمَتَ دِمَاءُ قَوْمِي وَطَرْتُ عَلَى مُوَأَشِكَةٍ دُرُورٍ^(٣)

قال له المهلب : ويحك ! والله إني لأفكر نفسي وولدي ، قال : جعلني الله فداء الأمير أفداك الذي مكرك منك ، ما كلنا يحب للوث . قال : ويحك ! وهل عنه من يحبه ! قال : لا ، ولكننا مكروه التجهيل ! وأنت تقدم عليه إقداماً ، قال المهلب : نوبك ! أما سمعت قول الكلعبة البربري :

فَلْتُ لِكَأْسِ الْجِيَمِ فَإِنَّمَا نَزَلَا السَّكِيبَ مِنْ زُرُودَ لَنْفَرَةٍ^(٤)

(١) مهم ، كلمة استغفام معاً : ما الخبر وما الأمر ؟ ول الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى عبدالرحمن بن عوف ، وعليه درع خلق ، فقال : مهم ؟ قال : تزوجت برسول الله . وفي السكائب : مه ، وهي بمعنى الاستغفام أيضاً .

(٢) فزيع : سريع .

(٣) قال المبرد : قوله : « موأشكة » ، يريد سرية ، ويقال : نحن على وشك رحيل . ويقال : ذميل موأشك ، إذا كان سريعاً ، قال ذو الرمة :

إِذَا مَا رَمَيْنَا رَمِيَّةً فِي مَعَارِقِ عَرِاقِيهَا بِالشَّيْطَانِ لِلْوَأَشِكِ

و « درود » صول ، من در الفرس ، إذا تابع .

(٤) كَأْس : اسم بنته ، والعرب لا تنسب بأحد في خيلها إلا بأولادها وبناتها . والسكيب : القطعة

فقال : بلى ، قد سمعت ، ولكن قولى أحب إلى منه :

وَلَمَّا وَضَعَتْ غُدُوءَ وَعْدِكُمْ إِلَى مَهْجَتِي وَلَيْتُ أَعْدَاءَكُمْ ظَهَرُوا
وَطَرْتُ وَلَمْ أَحْضِلْ مَلَامَةً جَاهِلٍ بِسَاقِي الْمَنَامَا بِالرَّدْبِيَّةِ الشَّرِّ (١)
فقال المهلب : يئس حشو الكتيبة أستوالله يا أبا حرملة إن شئت أذيتك فانصرفت
إلى أهلك . قال : بل أقيم معك أيها الأمير ، فذهب له المهلب وأعطاه ، فقال بمدحه :
يَرَى حَتْمًا عَدِيْبَهُ أَبُو سَعِيدٍ جِلَادَ الْقَوْمِ فِي أَوَّلِي الْقَتِيرِ
إِذَا نَادَى الشَّرَاءُ أَبَا سَعِيدٍ مَتَى وَ رِغْلَ مَحْكَمَةِ الْقَتِيرِ (٢)

قال : وكان المهلب يقول : ما يسرني أن في عسكري ألف شعاع مكان يهس بن
صهيب ، فيقال له : أيها الأمير ، يئس لبس شعاع ، فيقول : أجل ، ولكنه سدد الرأي ،
بحكم العقل ، وذو الرأي حذر ستول ، فإنا آمن أنم ^ننقتل ، ولو كان مكانه ألف شعاع
نخلت أهنم ينشامون (٣) حيث يحتاج إليهم .

قال : ومطرت السماء ، طرأ شديداً وهم سابور ، وبين المهلب وبين الشراء عقبة ،
فقال المهلب : من يكفينا أمر هذه العقبة اليلة ؟ فلم يبق أحد ، فلبس المهلب سلاحه ، وقام
إلى العقبة واتبعه ابنه المنيرة ، فقال رجل من أصحابه : دعاها الأمير إلى صبط العقبة ، والحظ

== المستطبة من الرمل ، محدودة . وررود : موسم . والفرع : عا الإغاثة وهو من الأصدقاء .
وقبل هذا البيت :

وَنَادَى مَنَادَى الْحَيَّ أَنْ قَدْ أَتَيْتُمْ وَقَدْ شَرِبْتُ مَاءَ الْمَزَادَةِ أَجْمَا
وَمَا مِنْ تَصِيدَةٍ مُفْضِلَةٍ وَفِيهَا :

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمَنْعِجِ اللَّوِيِّ وَلَا أَمَرَ لِلْمَعْمُورِ إِلَّا مُضْطِغَا
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَفْشِ الْكَرْبِيَّةَ أَوْشَكَتْ حِبَالُ الْهَوِيِّ بِالْفَقَى أَنْ تَقْطَعَا

(١) السكامل : « ملامة عاجز » ، الرديبة : الرماح ؛ مسوبة إلى رديبة ، امرأة كانت تقوم الرماح .

(٢) الرغل بكسر الراء : القتل ؛ وقد أرسل رطله ؛ أرسل ذبله ، وأما الرغل فتحتها ، فصدر رطل

كسر : حر ذبله وركبته برجله ، والقنبر : رهوس مسامير حلق الدروع .

(٣) ينشامون ، من انشام الفى دخل فيه واحداً ، كنشيم ؛ يريدونهم يكونون بمنزل غافة أن ينشملوا .

في ذلك لئلا ، فلم نطقه ، ولبس سلاحه واتبعه جماعة من المسكر ، فصاروا إليه ، فإذا المهلب والمغيرة ولا ثالث لهما ، فقالوا : انصرف أيها الأمير ، فنعن نكفيك إن شاء الله ، فلما أصبحوا إذا هم بالشراة على القبة ، فخرج إليهم غلام من أهل حمان على فرس ، فجعل يحمل وفرسه تزلق ، ويقلع مئزر لث في جماعة معه ، حتى ردوهم من القبة . فلما كان يوم النحر والمهلب على المبر يخطب الناس ، إذ الشراة قد أكبوا ^(١) ، فقال المهلب : سبحان الله ! أفى مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم ؟ فخرج إليهم المغيرة ، وأمامه سعد بن نجد القردوسي ^(٢) . وكان سعد مقدما في شجاعته ، وكان الحجاج ^(٣) إذا ظن برجل أن نفسه قد أجهته قال له : لو كنت سعد بن نجد القردوسي ما هذا ^(٤) ! فخرج أمام المغيرة ، ومع المغيرة جماعة من فرسان المهلب ، فالتقوا ، وأمام الخوارج غلام جامع السلاح ، مديد القامة ، كربه الوجه ، شديد الخلة ، صحيح القروسي ، فأقبل يحمل على الناس ، ويرجمز فيقول :

نَحْنُ صَبَحْنَاكُمْ غِدَادَةَ النَّحْرِ بِالْخِيلِ أَمْثَالِ الْوُشَيْجِ تَجْرِي ^(٥)

فخرج إليه سعد بن نجد القردوسي ، من الأزد ، فتجاولا ساعة ثم طعنه سعد فقتله ، والتقى الناس ، فصارع المغيرة يومئذ ، فحاص عليه سعد بن نجد ودينار السجستاني ^(٦) وجماعة من الفرسان ، حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا إلى المهلب ، فقالوا : قُتِلَ المغيرة ، فأناه دينار السجستاني ، فأخبره سلامته ، فأهتق كل مملوك كان بحضرته .



-
- (١) الشراة : الخوارج ؛ قال الجوهري : سموا بذلك لقولهم : إما شربنا أئمتنا في طاعة الله ؛ أي سناها بالجنة حين طرقتنا الأئمة الجائرة .
 (٢) الكامل : « تألبوا » .
 (٣) في الأصول : « القردوسي » ، تصحيف صوابه من الكامل ، وقردوس : قبيلة من الأزد .
 (٤) الكامل : « للمهلب » .
 (٥) أي ما تجاوز إيجابك لإيجابه .
 (٦) الوشيج : ما نبت من شجر الريح ملتحا دخل فيه في يمس ؛ أو ما صلب فيه .
 (٧) الكامل : « السجستاني » .

قال : ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه في مناجزة القوم ، وكتب إليه :

أما بعد ؛ فإنك جئيت الجراح بالليل^(١) ، وتحصنت بالحدائق ، وطاولت القوم وأنت أعزُّ ناصرا ، وأكثر عددا ؛ وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنًا ؛ ولكنتك اتخذتهم أسلًا^(٢) ، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم ؛ فاجزم وإلا أنكرتني ، والسلام .
فقال المهلب للجراح : يا أبا عقبة ، والله ما تركت حيلة إلا احتلتها ، ولا مكيدة إلا أملتتها ؛ وما لمعجب من إبطاء الثغرة^(٣) وتراخي الظفر ؛ ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُبصره .

ثم ناهضهم ثلاثة أيام ، فغادهم القتال ، فلا يزالون كذلك إلى العصر ، وينصرف أصحابه وبهم قرح ، وبانحوار جرح قرح وقيل . فقال له الجراح : قد أعذرت .
فكتب للمهلب إلى الحجاج :

أتاني كتابك تسبطنني في لقاء القوم ؛ على أنك لا تظن بي معصية ولا جبنًا ؛ وقد عاتبتني معاتبة الجبان^(٤) ، وأوعدتني وعيد^(٥) العاصي ؛ فلي الجراح . والسلام .
فقال الحجاج للجراح : كيف رأيت أخاك ؟ قال : والله أيها الأمير ، ما رأيت مثله قط ، ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يفتدون إلى الحرب ، ثم ينصرفون عنها ، وهم يتطاعنون بالرماح ، ويجهلون بالسيف ؛

(١) بالليل ، أي سرته بالليل .

(٢) الأكل بالضم : اسم للفأ كقول .

(٣) الكامل : « النصر » .

(٤) أي معاتبتك للجبان .

(٥) في الأصول : « وعد » ، وما أتبعه من الكامل .

ويغالبون بالعقد ؛ ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئا ، رَوَّاح قوم تلك
عادتهم وتجارهم .

فقال الحجاج : لَشَدَّ مامد حته ^(١) أبا عُقبة ا فقال : الحق أوتى .

وكانت رُكْبُ الناس ^(٢) قديما من الخشب ، فكان الرّاحل يضرب ركابه فيقطع ،
فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد ؛ فأمر المهلب بضرب ^(٣) الرّكْب من الحديد ؛
فهو أول من أمر بطبعها ؛ وفي ذلك يقول عمران بن حصام الغنوي :

صَرَبُوا الدَّرَاهِمَ فِي إِسَارَتِهِمْ وَضَرَبَتْ لِأَحْصَانٍ وَالْجُرْبِ
حَلْفًا نَرَى مِنْهَا مَرَايِقَهُمْ كَغَاكِيبِ الْجَمَالَةِ الْجُرْبِ ^(٤)

• • •

قال : وكتب الحجاج إلى عقاب بن وَرْقَاء الرّاحي ؛ من بني رباح بن يَرْبُوع -
وهو ولى أصفهان - بأمره بالسير إلى المهلب ، وأن يضم إليه جند عبد الرحمن بن مخنف ،
فكلّ بلد يدخله من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه ، وأت
على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلدة فتحه أهل الكوفة ^(٥) فأت أمير الجماعة ، والمهلب
على أهل البصرة .

تقدّم عقاب في إحدى محادّتين من سنة ست وسبعين على المهلب ، وهو بسابور -
وهي من فتوح أهل البصرة - فكان المهلب أمير الناس وعقاب على أصحاب ابن مخنف ،
والخوارج بأيديهم كُرْمَان ، وهم يازاء المهلب بفارس ، يحاربونه من جميع النواحي .

(١) كما قال ب والسكامل ، و ١ ، ج : • ومفته • .

(٢) ركب الناس ، الركب ، بضمتين : جمع ركب ؛ وهو ما يمتد عليه راكب السرج يمتد عليه ؛ فأما
ما يمتد عليه راكب البعير ؛ فهو المرز .

(٣) ج : • حضرت • .

(٤) للرافعي هنا : مستندات الأرجل من الخلق ؛ ويريد بما كتب الجماعة الجرب أنها رقيقة الوسيط مرفوعة
للطرفين . والجمالة ، مثلثة الجيم غضة للبيم : الخاتمة من الجمال .

(٥) السكامل : • فتحه لأهل الكوفة • .

قال : ووجه الحجاج إلى المهلب رجلين يستعثناه لمناجزة القوم : أحدهما يقال له زياد ابن عبد الرحمن ، من بني عامر بن صعصعة ، والآخر من آل أبي عقيل من رهل الحجاج ، فضم المهلب زيادا إلى ابنه حبيب ، وضم الثقفى إلى ابنه يزيد ، وقال لها : خذا يزيد وحبيا بالمناجزة ، وغادوا الخوارج . فاقتلوا أشد قتال ؛ فقتل زياد بن عبد الرحمن العامري ، وفقد الثقفى . ثم باكرهم في اليوم لثاني ؛ وقد وجد الثقفى ، فدعاه المهلب ، ودعا بالنداء ، فجعل النبل يقع قريبا منهم وبعناورهم ، والثقفى يمتجيب من أمر المهلب ؛ فقال الصلتان المبدئ :

أَلَا يَا صَبْحَانِي قَبْلَ عَوَقِ الْمَوَاتِي (١) وَقُلْ اخْتِرَاطِ الْقَوْمِ مِثْلَ الْعَفَائِقِ (٢)
غَدَاةَ حَبِيبٍ فِي الْحَدِيدِ بِقُوْدَا بِخَوْضِ الْمَسَالَا فِي ظِلَالِ الْخَوَافِقِ
حَرُونُ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ شَرَارُهَا (٣) وَهَاجَ نَجَاجُ النَّعْرِ قَوَقَ الْفَارِقِ (٤)
فَمَنْ مَبْلَغُ الْحَجَّاجِ أَنْ أَمِنَ زِيَادًا أَطْلَحَهُ رِمَاحُ الْأَزَارِقِ !

لم يزل عتاب بن وراق مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب بن يزيد ؛ فكتب الحجاج إلى عتاب يأمره بالمسير إليه ليوجهه إلى شبيب ، وكتب إلى المهلب يأمره أن يرزق الجند ، فرزق أهل البصرة ، وأى أن يرزق أهل الكوفة ، فقال له عتاب : ما أنا بيارح حتى ترزق أهل الكوفة ، فأبى ، فعزت بينهما غلظة ، فقال له عتاب : قد كان يعلمنى أنك شجاع ، فرأيتك جبانا ، وكان يعلمنى أنك جواد ، فرأيتك بخيلا . فقال له المهلب : يا ابن اللخناء ؛ فقال له عتاب : لكك ممم تحول !

(١) اصبحاني ؛ من صبحه إذا سقاء صبوحا من غير أولى . والمواتق : جمع عاتقة ؛ وهي كل ماصرك مما تريد .

(٢) في السكامل : « قوله : وقُلْ اختِرَاطِ القوم مثل العفائق ، يعنى السيوف ، والطائى : جمع عقيقة ، يقال : سيف كأنه عقيقة برى ، أى كأنه لمعة ررق ، ويقال : اسقى البرق إذا تبسم » .

(٣) حرون ، لقب حبيب ، لأنه كان يحرق والحرب بلا يرح ، وذلك مستعار من قولهم : قرس حرون لا يبلاد ، وانظر روضة الأمل ٤ : ٨٨ .

(٤) السكامل : « البوارق » ، والبوارق : السيوف .

فغضبت بكر بن وائل للهلّب للعلف ، ووثب نعيم بن هيرة ، ابن أخى مصقلة
ابن هيرة على عتاب فشتّمه ، وقد كان للهلّب كارهاً للعلف ، فلما رأى نصرة بكر
ابن وائل له سرّه ، واغبط به ، فلم يزل يزيّده ، وغضبت تميم البصرة لعتاب ، وغضبت
أزد الكوفة للهلّب ؛ فلما رأى ذلك الميرة مشى بين أبيه وبين عتاب ؛ وقال لعتاب :
يا أبا ورقاء ؛ إن الأمير بصيرٌ إلى كلِّ مانع ، وسأل أباها أن يرزق أهل الكوفة ، ففعل
فصلح الأمر ؛ فكانت تميم قاطبة وعتاب بن ورقاء يحمّدون الميرة بن للهلّب ، وكان
عتاب يقول : إني لأعرف فضله على أبيه .

وقال رجلٌ من الأزد ، من بني لؤد بن سؤد :

أَلَا أَبْلِيغُ أَبَا وَرْقَاءَ عَدَا كَلَوَلَا إِنَّا كُنَّا غِيَا

عَلَى الشَّيْخِ لِلْهَلْبِ إِذْ جَفَانَا لَلَّاقَتْ خَيْلُكُمْ مِثْلًا خِرَابَا



قال : وكان للهلّب يقول لبنيه : لا تبدؤوا الخوارج بقتال حتى يبدؤكم ، ويبتغوا
عليكم ، فإنهم إذا بغّوا عليكم نصرتهم عليهم .

فشخص عتاب إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين ، فوجه إلى شبيب فقتله شبيب .
وأقام للهلّب على حربهم ، فلما اتّفق من مقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وافتقرت
كلمتهم . وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حدافاً من الأزارقة ، كان يعمل نصالاً مسمومة ،
فبصرى بها أصحاب للهلّب ؛ فرفع ذلك إلى للهلّب ، فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله ،
فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطري ، فقال له : ألق هذا الكتاب
في العسكر والدرهم ، واحذر على نفسك . وكان الحداد يقول له أيزى - فضى الرجل .
وكان في الكتاب : أما بعد ، فإن نصالك قد وصلت إلى ، وقد وجهت إليك بأنصرهم
فأقبضها وزدنا من هذه النصال .

فوقع الكتاب إلى قطري ، فدعا بأبزي ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فاهذه الفراه ؟ قال : لا أعلم ، فأمر به فقتل . فجاء عهده ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة ، فقال له : أقتلت رجلاً على غير حق^(١) ولا بين ؟ قال قطري : فما حال هذه الألف ؟ قال : يجوز أن يكون أمرها كذا ، ويجوز أن يكون سحاً ، فقال قطري : إن قتل رجل في صلاح الناس غير منكر ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحاً ؛ وليس للرعية أن تعرض عليه . فتنكر له عبد ربه في جماعة معه ، ولم يفارقوه .

وبلغ ذلك المهلب فدرس إليهم رجلاً نصرانياً ؛ جعل له جنلاً يرغب في مثله ؛ وقال له : إذا رأيت قطرياً فاسجد له ؛ فإذا نهك قتل : إنما سجدت لك ؛ ففعل ذلك النصراني ، فقال قطري : إنما السجود لله تعالى ؛ فقال ما سجدت إلا لك ، فقال رجل من الخوارج : إنه قد عبدك من دون الله ، وتلا : ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾^(٢) ؛ فقال قطري : إن النصراني قد عبدوا عيسى بن مريم ؛ فاضرب عيسى ذلك شيئاً . فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله ، فأنكر قطري ذلك عليه ، وأنكر قوم من الخوارج إسكاريه .

وبلغ المهلب ذلك ، فوجه إليهم رجلاً سألهم ، فأنام الرجل ، قال : أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم ، فأتا أحدهما في الطريق ، وبلغ الآخر إليكم فامتحنتموه فلم يجز الحنة ، ماتقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الليث فؤمن من أهل الجنة ، وأما الذي لم يجز الحنة فكافر حتى يجيز الحنة .

وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يجيز الحنة ؛ فكثر الاختلاف . وخرج قطري إلى حدود إسطخر ؛ فأقام شهراً ، والقوم في اختلافهم . ثم أقبل فقال

(١) ج • وثيقة •

(٢) سورة الأنبياء ٩٨

لم صالح بن خرق : يا قوم ، إنكم أقررتم عين عدوكم ، وأطمعتموه فيكم بما يظهر من خلافكم ^(١) ، فعودوا إلى سلامة القلوب ، واجتماع الكلمة .

وخرج عمرو القنا - وهو من بني سعد بن زيد مناة بن نعيم - فنادى : يا أيها المحلون ^(٢) ؛ هل لكم في الطراد فقد طال عهدي به أثم قال :

ألم تر أنا منذ ثلاثين ليلةً جديبٌ وأعداء الكتاب على خفَضٍ ^(٣)
فتهايج القوم ، وأسرع بعضهم إلى بعض ؛ وكانت الوقعة ، وأبلى يومئذ للغيرة بن
المهلب ، وصار في وسط الإزارقة ، فعملت الرماح تحطه وترشه ، واعتورت رأسه السهوف ،
وعليه ساعد حديد ، فوضع يده على رأسه ؛ فلم يعمل السيف فيه شيئاً ، واستنقذه فرسان
من الأزد بعد أن صرّح ، وكان القدي صرّعه عبيدة بن هلال بن يشكر بن بكر بن
واثل ، وكان يقول يومئذ :

أما ابن خير قومٍ هلالٍ شيخٌ على دين أبي بلالٍ
• وذلك دبي آخر الليالي •

فقال رجلٌ للغيرة : كنّا نعجب كيف نُصرّح ، والآن نعجب كيف تنجوا ! وقال
المهلب لهنبيه : إنَّ سرَّ حَكَمٍ ^(٤) لمار ، ولست آمنهم عليه ، أفوكتهم به أحداً ؟ قالوا : لا ، فلم
يستقم الكلام حتى أناه آتٍ ، فقال : إن صالح بن خرق قد أعار على السرح ، فشق
على المهلب ، وقال : كل أمر لا إليه بنفسى فهو ضائع ؛ وتدمر عليهم ؛ فقال له بشر بن
الغيرة : أريح نفسك ؛ فإن كنت إنما تريد متلك فوالله ما يعدل خيرٌ فاشمّع ^(٥) فملك ،

(١) ج : « اختلامكم »

(٢) المحلون : الذين لا يحفظون عهداً ولا يراعون حرمة ؛ فكانوا أحلوا أعراسهم وأموالهم أن تسلب .

(٣) الخفض . الدقة وليب البش .

(٤) السرح : المال السائم في الرعى من الأحام ؛ وأراد بالعار الذي يطعم الناس في أخفه حيث لا واعي له يحفظه .

(٥) الشمع : قال النحل .

فقال : خذوا عليهم الطريق ، فبادر بشر بن النيرة ، ومدرّك والمفضل ابنا المهلب ؛ فسبق
بشر إلى الطريق ، فإذا رجل أسود من الأزارقة بشل السرج^(١) ، وهو يقول :
نَحْنُ قَمَعْنَاكُمْ بِشَلِّ السَّرْجِ وَقَدْ نَكَّأْنَا الْقَرْحَ بَمَدِّ الْقَرْحِ^(٢)
ولحقه المفضل ومدرّك ، فصاحا برجل من مئى : اكفينا الأسود ؛ فاحذروه الطائي وبشر
ابن النيرة فقتلاه ، وأسرا رجلا من الأزارقة من همدان ، واستردا السرج^(٣) .
قال : وكان عياش الكندي شجاعا بليسا^(٤) ، فأبلى يومئذ ؛ فلما مات على فراشه بعد
ذلك ، قال المهلب : لا وألت^(٥) نفس الجبان بعد عياش ؛ وقال المهلب : ما رأيت تالله
كهؤلاء القوم ، كما انتقص^(٦) منهم يرد فيهم ا

ووجه الحاج رجلين إلى المهلب يستحثانه بالقتال : أحدهما من كُلب ، والآخر من
سُلَيْم ، فقال المهلب متمثلا بشعر لأوس بن حجر
ومستعجب مما يرى من أفاعيلهم وَلَوْ زَبَفْتُهُ الْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمَّرَمْ^(٧)
فقال للمهلب يزيد ابنه : حرك القوم ، فحركهم فتهاجموا ؛ وذلك في قرية من قرى
إصطخر ؛ فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب وطعنه ، فشكّ فخذه
بالسرج ، فقال المهلب للثعلبي والكلبي : كيف يُقاتل^(٨) قوم هذا طعنهم ا وحمل

(١) في الكامل : « بشل السرج ، أى بطرده » .
(٢) في الكامل : « الشل : الطرد . وقال : نكأت القرحة ، مبهوز ، ونكبت العدو غير مبهوز ؛
من السكاية ، ونكأت القرحة نكأ ؛ قال ابن جرير :

وَلَا أَرَاهَا تَزَالُ ظَالِمَةً نَحْدُثُ لِي قَرْحَةً وَتَنَكُّوْهَا

(٣) في الكامل : « دخل سبيله » .
(٤) البئيس ، من يؤس الرجل يؤس ؛ إذا اشتدت شجاعته .
(٥) لا وألت ، أى لانتجت .
(٦) الكامل : « ينقص » .
(٧) قال المبرد : قوله زبفته ؛ يقول : دفعته . ولم يترمرم : لم يتحرك ؛ يقال : قيل له كذا وكذا فانهترمرم .
(٨) الكامل : « يقاتل » .

يزيد عليهم ؛ وقد جاء الرقاد - وهو من فرسان الهلب - وهو أحد بني مالك بن ربيعة ، على فرس له أذم ؛ وبه كتيف وعشرون جراحة ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حل يزيد ولّى الجمع ، وحام فرسان منهم ؛ فقال يزيد قيس الخشني ، مولى العتيك : من لذين ؟ قال : أنا ، فحمل عليهما ، فمطف عليه أحدهما فطمته قيس فصرعه ، وحمل عليه الآخر فماتقا ، فسقطا جهما إلى الأرض ، فصاح قيس الخشني : اقتلونا جهما ، فمات خيل هؤلاء وخيل هؤلاء ، فحيزوا بينهما ، فإذا معايق قيس امرأة ، فقام قيس مستحييا ، فقال له يزيد : يا أبا بشر ، أما أنت فبارزتها على أمتها رجل ، فقال : أرايت لو قُتلت ، أما كان يقال : قتلته امرأة ! وأبلى يومئذ ابن النجب السدوسي ، فقال غلام له يقال له خلاج : والله لو ددنا أنا فصصنا حكرم حتى نصير إلى مسقرهم ، فأستلب مما هناك جاريين . فقال له مولاه ابن النجب : وكيف نتميم ؟ وبجلك أنتين ؟ قال : لأعطيك إحداهما وأخذ الأخرى ، فقال ابن النجب :

أحلاج إنك لن تمايق طفلة شرقا بها الجادى كالتمثال^(١)
حتى تلاقى في الكتيبة مقلما عمرو القنا وعبيدة بن هلال^(٢)
وترى المقطر في الموارس مقديما في عصبة شيطوا على الضلال^(٣)

(١) قال اللرد : « قوله : طفلة ، يقول : ناعمة ؛ وإذا كسرت الطاء ظلت : طفلة ؛ فهي الصغيرة . والجادى : الزعران » .

(٢) قال اللرد : « الكتيبة : الجيش ؛ وإعما سمي الجيش كتيبة لانضمام أهله بعضهم إلى بعض ؛ وهذا سمي الكتاب ؛ ومنه قولهم : كتبت القصة والناقة ، وكتبت القرعة ؛ إذا خرزت ذلك الوضع . والمعلم . أتى قد شمر قسه بسلامة ؛ إما بعمامة صبيح ؛ أو بعمامة ، ولما تغير ذلك . . . وعمرو القنا من بني سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعبيدة بن هلال من بني بشكر بن بكر بن وائل . وأبى طيس صاحب الهلب في صفه فشكها مع السرج من بني تميم ؛ قال : ولا أخرى : أعمر هو أم فيه ؟ » .

(٣) في الكامل : « سقطوا مع الضلال » . قال : والمقطر : من عبد القيس ، وقوله : « سقطوا » ، أي حاروا ؛ يقال : سقط فهو سقط ؛ إذا حار ؛ قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ .

أَوْ أَنَّ بَعْلَكَ الْمَهْلَبُ خَزَوْهُ وَتَرَى جِبَالاً قَدْ دَنَتْ لِجِبَالٍ

قال : وكان بدر بن الهذيل من أصعاب المهلب شجاعا ، وكان تلحاة ؛ كان إذا أحس

بالتلحاج ينادى : « يا خيل الله اركبي » ؛ وإليه يشير القائل :

وَإِذَا طَلَبْتَ إِلَى الْمَهْلَبِ حَاجَةً عَرَضَتْ تَوَاعُجُ دُونَهُ وَعَبِيدُ^(١)

العبد كُرْدُوسٌ وَتَدْرُ مِثْلُهُ وَعِلَاجُ بَابِ الْأَحْمَرِينَ شَدِيدُ^(٢)

قال : وكان بشر بن الغيرة بن أبي صفرة أبي يومئذ بلاء حنا عرف مكانه فيه ؛

وكانت بينه وبين المهلب جفوة ، فقال لبنيه : يا بني عم ، إني قد قصرت عن شكاة

العائب^(٣) ؛ وجاوزت شكاة المستعيب^(٤) ؛ حتى كاني لاموصول ولا محروم ؛ فاجعلوا

لي فُرْجَةً أعيش بها ، وهبوني امراً رحوتهم نصره ؛ أوحقتم لسانه . فرجموا له ووصلوه ،

وكلوا فيه المهلب ، فوصله .

وولى الحاج كُرْدَمًا فارس ، ووجهه إليها الحرب قائمة ، فقال رجل من أصعاب المهلب :

وَلَوْ رَأَاهَا كُرْدَمٌ لَكُرْدَمًا كُرْدَمَةُ الْبَيْرِ أَحْسَنُ الصِّمَامِ^(٥)

فكتب المهلب إلى الحاج يسأله أن يتجأ له عن إصطغر ودارا مجرد لأوراق

الجند ، فقبل . وقد كان قطري هدم مدينة إصطغر ، لأن أهلها كانوا يكاتبون المهلب

بأخباره ؛ وأراد مثل ذلك بمدينة قسا ، فاشترها منه آزاد مَرْدُ بن البريد بمائة ألف درهم

(١) قال المبرد : تواجع ، أراد به الرجال ؛ غارق الشعر ؛ وإنما رده إلى أصله بالضرورة ؛ وما كانت

من التمعوت على « فاعل » بمعنى « فاعلون » ؛ فلا يتيسر بجمع « فاعلة » التي هي مت .

(٢) قال المبرد : كردوس : رجل من الأزد ؛ وكان صاحب المهلب . وقوله : « وعلاج باب الأحمرين

شديد » ؛ العرب تسمى السجى السجى الحمراء .

(٣) العائب : الساخط .

(٤) المستعيب : الطالب الرضا .

(٥) في الكامل : « الصيغم : الأسد ، والكردمة : الثفور » .

فلم يهدمها . فواقعوه وجه المهلّب فهزمه ، فنفاه إلى كرمان ، وأتبعه المغيرة ابنه ؛ وقد كان دفع إليه سيفاً وجهه به المحتاج إلى المهلّب ، وأقسم عليه أن يتقلده ، فدفعه إلى المغيرة بعد ما تقلده ، فرجع به المغيرة إليه وقد دماه ، فسر المهلّب ، وقال : ما يسرّني أن يكون كنت دفعته إلى غيرك من ولدي ؛ وقال له : اكفني جباية خراج هاتين الكورتين ، وضم إليه الرقاد ، فجملتا تجملان ، ولا يعطيان الجند شيئاً ، ففي ذلك يقول رجل من بني تميم في كلمة له :

وَلَوْ عَلِمَ ابْنُ يَوْسُفَ مَا لَاقِيَ مِنْ آفَاتِ الْكَرْبِ الشَّدَادِ
لَقَاضَتْ مِنْهُ جَزَعًا عَلَيْهِمَا وَأَصْلَحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْفَسَادِ
أَلَا قُلْ لِلْأَمِيرِ جُرَيْتَ حَيْرًا أَرِحْنَا مِنْ مُغِيرَةٍ وَالرَّقَادِ
فَمَا رَزَقَ الْجُنُودَ هَمٌّ قَبِيحًا وَقَدْ سَأَتْ مَطَايِرُ الْحَصَادِ^(١)
أَيُّ وَقَعِ فِيهَا السُّوسُ^(٢) .

قال : ثم حارهم المهلّب بالسيرخان^(٣) حتى نفاهم منها إلى حيرفت^(٤) وأتبعهم ونزل قريباً منهم .

• • •

ثم اختلفت كلمة الخوارج ، وكان سبب ذلك أن عبيدة بن هلال أشهم بامرأة رجل تجّار ، رأوه يدخل مراراً إليها بعيد إذن ، فأثنى نظرياً فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عبيدة من الذين بحيث علم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ؛ فقالوا : إنا لا نقاتل الفاحشة ، فقال :

(١) المطاير : جمع مطبورة ؛ وهي حرة تحت الأرض يوسع أسطفا ؛ تخاً فيها الحبوب .

(٢) يقال : ساس الطعام وأساس ؛ إذا وقع فيه السوس .

(٣) السرجان ، بكسر السين وسكون الياء وفتح اراء : مدينة بين كرمان وخراس .

(٤) حيرفت ، بكسر فسكون ففتح راه وسكون طه : مدينة بكرمان .

نصرفوا، ثم سئلت إلى عبدة، فأخبره، وقال له: أنالاً أقار على الفاحشة، فقال: بهتوني^(١) يا أمير المؤمنين فما ترى؟ قال: إني جامع بينك وبينهم، فلا تخضع خضوع المذنب، ولا تتناول تناول البريء؛ فجمع بينهم، فكلموا، فقام عبدة، فقال: بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْنَةٌ مِنْكُمْ﴾... حتى تلا الآيات^(٢)، فبكوا وقاموا إليه فاعتنقوه؛ وقالوا: استغفر لنا. فقبل؛ فقال عبد ربه، لصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة: والله لقد خدعكم، فتابع عبد ربه منهم ناس كثير؛ ولم يظهروا، ولم يجدوا على عبدة في إقامة الحد ثبثاً^(٣).



وكان قطري قد استعمل رجلا من الدهاقين، فظهرت له أموال كثيرة، فأتوا قطرياً؛ فقالوا: إن عمر بن الخطاب لم يكن يقام محاله على مثل هذا؛ فقال قطري: إني استعملته، وله ضياع وتجارات، فأوعر ذلك صدورهم، وبلغ المولب ذلك، فقال: اختلانهم أشد عليهم مني، ثم قالوا لقطري: ألا تخرج بنا إلى عدونا؟ فقال: لا، ثم خرج فقالوا: قد كذب وارتد، فاتبعوه يوماً، فأحس بالشر، ودخل داراً مع جماعة من أصحابه، فاجتمعوا عليه وصاحوا: اخرج إلينا يادابة؛ فخرج إليهم، فقال: أرجتم بعدي كفاراً؛ قالوا: أولست دابة؟ قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِجْقُهَا﴾^(١)؛ ولكنك قد كفرت بقولك: «إنا قد رجنا كفاراً»، فنب إلى الله. فشاور عبدة في ذلك، فقال له: إن نت لم يقبلوا منك، فقل: إني استعفيت قحت: «أرجتم بعدى كفاراً؟» فقال لهم ذلك، فقبلوا منه، فرجع إلى منزله.

(١) بهتوني: قالوا على ما لم أصل.

(٢) سورة النور ١١ - ٢٠

(٣) ثبثاً؛ بالتحريك؛ أي حجة.

(١) سورة هود ٦.

[عبد ربه الصغير]

ومنهم عبد ربه الصغير ، أحد موالى قيس بن ثعلبة .
 لما^(١) اختلفت الخوارج على قطريّ بايعه منهم جمع كثير ، وكان قطريّ قد عزم على أن
 يبايع للقمطر المبدئ ، ويخلع نفسه ، فجلسه أمير الجيش في الحرب قبل أن يبعث إليه بالخلافة ،
 فكرهه القوم وأبوّه ، وقال صالح بن خرقاء عنهم وعن نفسه : ابغز لنا غير للقمطر ، فقال
 لم قطريّ : إني أرى طول العهد قد غورك ، وأنتم بعدد عدوّ ، فأتقوا الله وأقبلوا على
 شأنكم ، واستعدّوا للقضاء القوم ؛ قال صالح : إن الناس قبلنا قد سألوا عتيان بن صفان أن
 يزيل سميد بن العاصي عنهم ففعل . ويجب على الإمام أن بُعِي الرعيّة مما كرهت . فأبى
 قطريّ أن يعزل القمطر ، فقال له القوم : قلنا قد جلسناك وبايعنا عبد ربه الصغير - وكان
 عبد ربه هذا معلّم كُتّاب ، وكان عبد ربه الكبير بايع رمان : وكلاهما من موالى قيس
 ابن ثعلبة - فانتقل إلى عبد ربه الصغير أكثر من شطّرم : وجلّهم الموالى والمعجم ،
 وكان منهم هناك ثمانية آلاف ومائة الفراء ، ثم ندّم صالح بن خرقاء ، وقال لقطريّ : هذه
 نفخة من نفخات الشيطان فأعينا من القمطر ، وبرز بنا إلى عدونا وعدوك ،
 فأبى قطريّ إلا للقمطر ، وحل فتى من الشراة على صالح بن خرقاء ، فطعنه فأنفذه ،
 وأوجره الرمح^(٢) .

فتثبت الحرب بينهم ، فتهاجموا . ثم انحاز كل قوم إلى صاحبهم ، فلما كان الفد
 اجتمعوا ، فاقبلت الحرب عن أنف تقيل ، فلما كان المدعاودوا الحرب ، فلم ينتصف
 النهار حتى أخرجت المعجم العرب عن المدينة ، فأقام عبد ربه بها ، وصر قطريّ خارجاً من

(١) الكلل ٣ : ٣٩٢ وما بعدها .

(٢) قال البرد : « ومن أوجره الرمح طعنه ورك الرمح فيه ؛ قال عنترة :

وَأَخْرَجَهُمْ أَجْرَدَتْ رُمْحِي وَلِي التَّبَعْلُ سَبْعَةٌ وَتَبَعُ

مدينة جيفرت يلازمهم ، فقال له عبيدة بن هلال : يا أمير المؤمنين ، إن أقت لم آمن هذه العبيد عليك ؛ إلا أن تخندق على نفسك ؛ تخندق على باب المدينة وجعل يناديهم ، وارتمل للمهلب ، وكان منهم على ليلة ، ورسول الحجاج معه يستعته ، فقال له : أصلى الله الأمير عاجلهم قبل أن يصلحوا ، فقال المهلب : إنهم لن يصلحوا ؛ ولكن دفعهم فإنهم سيصبرون إلى حال لا يفلحون معها ، ثم دس رجلا من أصحابه ، فقال : أنت عسكر قطري ، قل : إني لم أزل أرى قطرياً يصيب الرأي ؛ حتى نزل منزله هذا ، فظهر خطؤه ؛ أقيم بين المهلب وعبد ربه ، يناديه القتال هذا ، ويرأوه هذا ؛ فنمى الكلام إلى قطري ، فقال : صدق ؛ تنصروا بنا عن هذا الموضع ، فإن اتبعنا المهلب قاتلناه ، وإن أقام على عبد ربه رأيت فيه ما نحبون .

فقال له العتلت بن مرة : يا أمير المؤمنين ، إن كنت إنما تريد الله فأقدم على القوم ، وإن كنت إنما تريد الدنيا فأعلم أصحابك حتى يستأمنوا ، ثم قال :

قُلْ لِلْعَالِينَ قَد قَرَّتْ عِيُونُكُمْ	بخرقة القوم والبهضاء والهرب
كُنَّا أَنَا عَلَى دِينٍ فَتَدَنَا	طول الجدة الودخلت الجدة بالعب
مَا كَانَ أَغْنَى رَجُلًا قُلْ جِيْشُهُمْ ^(١)	من الجدال وأغنام عن الخطب
إِنِّي لَأَهْوَنُكُمْ فِي الْأَرْضِ مَضْطَرَبًا	مالي سوى فرسي والرمح من نشب

ثم قال : أصبح للمهلب يرجو منا ما كنا نطعم منه فيه .

وارتمل قطري ، وبلغ ذلك للمهلب ، فقال لهزيم بن أبي طهعة الجاشعي : إني لا آمن أن يكون كاذباً برك موضعه ، اذهب فحرف الخلد ، فمضى الهزيم في اثني عشر فارساً ، فلم ير في العسكر إلا عبداً وعرجاً مريضين ، فسألها عن قطري وأصحابه ، قال :

(١) الكامل : « مثل سعيهم » .

مضوا يرتادون غير هذا المنزل ، فرجع هُزيم إلى المهلب ، فأخبره ، فارتحل حتى نزل خندق قطري ، فجهل بقاتل عبد ربه أحيانا بالقدادة ، وأحيانا بالعشي ، فقال رجل من سدوس ، يقال له اللعق ، وكان فارساً :

ليت الحرائر بالعراق شهيدتنا ورأيتنا بالسفح ذى الأجيال
فكعن أهل الجدة من فرساننا^(١) والضريرين بجاهم الأبطال

ووجه المهلب يزيد ابنه إلى الحجاج بخبره بأنه قد نزل منزل قطري ، وأنه مقيم على عبد ربه ، وبسأله أن يوجه في أثر قطري رجلاً جليلاً ، فسر بذلك الحجاج سروراً أظهره ، ثم كتب إلى المهلب يستعنه لمناجزة القوم مع عبيد بن موهب :

أما بعد ؛ فإنتك تترأخى عن الحرب حتى تأتيتك رُسُلِي فيرجمون سدرك ؛ وذلك أنك تُسِك حتى تبرا الجراح ، وتُنسى القتل وتعمل الكال^(٢) ثم تلقاهم ، فتحمل منهم ثقل ما يحملون منك من وحشة القتل ، وألم الجراح ، ولو كنت تلقاهم بذلك الجدة لكان الداء قد حُسم ، والقرن^(٣) قد قُسم ؛ ولعمري ما أمت والقوم سواء ، لأن من ورائك رجالاً ، وأمالك أموالاً ؛ وليس لقوم إلا ما سهد ، ولا يُدرك الوجيف^(٤) بالديب ، ولا الظفر بالتذير .

فلما ورد عليه الكتاب ، قال لأصحابه : يا قوم إن الله قد أراحكم من أمور أرسه : قطري بن القبياة ، وصالح بن خرق ، وهبيدة بن هلال ، وسعد بن الطلائع ؛ وإنما بين أيديكم عبد ربه الصغير في خُشار من خُشار^(٥) الشيطان ؛ تقتلونهم إن شاء الله تعالى .

(١) الكامل : « أهل الجزء » ؛ والجزء : الماء والكفاية في الحرب .

(٢) الكامل : « ويجم الناس » .

(٣) قسم القرن ؛ أى كسر ؛ يكى بذلك عن ملاقاة القوم .

(٤) الوجيف : صرب من السهم السريع .

(٥) الخُشار : الردى . ومالا خير فيه .

فكانوا يتعاضدون القتال ويتراوحن ، فتصيبهم الجراح ، ثم يتعاجزون ؛ فكأما انصرفوا عن مجلس كانوا يتعاضدون فيه ؛ يصحك بعضهم إلى بعض ؛ فقال عبيد بن موهب لسهل : قد بان عنرك ، فاكذب فإني محبر الأمير .

فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ؛ فإني لم أعطِ رُسُلَكَ على قول الحق أجراً ، ولم أحتج منهم عن المشاهدة إلى تلقين . ذكرت أني أجم القوم ؛ ولا بد من وقت راحة يستريح فيه الغالب ، ويحتال فيه المألوف . وذكرت أن في الجمام ما ينسى القتلى ، وتبرأ [منه] ^(١) الجراح ، وهيئات أن يُنسى ما بيننا وبينهم ؛ تأتي ذلك قتلى لم تُحَنَّ ^(٢) ، وقروح لم تتعرف ^(٣) ، ونحن والقوم على حالة ، وهم يرقون منا حالات ، إن طمعوا طاربوا ، وإن ملوا وقصوا ، وإن يئسوا انصرفوا . علينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونحصرهم إذا وقصوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والراي ، كان القرن مقصوماً والهداد ياذن الله محسوماً ، وإن أعجلتني لم أملك ولم أصيبك ، وجعلت وجهي إلى بابك ، وأعود بالله من سخط الله ومقت الناس .

قال : ولما اشتد الحصار على عبد ربّه ، قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ؛ فإن السلم لا يفتقر مع الإسلام إلى غيره ، والمسلم إذا صح توحيدُه عزّ ربّه ؛ وقد أراحكم الله من غبطة قطري ، ومجدة صالح بن مخراق ونخوته ، واختلاط صبيدة بن هلال ، ووكلكم إلى بصائركم ؛ فالتقوا عدوكم نصبر ونية ؛ واتقوا عن منزلكم هذا ، فمن قتل منكم قتل شهيداً ، ومن سلب من القتل فهو المحروم .

(١) من الكامل .

(٢) لم تحن : لم تدمن في الجرح ؛ وهو القبر .

(٣) لم تعرف : لم تتعمر .

قال : وورد في ذلك الوقت على المهلب عبيد بن أبي ربيعة بن أبي الصلت الثقفي من عند الحجاج ، يستعنه بالقتال ، ومعه أميان ، فقال للمهلب : خالفت وصية الأمير ، وآثرت للدأفة والطاولة . فقال له المهلب : والله ما تركتُ جهدا .

فلما كان للعشي خرجت الأزارقة ، وقد حملوا حريمهم وأموالهم ، وخيف^(١) متاهمهم لينتقلوا ؛ فقال المهلب لأصحابه : الزموا مصافكم ، وأمروا^(٢) دماحكم ، ودهورهم والذهاب ؛ فقال له عبيدة بن أبي ربيعة : هذا لعمري أبسر عليك . فمضب وقال للناس : ردوهم عن وجههم ، وقال لبيته : تفرقوا في الناس ؛ وقال لعبيدة بن أبي ربيعة : كن مع [يزيد ، نفذه بالحاربة أشد الأخذ ؛ وقال لأحد الأميين : كن مع]^(٣) للميرة ، ولا ترخص له في الفتور .

فاحتلوا قتالا شديدا ، حتى عُرِثَ الخيل^(٤) ، وشرع الفرسان ، وقتلت الرجال^(٥) . وجعلت الخوارج تقاتل من القدح^(٦) يؤخذ منها ، والسوط والعلف والحشيش^(٧) أشد قتال .

وسقط رمح رجل من مُراد ، من الخوارج ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجراح والقتل ؛ وذلك مع المغرب ، والرازي يرتجز ، ويقول :

الميلُ ليلٌ فيه ويلٌ ويلٌ قد سألَ بالقومِ الشراءَ السَّيلُ

• إن جاز للأعداءَ فهنا قولٌ •

(١) الحف ، بالكسر : الخفيف ؛ ومنه قول امرئ القيس :

• ينزل الغلام الحف من صهوةها •

(٢) أشرع الرمح : دفعه .

(٣) من الكامل .

(٤) الكامل : « الدواب » .

(٥) الكامل : « الرجال » .

(٦) الكامل : « على القدح » .

(٧) الكامل : « والعلق الحشيش » .

فلما عظم الخطب في ذلك ^(١) الرمح بعث المهلب إلى الغيرة : خَلْ لهم عن الرمح ؛ عليهم لعنة الله ! نَقَلُوا لهم عنه ، ومصت الخوارج ، فبرلت على أربعة فراسخ من جِيفَت ، فدخلها المهلب ، وأمر بجمع ما كان لهم من متاع ، وما خلقوه من دقيق ، وجَمَّ عليه هو والثقي والأمينان ، ثم اتهمهم فوجدهم قد نزلوا على ماء وعين لا يشرب منها أحد إلا قوئ ^(٢) ، يأتي الرجل بالذلو قد شدّها في طرفي رمح فيستقي بها ، وهناك قرية فيها أهلها ، فسادام القتال ، وضمّ الثقي إلى ابنه يزيد ، وأحدّ الأمينين إلى الغيرة ، فاقتتل القوم إلى نصف النهار .

وقال المهلب لأبي علقمة العبديّ : « كان شعاعاً ، وكان عانياً هازلًا : أمددنا يا أبا علقمة بحمير اليعصب ، وقل لهم : فليمروا ما حاجهم ساعة ؛ فقال : أيها الأمير ، إن جاحهم ليست بفحار فتعار ، ولا أعناقهم كرادي ^(٣) فتبيت .

وقال : لحبيب بن أوس : كز على القوم ، فلم يفعل ، وقال :

يقول لي الأمير بفبر علم تقدّم حين جدّ به المراس

فألى إن أطمعتك من حياة ومالي غير هذا الرأس رأس ^(٤)

وقال لمن بن الغيرة بن أبي صفرة : احمل ، فقال : لا ، إلا أن تزوجني ابنتك أم مالك ،

فقال : قد زوجتك ، فحمل على الخوارج فكشفهم ، وطعن فيهم ، وقال :

لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الْحَيَاةَ بِمَالٍ مَنكّةً كان عندنا قَبْرَانَا ^(٥)

(١) الكامل : « فيه » .

(٢) الكامل : « على عين لا يشرب منها إلا قوئ » .

(٣) في الأصول : « كرات » ، وصوابه من الكامل : قال أبو الحسن الأخفش : « تقول العرب لأعدائهم كراذ » وهو فارسي عرب .

(٤) في الكامل : نصب « غير » ، لأنه استثناء مقدم .

(٥) رواية الكامل :

لَيْتَ مَنْ يَشْتَرِي الْغَدَاةَ بِمَالٍ هلِكَ اليومَ عندنا قَبْرَانَا

فَمِثْلُ الْكُرِّ عِنْدَ ذَلِكَ بَطْنِي إِنَّ لَمُوتٍ هَسْبُنَا الْوَانَا

قوله : « مَلَكَةٌ » أي تَوَيْجًا وَنِكَاحًا .

قال : ثم جال الناس جولةً عند حَمَلَةِ حَمَلَتِهَا عَلَيْهِمُ الْخَوَارِجُ ، فَاتَّفَتِ الْمُهَلَّبُ ، قَالَ لِلْعَبْدَةِ ابْنَةِ : مَا فَعَلَ الْأَمِينُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ ؟ قَالَ : قُتِلَ وَهَرَبَ التَّقِيُّ ، فَقَالَ لِيَزِيدُ : مَا فَعَلَ عُبَيْدُ بْنُ أَبِي رَيْمَةَ ؟ قَالَ : لَمْ أَرَهُ مِنْذُ كَانَتْ الْجَوْلَةُ ، قَالَ الْأَمِينُ الْآخِرُ لِلْعَبْدَةِ : أَنْتِ قَتَلْتِ صَاحِبِي ، فَلَمَّا كَانَ الْعَشِيُّ رَجَعَ التَّقِيُّ ، قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي طَامِرِ بْنِ صَعْمَةَ :

مَا زِلْتَ بِاتَّقِيٍّ مَخْطُبٍ يَنْتَابُ وَنُصْنَابًا بَوَصِيصَةً الْحَبَّاجِ

حَقٌّ إِذَا مَا الْمَوْتُ أَقْبَلَ زَاخِرًا وَتَقَى لَنَا حَيْرَةً بِضِيرٍ مِزَاجِ

وَلَيْتَ بِاتَّقِيٍّ غَسِيرٍ مَنَاطِيرِ نَسَابٍ بَيْنَ أُحْزَنْزَرٍ وَفَحَّاجِ (١)

لَيْسَتْ مَقَارِعَةُ الْمَلَكَةِ الَّتِي الْوَصَى شَرِبَتْ لِلدَّامَةِ فِي إِثَاءِ زُحَاجِ

فَقَالَ الْمُهَلَّبُ لِلْأَمِينِ الْآخِرِ : يَقِينُ أَنَّ لَمُوتَهُ مَعَ ابْنِ حَبِيبٍ فِي أَلْفِ رَجُلٍ ؛ حَقٌّ تَبَيَّنُوا عَسْكَرُكُمْ ، فَقَالَ : مَا ثَرِيدُ أَبِيهَا الْأَمِيرِ إِلَّا أَنْ تَقْتُلِي كَمَا قَتَلْتَ بِصَاحِبِي ! فَضَحَكَ الْمُهَلَّبُ ، وَقَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ . وَلَمْ يَكُنْ فَنُورُ خَدَّائِي ، فَسَكَنَ كُلُّ حَزِينٍ مِنْ صَاحِبِهِ ؛ خَيْرٌ أَنْ الْعُلَامَ وَالْمُدَّةَ مَعَ الْمُهَلَّبِ ؛ دَهْوٌ فِي زُحَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفًا ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ أَشْرَفَ عَلَى وَادٍ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مَعَهُ رَمْعٌ مَكْسُورٌ مَحْضُوبٌ بِالْدَمِ ؛ وَهُوَ يَفْشُدُ :

وَأَنَّ لَأُتَقِيَّ ذَا الرِّجَارِ وَصَنَعَتِي إِذَا رَاحَ أَطْوَاءُ بَيْنَ الْأَصَاغِرِ (٢)

(١) قَالَ الْبَرْدُ : « قَوْلُهُ : « بَيْنَ أَحْرَةٍ » ، هُوَ مَعَ حَرِيرٍ ؛ وَهُوَ مَعُ يَنْفَادِ مِنَ الْأَرْضِ وَبَلْفَظٍ ، وَالْفَحَّاجُ : الْطَرَفُ ، وَاحِدُهُمَا فَحٌّ .

(٢) قَالَ الْبَرْدُ : « قَوْلُهُ : « ذَا الرِّجَارِ » ، هُوَ بَرَسٌ ، وَكَانَ ذُو الرِّجَارِ مَرَسَ مَالِكِ بْنِ نُؤَيْرَةَ ؛ قَالَ جَرِيرٌ يَهْجُو الْفَرَزْدَقَ :

بِرَبْرِجٍ فَخَرْتُ وَآلِي سَعْدٍ فَلَا يَجِدُنِي يَنْفَتٌ وَلَا انْفِطَارِي

بِرَبْرِجٍ فَوَادِسُ كُلِّ يَوْمٍ بَوَارِي شَمْسِهِ رَهَجُ الْعَبَارِي

عُتْبَةُ وَالْأَحْبِيرُ وَابْنُ صَرْدٍ وَعَتَابُ وَفَارِسُ ذِي الرِّجَارِ =

أَخَادِعُهُمْ عَنْهُ لِيَنْبُقَ دُونَهُمْ وَأَعْلَمُ خَيْرَ الظَّنِّ إِلَى مَسَاوِرُ
كَأَنِّي وَأَبْدَانِ السَّلَاحِ عَشِيَّةَ يَمْرٍ بَنَافِي بَطْنِ فَيْحَانَ طَائِرٌ^(١)

فقال له : أتميمي أنت ؟ قال : نعم ، قال : أحفظني ؟ قال : نعم ، قال : أيربوعي ؟ قال :
نعم ، قال : أئين آل نؤيرة ؟ قال : نعم ، أما ولد مالك بن نؤيرة ؟ قال : قد عرفتك بالشعر .
قال أبو المباس : وذو الخمار فرس مالك بن نؤيرة .

قال : فكثروا أياها يتعاربون^(٢) ودواشهم مسرجة ، ولا خنادق لهم ؛ حتى صُفِّ
الفريقان ؛ فلما كان الليلة التي قُتِلَ في صبيحتها عَبدُ رَبِّه ، جمع أصحابه ، فقال : يا معشرَ
المهاجرين ؛ إن قَطْرِيًّا وَعُبَيْدَةَ هَرَبَا مُطْلَبًا لِبَغَاءِ ، ولا سبيلَ إلى البقاء ، فالتقوا عَدُوَّكُمْ خَدَاءَ ،
فإن غلبوكم على الحياة ، فلا يَضِلُّبُتْكُمْ عَلَى الْمَوْتِ ؛ فَتَقْتُلُوا الرُّمَاحَ بِنَعُورِكُمْ ، والسيوفَ
بِوُجُوهِكُمْ ، وَهَبُّوا أَنْفَكُمْ فِي الدِّيَالِ يَهْبِئُ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ .

فلما أصبحوا ، غَادُوا لِلْمَلَبِّ ، فَاتَّقَتُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، أَنَسَى مَا كَانَ قَتْلُهُ ؛ وَقَالَ رَجُلٌ
مِنَ الْأَزْدِ ، مِنْ أَصْحَابِ الْمَلَبِّ : مَنْ يَبْكَ يَدِينُ عَلَى الْمَوْتِ ؟ فَبَايَهُ أَرْبَعُونَ رَجُلًا مِنَ الْأَزْدِ ،
فَصُرعَ بَعْضُهُمْ ، وَقَتَلَ بَعْضُهُمْ ، وَجَرَحَ بَعْضُهُمْ .

== وقوله : « أطوا » ؛ يقال : رجل طوى الطل ؛ أي مطو ؛ يحبر أنه كان يؤزر درسه على ولده فيشعه
وهم جباع ؛ وذلك قوله :

• أَخَادِعُهُمْ عَنْهُ لِيَنْبُقَ دُونَهُمْ •

والنفوق : شرب آخر النهار ؛ وهو شيء حنقره العرب ، ، والقهنة : الطعام الذي يتناول به قبل
الفداء ؛ أو الكامل :

جَزَانِي دِيَوَانِي ذُو الْخَمَارِ وَصَنْعَتِي إِذَا بَاتَ أَطْوَاءُ بَنِي الْأَصَاغِرِ

قال الرسي : ديوان ، بالكسر : مصدر دوى الفرس مداواة : سقاء اللبن ، وصنعة الفرس : حسن
القيام عليه .

(١) أيدان السلاح : جمع يدان ؛ وهو الدرع القصيرة ، ويحان : موضع أو وادي بن أسد .

(٢) الكامل : « يتعارسون » .

وقال عبدالله بن رزام الحارثي للمهلب: ارحلوا، فقال المهلب: أعرابي مجنون - وكان من أهل نجران - حمل وحده؛ فاخترق القوم حتى خرج من ناحية [أخرى]؛ ثم كر ثانية فقلع قلعته الأولى، ونهاج الناس، فترجلت الحوارج، وعقرُوا دوابهم، فناداهم عمرو القنا - ولم يترجل هو ولا أصحابه^(١)، وهم زهاء أربعمائة - فقال: موتوا على ظهور دوابكم كراماً، ولا تمقرؤوها، فقالوا: إنا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار، [فاقتلوا]^(٢)، ونادى المهلب بأصحابه: الأرض الأرض! وقال لبنيه: تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم، ونادت الحوارج: ألا إن العيال لمن قلب؛ نصبر بنو المهلب؛^(٣) وقاتل يزيد بين يدي أبيه قتالا شديداً^(٤)، أبلى فيه، فقال له أبوه: يا بني، إني أرى موطناً لا ينصوفه إلا من صبر، وما مرّ بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب.

وكسرت الحوارج أجفان سيوفها، ومحاوّلوا، فأجلت جرحاتهم عن عبد ربه مقتولا. فهرب عمرو القنا وأصحابه، واستأنس قوم، وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجريح من الحوارج ومأسور، وأمر المهلب أن يدفع كل جريح إلى عشيرته، وظفر بسكرهم، فحوى ما فيه، ثم انصرف إلى جبرقت، فقال: الحمد لله الذي ردّنا إلى الخفص والدعة، فإنا كان عيشنا ذلك العيش^(٥).

ثم نظر المهلب إلى قوم في عسكره ولم يعرفهم، فقال: ما أشدّ عادة السلاح^(٦) إذا ولّني دِرْعي، فلبسها، ثم قال: خذوا هؤلاء؛ فما صيرهم إليه، قال: ما أنتم؟ قالوا: جئنا لطلب غريمك لافتك^(٧) بك. فأمر بهم فقتلوا.

(١) من الكامل.

(٢) الكامل: «هو وأصحابه».

(٣) من الكامل.

(٤ - ٤) الكامل: «وصبر يزيد بين يدي أبيه» وقاتل قتالا شديداً.

(٥) الكامل: «فإنا كان عيشنا عيش».

(٦) وكذا في الكامل، ويرى السيد جاسم أن الأسب: «ما أشدّ عادة إيس السلاح».

(٧) الكامل: «لغتك بك».

[طَرْفٌ مِنْ أَخْبَارِ الْمُهَلَّبِ وَبَنِيهِ]

ووجه كعب بن معدان الأشقرى^(١) ومرة بن بليد الأزدي ، فوردوا على الحجاج ، فلما طلما عليه ، تقدم كعب فأشده^(٢) :

• يَا حَفْصُ إِنِّي عِدَائِي مِنْكُمْ الْفَرُّ^(٣) •

فقال الحجاج : أشاعر أم خطيب ؟ قال : شاعر ؛ فأشده القصيدة ؛ فأقبل عليه الحجاج ، وقال : خبرني عن بني المهلب ، قال : للميرة سيدهم وقارسهم ، وكفى يزيد فارسا شجاعا !

(١) الأشقرى : منسوب إلى الأشقر ؛ بطن في الأزدي .

(٢) قصيدة طويلة ؛ يذكر فيها يوم دامهرمز وأيام سابور وحيرت ، أوردتها الطبري في تاريخه

١٠٤ : ٦ (٣) وطنه :

• وَقَدْ أَرَقْتُ لِيَأْذِي عَيْنِي الْمَهْرُ •

ومنها :

عُلِقَتْ يَا كَعْبُ بَعْدَ الشَّيْبِ غَايَةً	وَالشَّيْبُ فِيهِ مِنَ الْأَهْوَاءِ مُرْدَجَرٌ
أُمْسِكَ أَسْتَحْيَا بِالْأَيْ حَيْدَتِ	أَمْ حَبْلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مِنْبَرٌ
عُلِقَتْ خَوْدًا بِأَعْلَى الطَّافِ مَزْلُهَا	فِي غُرْفَةٍ دُونَهَا الْأَبْوَابُ وَالْحَجَرُ
دُرْمًا مَقَاكِأَ رَبًّا مَا كَمُهَا	تَكَادُ إِذْ تَهَضَّتْ لِلشَّيْ تَنْبَغِرُ
وَقَدْ تَرَكْتُ بِشَطِّ الزَّابِيَيْنِ لَهَا	دَارًا مَهَابَةً بِمَقْدُودِ الْبَادُونَ وَالْخَضِرُ
وَاحْتَرَتْ دَارًا بِهَا حَتَّى أَمَرْتُ بِهِمْ	مَازَالَ فِيهِمْ لِمَنْ تَحْتَارُهُمْ خَيْرٌ
لَمَّا نَبْتُ لِي بِلَادِي يَمُرْتُ مُنْتَجِعًا	وَطَالِبِ الْخَيْرِ مَرْتَادٌ وَمُنْتَظَرٌ
أَهَا سَعِيدٍ فَإِنِّي جِئْتُ مُنْتَجِعًا	أَرْجُو نَوَاقِثَ لَنَا مَتْنِي الضَّرَرُ
لَوْلَا الْمُهَلَّبُ مَازَرْنَا بِلَادَهُمْ	مَادَامَتْ الْأَرْضُ فِيهَا لِلْمَاءِ وَالشَّجَرُ
فَمَا مِنَ النَّاسِ مِنْ حَتَّى عَلِمْتُهُمْ	إِلَّا يُرَى فِيهِمْ مِنْ سَتِيكُمْ أَثَرٌ

وجواذهم وسخيتهم قبيصة ، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدركه ، وعبد الملك سم نافع ، وحبيب موت ذعاف ، ومحمد ليث غيب ، وكفالك بالفضل نبذة ا فقال له : فكيف خلقت جماعة الناس ؟ قال : خلتهم بخير ، قد أدركوا ما أملوا ، وأمنوا ما خافوا ، قال : فكيف كان بنو المهلب فيهم ؟ قال : كانوا سحاة السرح فإذا أيلوا ففرسان للبيات ، قال : فأيتهم كان أنجد ؟ قال : كانوا كالحلقة للمرغمة ، لا يدرى [ابن] طرفاها ، قال : فكيف كنتم أنتم وهدوتكم ؟ قال : كنا إذا أخذنا صفونا وإذا أخذوا يمسنا منهم ؛ وإذا اجتهدنا واجتهدوا طيعنا فيهم . قال الحجاج : إن العاقبة للمتقين ، فكيف أملتكم قطري ؟ قال : ^(١) كدناه وغلن أن قد كادنا ، بأن صرنا منه إلى التي نحب ^(٢) . قال : فهل انبمتموه ؟ قال : كان حرب الحاضر أثر عندنا من اتباع الفل ^(٣) ، قال : فكيف كان للمهلب لكم وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقة الوالد ، وله منا بر المولود ، قال : فكيف كان اغتيال الناس به ؟ قال : نشأ ^(٤) فيهم الأمن ، وشملهم الغفل ^(٥) ، قال : أكنت أعددت [لي] ^(٦) هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم السبب إلا الله ، قال : هكذا والله تكون الرجال ! المهلب كان أعلم بذلك حيث بشك .

هذه رواية أبي السباس ^(٧) .

وروى أبو الفرج في الأغاني ^(٨) أن كعبا لما أوفده للمهلب إلى الحجاج أنشده قصيدته التي أولها :

(١) من الكامل .

(٢ - ٣) الكامل : « كدناه ببس ما كادنا به ، صرنا منه إلى التي نحب » .

(٣) الكامل : « كان الحد صدنا أثر من الفل » .

(٤) الكامل : « نشأ » .

(٥) الغل : الغنية .

(٦) من الكامل .

(٧) للسكامل ٦٩٥ (طبع أوروبا) .

(٨) الأغاني الجزء الرابع عشر ٢٨٤ - ٢٨٥ (طبعة القار) .

يَا حَفْصُ إِنِّي هَذَا نِي عَنْكُمْ السَّهَرُ ^(١) وقد سهرتُ وأدّى عيني السَّهَرُ ^(٢)
بذكر فيها حروب المهلب مع الخوارج ، وبصف وقائمه فيهم في بلد ؛ وهي طويلة ،
ومن جعلها ^(٣) :

كنا نهون قبل اليوم شأنهم حتى تفاقم أسراكت ^(٤) يُحْتَرَمُ ^(٥)
لَمَّا وَهَنَّا وَقَدْ حَسَلُوا بِسَاحَتِنَا واستنفر الناس تاراتٍ فما نَفَرُوا ^(٦)
نَادَى امرؤ لا خلافاً في عسيرته عنه ، وَلَيْسَ بِهِ عن مثله قِصَرُ
خَبُوا كَيْبَهُمُ بالسَّفْحِ إِذْ نَزَلُوا بَكَارُونَ فما عَزُّوا ولا نَصَرُوا ^(٧)
بَاتَتْ كَتَائِبُنَا تَرْدِي مُسَوِّمَةً حَوَّلَ للمهلب حتى تَوَرَّ القُمرُ ^(٨)
هُنَاكَ وَلَوْأَا خَزَابَا نَمَدَ مَا هَزَمُوا وعال دوسهم الأسهار والجُدُرُ
تَأَبَّى عَلَيْنَا حِرَازَاتُ النُّفُوسِ فَمَا بَقِيَ عَمَلُهُمْ وَلَا يُبْقُونَ إِنْ قَدَرُوا ^(٩)

فضحك الحجاج ، وقال : إنيك لم تصف بأكعب ، ثم قال له : كيف كانت حالكم
مع عدوكم ؟ قال : كنا إذا لقيناهم بفقونا وضموم بئسنا ^(١٠) منهم ، وإذا لقيناهم بجِدْنَا
وجِدْم ^(١١) طمعنا فيهم . قال : فكيف كان نحو المهلب ؟ قال : حماة الحرير نهاراً ،
وفرسان الليل تيقظاً ^(١٢) ؛ قال : فأين الدُّعَا من العيان ؟ قال : السماع دون العيان ، قال :

(١) عداه عن الأمر : صرفته عنه .

(٢) قال أبو الفرج بعد أن أورد آياتاً منها : « وهي نصيدة طويلة ؛ قد ذكرها الرواة في الخبر ؛
فذكرت ذكرها لطولها ؛ يقول فيها . . . » وأورد الآيات .

(٣) في الأمان قبل هذا البيت :

فَمَا يَجَاوِرُ بَابَ الْجِسْرِ مِنْ أَحْسَدٍ قَدْ عَصَتْ الْحَرْبُ أَهْلَ الْمَصْرِ فَانْجَحَرُوا

(٤) استنفر الناس : استنجدهم .

(٥) في الطبري ، « عبوا حنودهم » .

(٦) الكتبية : جماعة الخيل ، وتردى : لضرب الأرض بمحارمها .

(٧) الأغاني : « ضوم تأيس لهم » .

(٨) الأغاني . « يجهدنا وجههم » .

(٩) الأغاني : « أيلظا » .

صنهم لى رجلا رجلا . قال : الخيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ، وصعدة^(١) طالية .
وكفى بيزيد فارسا شجاعا ! ليث غاب ، وبحر جَم العباب . وجوادهم قبيصة ، ليث
الغار ، وحامى الذمار ؛ ولا يستعى الشعاع أن يفِر من مُدرك ؛ وكيف لا يفِر من
مدرك ، وكيف لا يفِر من اللوت الحاضر ، والأسد الحادر^(٢) ! وعبد الملك سَم نافع ،
وسيف قاطع ؛ وحبيب اللوت الدعاف^(٣) ، طود شامخ ، وبحر باذع^(٤) ؛ وأبو عينة
البطل الممام ، والسيف الحسام ؛ وكفاك بالفضل تجدة ، ليث هذار وعمر مَوَاز^(٥) ! ومحمد
ليث غاب ، وحسام خراب . قال : فأيتهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرغة لا يعرف
طرفاها^(٦) ؛ قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أرضاهم العدل ، وأغنام
التفّل . قال : فكيف رصاهم بالهلب ؟ قال : أحسن رضا ، لا يعدمون^(٧) منه إشفاق
الوالد ، ولا يعدم منهم برّ الولد^(٨) . وذكر تمام الحديث .

وقال : إن الحجاج أمر له بعشرين ألف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على
عبد الملك ؛ فأمر له بعشرين ألفا أخرى .

قال أبو الفرج : وكعب^(٨) الأشقرى من شعراء الهلب ومادحيه ؛ وهو شاعر
مجيد . قال عبد الملك بن مروان لشعراء^(٩) : تشبهوننى مرة بالأسد ، ومرة بالهازي ،
ألا قلتم كما قال كعب الأشقرى للهلب وولده :

بَرَآكَ اللهُ حِينَ بَرَآكَ بِحَرْماً وَفَجَّرَ مِنْكَ أَنْهَاراً يَحْزَارَا

(١) ذكّت النار : اشتد لها ، والصعدة : القنّة المستوية تبت كمدك .

(٢) أسد حاضر : مقيم في مربيته داخل في الحضر .

(٣) الدعاف : السريح .

(٤) الباذع : العالي .

(٥) مَوَاز : مضطرب .

(٦) في الأصول : طرفها ، وما أثبتته من الأغاني .

(٧ - ٨) الأغاني : وكيف لا يكونون كمدك ؟ وهم لا يعدمون رضا الولد ، ولا يعدم منهم برّ الولد .

(٨) الأغاني ١٤ : ٢٨٦ ، ٢٨٧ .

(٩) الأغاني : كان يقول لشعراء .

بَنُوكَ السَّاهُونَ إِلَى الْعَمَالِ إِذَا مَا عَظُمَ النَّاسُ الْخِطَارَا^(١)
 كَانَهُمْ نَجْمٌ حَوْلَ بَذْرِ تَكْمَلُ إِذَا تَكْمَلُ فَاسْتَدَارَا^(٢)
 مُلُوكٌ يَسْزِلُونَ بِكُلِّ نَفِيرٍ إِذَا مَا الْهَامُ يَوْمَ الرُّوْعِ طَارَا^(٣)
 رِزَانٌ فِي الْخُطُوبِ تَرَى عَلَيْهِم مِنْ الشُّيْخِ الشَّائِلِ وَالذُّجَارَا^(٤)
 نَجْمٌ يُهْتَدَى بِهِمْ إِذَا مَا أَخُو الظُّلَمَاءِ حَارَا^(٥)
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ : وَهَذَا الشَّرْحُ مِنْ قَصِيدَةِ لُكْبِ ، يَمْلَحُ بِهَا لِلْمَلِكِ ؛ وَيَذْكُرُ
 الْخَوَارِجَ^(٦) ، وَمِنْهَا :

سَلُوا أَهْلَ الْأَبَاطِحِ مِنْ قُرْبَى مَنْ الْهَدْيِ الْمُؤْتَلِ أَيْنَ صَارَا^(٧)

(١) الْخَطَارُ : الرَّاحَةُ .

(٢) الْأَعَانُ :

• دَرَارٌ عَلَى تَكْمَلِ فَاسْتَدَارَا •

(٣) الْهَامُ : الرُّؤْسُ .

(٤) فِي الْأَعَانِ : « دَرَارٌ فِي الْأُمُورِ » ، وَاسْتَدَارَ : الْخَبَرُ وَالْأَمَلُ

(٥) فِي الْأَعَانِ : « أَخُو الظُّلَمَاءِ » .

(٦) ذَكَرَ صَاحِبُ الْأَعَانِ ثَلَاثَةَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِهَا ؛ عَمَلِيَّةٌ غَاءَ :

طَرِبْتُ وَهَاجَ لِي ذَاكَ إِذَا كَارَا بَغَشٌّ وَقَدْ أَطْلُتْ بِهِ الْخِصَارَا

وَكُنْتُ أَلَذُّ بِمَعَى الْعَيْشِ حَتَّى كَبُرْتُ وَصَارَ لِي هَمِّي شِمَارَا

رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ كَرِهْنَ وَصَلِي وَأَنْدَبْنَ الْمَرْيَمَةَ لِي جِهَارَا

(٧) الْأَعَانُ ١٤ : ٢٩٥ ؛ وَذَكَرَ لَهَا :

غَرَضَنْ بِمَجْلِسِي وَكِرِهَنْ وَصَلِي أَوَانَ كُنَيْتُ مِنْ تَحْمِيلِ عِذَارَا

ذَرَبَنْ عَلَى حِينَ بَدَأَ مَشْيِي وَصَارَتْ سَاحَتِي لِلْهَمِّ دَلَارَا

أَتَانِي وَالْحَدِيثُ لَهُ نَمَاءُ مَقَالَةُ جَائِرٍ أَحَقُّ وَجَارَا

وَذَكَرَ بِهِ :

وَمَنْ بِحَمَى الثُّغُورِ إِذَا اسْتَعْرَتْ حُرُوبٌ لَا يَنْوِنُ لَهَا غَرَارَا

تَقَوْمُ الْأَزْدِ فِي الْفُجَرَاتِ أَمْضَى وَأَرْفِ ذِمَّةً وَأَعِزَّ جَارًا (١)
 هُمْ قَادُوا الْجِيَادَ عَلَى وَجَاهِهَا مِنَ الْأَمْصَارِ بِحَذْفِ الْيَهَارَا (٢)
 إِلَى كِرْمَانَ يَحْمِلُنَ الْمَنَابِيَا بِكُلِّ تَنْيِقٍ يُوقِدُنَ نَارًا (٣)
 شَوَازِبَ مَا أَصْبَنَا النَّارَ حَقِّ رَدَدَهَا مَكَلَمَةً مَرَارًا (٤)
 غَدَاةَ نَرْكُنَ مَصْرَعٍ عَبْدٍ زَبَرِ تَنْزَنَ عَلَيْهِ مِنْ رَهْجٍ غُبَارًا (٥)
 وَيَوْمَ الزَّخْفِ بِالْأَهْوَاِ ظُلُمًا نُرَوِّى مِنْهُمْ الْأَسْلَ الْجِرَارًا (٦)
 فَهَرَّتْ أَعْيُنٌ كَأَمْتِ حَزِينًا قَلِيلًا مَوْثَمًا إِلَّا غِرَارًا (٧)
 وَلَوْلَا الشَّيْخُ بِالْمِصْرَيْنِ بَنِي هَدَوْتُهُمْ لَقَدْ نَزَّلُوا الدُّبَارَا (٨)
 وَلَكِنْ قَارَعَ الْأَطَالُ حَقِّ أَصَابُوا الْأَمْنَ وَاحْتَلَوْا الْقَرَارَا (٩)

(١) الأغاني : « لقومي الأزد »

(٢) الوحي : الحى ، وذكر هذه :

بِكُلِّ مَفَازَةٍ وَكُلِّ مَهْمَةٍ تَسَاسٍ لَا يَرَوْنَ لَهَا مَعَارَا

(٣) التوبة : الطريق إلى الحل .

(٤) مَكَلَمَةٌ : مجروحة ، وول الأغاني : « لم يصب » ، وهذه :

وَيَشْجُرُونَ الْعَوَالِي السُّمَرَّ حَقِّ تَرَوِّى فِيهَا مِنَ الْأَسْلَ أَزُورَارَا

(٥) هو عذرة الصمير أمير الأزارقة المذكور فلا ؛ بعد فطرى . ول الأغاني : « يترن عليه من رهج عصاراً » ، والمصار هو القار .

(٦) الجرار : جمع حرائ ؛ وهو الصنجان .

(٧) حريق ؛ فاعل ، مما يستوى فيه للفرد والثني والجمع ، والمذكر وللثلاث ، ول الأغاني : « حديثاً » ، وهذه في الأغاني :

صَنَائِمُنَا السَّوَابِغُ وَلِلذَاكِي وَمَنْ بِالْمِصْرِ بِحَتْلِبِ الْمِشَارَا
 فَهِنَّ يُبَحِّنُ كُلَّ حَقٍّ عَزِيزِ وَيَحْمِينُ الْحَقَائِقَ وَالْقَبَارَا
 طَوَالَاتُ اللَّتُونِ يُصَنُّ إِلَّا إِذَا سَارَ لِلْهَلْبِ حَيْثُ سَارَا

(٨) المصران : البصرة والكوفة . ول الأغاني : « تركوا الديارا » .

(٩) الأغاني :

• أَصَابُوا الْأَمْنَ وَاجْتَنَبُوا الْفِرَارَا •

إِذَا وَهَنُوا وَحَلَّ بِهِمْ عَظِيمٌ يَدُقُّ الْعَظَمَ كَأَنَّهُ لَمْ يُجَارَا
وَمُبْهَمَةٌ بِمِجْدُ النَّاسِ عَنْهَا تَسْبُ لِمَوْتٍ شَدِيدٍ لَهَا لُجَارَا
شِهَابٌ تَنْجَلِي الظُّلُمَاءِ عَنْهُ يَرَى فِي كُلِّ مُظْلِمَةٍ مَنَارًا^(١)
بِرَّكَ اللَّهُ حِينَ يَرَاكَ بَحْرًا وَفَجَّرَ مِنْكَ أَمَّارًا غَرَارًا

الآيات للتقدمة .

قال أبو الفرج : وحدثني^(٢) محمد بن خنف وكيك ، بإسناد ذكره ؛ أن الحجاج لما كتب إلى المهلب بأمره بمواجهة الخوارج حينئذ ، وبسببته ، وبضيمته وبمجزئه من تأخيرهم ، ومطاولته لهم ، قال المهلب لرسوله قل له : إنما البلاء أن يكون الأمر لمن يملكه ، لا لمن يمر به ؛ فإن كنت نصتني لحرب هؤلاء القوم - هل أن أدبرها كما أرى ، فإذا أمكنتني فرصة انهزمتها ، وإن لم تمكنني توقفت - فأنا أدبر ذلك بما يصلحه ؛ وإن أردت أن أعمل برأيك وأنا حاضر وأنت غائب - فإن كان صولنا إليك ، وإن كان خطأ فملي - فأبست من رأيت مكاني ؛ وكتب من قوريه بذلك إلى عبد الملك ؛ فكتب عبد الملك إلى الحجاج : لا تعارض المهلب فيها براء ، ولا تسعه ودعه يدبر أمره .

قال : وقام كعب الأشقرى إلى المهلب ، فأشده بحضرة رسول الحجاج :
إِنَّ ابْنَ يَوْسَفَ غَرَّهَ مِنْ أَمْرِكُمْ خَفَضَ الْمَقَامَ بِجَانِبِ الْأَمْصَارِ^(٣)
لَوْ شِئْتُمْ الصَّفَيْنِ حَيْثُ تَلَاقِيَا صَافَتْ عَلَيْهِ رَجِيْبَةُ الْأَقْطَارِ
مِنْ أَرْضِ سَابُورِ الْجُنُودِ وَخَيْلِنَا مَلَأَ الْقَدَاحَ بَرَبَتْهَا شِفَارِ

(١) الأغاني : « في كل مظلمة » .

(٢) الأغاني ١٤ : ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

(٣) الأغاني : « غره من غزوك » .

من كل صديد يرى بلبائه وَفَعُ الغُلباءُ مع القنا الخطَّار^(١)
 ترأى معاودة الرباع غنيمة أزمان كانت محالف الإقار
 فدع الحروب لشيبيها وشبابها وعليك كل غريزة منقطار^(٢)

فبلغت آيائه الحاج ، فكتب إلى المهلب يأمره بإشغاف كعب الأشقرى إليه ؛
 فأعلم [المهلب] ^(٣) كعبا بذلك ، وأوفده إلى عبد الملك من ليته ، وكتب إليه يستوحيه منه ؛
 فقدم كعب على عبد الملك برسالة المهلب ، فاستدطقه فأعجبه ، وأوفده إلى الحاج ؛ وكتب
 إليه يُقسم عليه أن يصفح ، ويعفو عما بلغه من شره ؛ فلما دخل قال : إبه يا كعب !

• ترأى معاودة الرباع غنيمة •

فقال : أيها الأمير ، والله لو ددت في بعض ما شاهدته من تلك الحروب ، وما أوردته
 المهلب ^(٤) من خطرها ، أن أنحور منها وأكون سحاما أو حائكا ، قال : أولى لك !
 لولا قسم أمير المؤمنين ما فعلت ما تقول ؛ الحق بصاحبك ؛ وردة إلى المهلب ^(٥) .



قال أبو العباس : وكان ^(٦) كتاب المهلب إلى الحاج ، الذي بشره فيه
 بالظفر والنصر :

[بسم الله الرحمن الرحيم] ^(٧) ؛ الحمد لله السكافي بالإسلام فقد ماسواه ، الحاكم بالآلا
 ينقطع المزيد من فضله حتى ينقطع الشكر من عباده ؛ أما بعد :

(١) اللان ها : الصبر ، والطاة : جمع طلة ؛ وهي حد السيف . ورمح حطار : ذو اهتزاز شديد .
 (٢) امرأة حطار : اعتادت أن تعهد بها بالطيب وتكثر منه .
 (٣) من الأغاني .
 (٤) الأغاني : « بوردها » .
 (٥) الأغاني : « من وقته » .
 (٦) الكامل ٣ : ٤٠٤ وما بعدها (طعة نهضة مصر) .
 (٧) من الكامل .

قد كان من أمرنا ما قد بلغك ، وكنتا نحن وعدونا على حالين مختلفين ، يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ، ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم ، على اشتداد شوكتهم ؛ فقد كان علا أمرهم حتى ارتفعت له الفتاة ، ونؤم به الرضيع ، فانهزت الفرصة منهم في وقت إسماعها ؛ وأدبیت السواد من ^(١) السواد ، حتى تعارفت الوجوه ؛ فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله ، فقطّع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين .
فكتب إليه الحجاج :

أما بعد ؛ فقد فعل الله بالمسلمين خيراً ، وأراحهم من بأس الجلاء ، وثقل الجهاد ؛ ولقد كنت أعلم بما قبلك ؛ فالحمد لله رب العالمين ؛ فإذا ورد عليك كتابي فاقسم في المجاهدين فيهم ، وثقل ^(٢) للناس على قدر بلائهم ، وقصل من رأيت تفضيله ؛ وإن كانت بقيت من القوم بقية خلف حبل القوم يراهم ، واستعمل على كرماني من رأيت ، قول الخليل شهناً من ولدك ، ولا ترم من لأحد في المعاق بمنزلة دون أن تقدم بهم على ، ومجمل القوم إن شاء الله .

فولى المهلب يزيد ابنه كرماني ، وقال له : يا بني ، إنك اليوم لست كما كنت ؛ إنما لك من كرماني ما فضل عن الحجاج ؛ ولن نمثل إلا على ما احتل عليه أبوك ، فأحسن إلى من تبعك ؛ وإن أنكرت من إنسان شيئاً فوجهه إلى ، وتفصل على قومك ، [إن شاء الله] ^(٣)

(١) أي قريت ما بين الفريقين .

(٢) قال للبرد : قوله : د ثقل أي أقم بينهم ؛ وليس : الطية التي تفضل ؛ كذا كان الأصل ؛ وإنما تفضل الله عز وجل بالتمام على عباده ؛ قال ليده :

إِنْ تَقَوَّى رَبِّيَا خَيْرٌ نَقَلَ وَيَا ذَنْنِ اللَّهِ رَبِّيَا وَجَعَلَ

والله جل جلاله ؛ (يَسْأَلُكَ عَنِ الْأَنْفَالِ) ، وقال : ففعلت كذا وكذا ؛ أي أعطيتك ، ثم صار النفل لازماً واجباً . (٣) من الكامل

ثم قدم المهلب على الحجاج ، فأجلسه إلى جانبه ، وأظهر يده وإكرامه ؛ وقال : يا أهل العراق ، أنتم عبيد قن للمهلب ؛ ثم قال : أنت والله كما لقيط^(١) :

فَقَلَّدُوا أَمْرَكُمْ فَهْ دَرَّكُمْ رَحِبَ الدَّرَاعِ بِأَمْرِ الْحَرْبِ مُعْظَمًا^(٢)
لَا يَطْعَمُ النَّسُومَ إِلَّا رَيْثَ بَيْتِهِ هَمْ يَسْكَادُ حِشَاءَ يَقْصِمُ الصَّلَامَ^(٣)
لَا مَرَقًا إِنْ رَخَاهُ الْعَبَشُ سَاعِدَهُ وَلَا إِذَا عَضَّ مَكْرُوهٌ بِهِ خَشَمًا^(٤)
مَازَالَ يَحْلِبُ هَذَا الدَّهْرَ أَشْطَرَهُ يَكُونُ مَتَبِعًا طَوْرًا وَمُتَبِعًا^(٥)
حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرِّهِ مَرِيرَتُهُ مَسْتَعْمِلًا لِرَأْيٍ لَا فَخْمًا وَلَا ضَرَعًا^(٦)

وروى أنه قام إليه رجل فقال : أصدق الله الأمر يا والله لكأنى أسمع الساعة قطرباً وهو يقول لأصحابه : المهلب والله كما قال لقيط الإبدي ، ثم أشد هذا الشعر . فسرت الحجاج حتى امتلأ سروراً ؛ فقال المهلب : أما والله ما كنا أشد من عدونا ولا أهدأ ، ولكن دمع الحق الباطل ، وقهرت الجماعة الفتنة ، والعاقبة للمتقين^(٧) ؛ وكان ما كرهناء من المطاولة خيراً لنا مما أحببناه من المعاجلة .

(١) هو لقيط بن يسر الإبدي ؛ من قبيلة طوية ؛ ذكرهما ابن الجعفي في مختاراته ١ - ٦ ؛ أنشد فيها قومه من بلاد بصر وكسرى ؛ وكان كاتباً في ديوانه ؛ وأولها :

يَا دَارَ حَمْرَةٍ مِنْ مَحْتَلِّهَا الْجُرْعَا هَاجَتْ لِي الْمَهْمُ وَالْأَحْزَانُ وَالْوَجَمَا
تَأَمَّتْ قَوَادِي بِذَاتِ الْجُرْعِ حِرْعَةً مَرَكْتُ تَرِيدُ بِذَابِ الْمَذِيذِ الْبَيْمَا

(٢) رحب الدراع : بريد واسع الصدر متعاهد ما بين التوسكين ، كناية عن قوته وشدته مراسه ، ومضطماً : أي يحمل الأمر ويقوم عليه .

(٣) ريث بيته ، أي مقار ما بيته .

(٤) للترف : لتتم العادة في ملاده .

(٥) يحلب أشطره ؛ أي أنه أشد ضروب الفهر من خير شر وجلو ومر .

(٦) للريرة من الحبال : ملطاله واشتد قتله ؛ واستمرت استحكمت ، والشرر : القتل إلى فوق ؛ خلاف اليسر ؛ وهو القتل إلى أسف ؛ والأول أحكم الفتنين ؛ ضرب ذلك مثلاً لاستجلاء قوته . والضرع : الضمير الضعيف ، والقهم : آخر من الشيخ .

(٧) الكامل : لا تنفوي .

قال الحجاج : صدقت ، اذ كر لي القوم الذين أبثوا ، وصف لي بلاءهم ، [فأمر
الناس فكتبوا ذلك إلى الحجاج ، فقال لهم المهلب : ما ذكر الله لكم خيراً لكم من عاجل
الدنيا إن شاء الله] ^(١) ، فذكرهم ^(٢) المهلب على مراتبهم في البلاء ، وتفاضلهم في العناء ،
وقدم بنو : المعيرة ، ويزيد ، ومدركا ، وحبيبا ، وقبيصة ، والفضل ، وعبد الملك ، ومحمداء ،
وقال : والله لو واحد يقدمهم في البلاء لقدّمته عليهم ، ولولا أن أظلمهم لأخترتهم . فقال
الحجاج : صدقت ، وما أنت أعلم بهم مني ، وإن حضرت وغبث لهم سيوف من سيوف
الله . ثم ذكر ممن بن المعيرة والرقاد وأشباههما .

قال الحجاج : من الرقاد ^(٣) ؟ فدخل رجل طوبل أجناً ^(٤) ، قال المهلب : هذا فارس
العرب ، فقال الرقاد للحجاج : أيها الأمير ، إني كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت
كبعض الناس ، فلما صرت مع من يكرهني الصبر ، وبمحلني أسوة نفسه وولديه ، وبخازني
على البلاء ، صرت أنا وأصحابي فرساناً .

فأمر الحجاج بتفصيل قوم على قوم على قدر بلاءهم ، وراد ولد المهلب ألقين
ألقين ، وفعل بالرقاد وبجماعة شبيها بذلك .

وقال يزيد بن حبناء من الأزارقة :

دعي اللوم إن العيش ليس بدائم ولا تنجلى باللوم يا أم عاصم ^(١)
فإن جعلت منك للامة فاسمي مقالة مميّ بحدك عالم
ولا تمذليسا في الهدية إنما تكون الهدايا من فضول المعانم

(١) من السكامل .

(٢) السكامل : « ثم ذكرهم » .

(٣) السكامل : « أين الرقاد » .

(٤) أجناً ، من الجأ ، بالتحريك ، وهو ميل و الطهر .

(٥) السكامل ٣ : ١٠٩ ، ١١٠ .

وليس بمُهْدِمٍ : يكون نهاره
يُرِيدُ ثَوَابَ اللَّهِ يَوْمًا بِطَمَنَةٍ
أَبَيْتُ وَسِيرًا بَالِي دِلَامٍ حَصِينَةٍ
حلفتُ بربِّ الواقفين عَشِيَّةً
لقد كان في القوم الذين لقيتهم
تَوَقُّدٌ في أيديهم زَائِعِيَّةٌ
وقال الليرة الحنظلي من أصحاب المهلب :

إني امرؤٌ كَفَنِي رَبِّي وَأَكْرَمِي
وَأَنْعَمَا أَنَا إِنْسَانٌ أَعِيشُ كَمَا
مَاعَاقِي عَنْ قُفُولِ الْجُنْدِ إِذْ قَعَلُوا
وَلَوْ أَرَدْتُ قُفُولًا مَا جَعَلْتَنِي
إِنَّ الْمَهْلَبَ إِنْ أَشْتَقُ لِرُؤْيَيْكَ
أَنَّهُ الْأَرِيبُ الَّذِي تُرْجَى نَوَافِلُهُ
وَالْقَاتِلُ الْفَاعِلُ الْمِسُونُ طَائِرُهُ
أَرْمَانُ كَرْمَانٍ إِذْ غَضَّ الْحَدِيدُ بِهِمْ
من الأمور التي في غَمِّهَا وَخَمٌّ (١)
عاشت رجالًا وطاشت قبلها أُمٌّ
عَمِي عَمَّا صَعَوْا حَوْلِي وَلَا صَمَمٌ (٢)
إِذْنُ الْأَمِيرِ وَلَا السُّكَّابُ إِذْ رَقَمُوا
أَوْ أَمْتَدَحُهُ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ عَمُوا
وَالْمُسِيرُ الَّذِي تُجَلَّى بِهِ الْعَلَمُ
أَبُو سَعِيدٍ إِذَا مَاعُذَّتِ النَّفَمُ
وَإِذْ كَتَمَتْنِي رَجَالٌ أَتَمُّ هَزَمُوا

- (١) قال الليرة : « يريد عسى هو لي ليله ، ويكون هو لي نهاره ؛ ولكنه حمل الفعل الليل والنهار على السمة ؛ وفي القرآن : ﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ والمعنى : بل مكركم في الليل والنهار .
(٢) قال الليرة : قوله غموس ؛ يريد واسعة ، والصمدى ابن سالم : رجل منهم كان يقال له الأشدق .
(٣) الدلام : الذرع النساء الجيلة .
(٤) الطائم ، واحدتها طيمة ؛ وهي الإبل التي تحمل إبهرا والطر .
(٥) زاعية ؛ يعني الرماح . والزاعية : منسوبة إلى زاعت ؛ وهو رجل من المخرج كان يعمل الرماح وتفري : تفد .

(٦) الكامل . « و رعيها وحم » .

(٧) الكامل . « عني بما صنعوا بجر ولا بكم » .

وقال حبيب بن عوف من قواد الملأب :

أبا سعيد جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً فَدَّ كَفَيْتَ وَلَمْ تَمْنُفْ عَلَى أَحَدٍ^(١)
داوَبْتَ بِالْحِلْمِ أَهْلَ الْجَمَلِ فَأَقَمَعُوا وَكُنْتَ كَالْوَالِدِ الْحَانِي عَلَى الْوَلَدِ

وقال عبيدة بن هلال الخارجي يذكُر رجلا من أصعابه :

يَهْوِي فَرْقَعَهُ الرِّمَاحُ كَأَنَّهُ شِلْوٌ تَنْشَبُ فِي مَخَابِ صَارٍ^(٢)
يَهْوِي صَرِيحاً وَالرِّمَاحُ تَدُوشُهُ إِنْ الشَّرَاءُ قَصِيْرَةُ الْأَعْمَارِ^(٣)

• • •

[شبيب بن يزيد الشيباني]

ومنهـم^(١) شبيب بن يزيد الشيباني ؛ وكان في ابتداء أمره يصعب صالح بن مسروح ؛
أحد انطوارج الصفورية ؛ وكان ناسكاً مصغر الوجه ، صاحب عبادة ، وله أصعاب
بقرتهم القرآن ، ويفقههم ويقص عليهم^(٢) ؛ ويقدم الكوفة ، فيقيم بها الشهر
والشهرين . وكان بأرض الموصل والحريرة ؛ وكان إذا فرغ من التعميد والصلاة على النبي
صلى الله عليه وآله ، ذكر أبا بكر فأثني عليه ، وثني بمُر ، ثم ذكر هُثان وما كان من
أحداثه ؛ ثم عليا عليه السلام وتمحيمة الرجال في دين الله ؛ ويتبرأ من عُمان وعلي ، ثم

(١) لم تمنف ، من الصف ، وهو الشدة .

(٢) الشلو : الضو .

(٣) الكامل : « فتوى صريحا » .

(٤) نقل المؤلف أخبار شبيب من تاريخ الطبري ٢١٦ : وما بعدها ، أحيانا بنصها ، وأحيانا مع تصرف واختصار .

(٥) في الطبري : « فكان قبيصة بن عبد الرحمن حدث أصعابا أن قصص صالح بن مسروح عنده ،
وكان ممن يرى رأيهم ؛ فسأله أن يثبت بالكتاب إليهم ؛ فصل ؛ وكان قصصه : الحمد لله رب العالمين ،
الذي خلق السموات والأرض ؛ ثم أورد لس الكتاب ؛ وآخره : « جعلنا الله ولياكم من
الشاكرين التواكبين الذين يهدون بالمنى وبه يسلون » ؛ وقد أورد المؤلف ملخصا .

يدعو إلى مجاهدة أئمة الضلال ، وقال : تيسرُوا يا إخواني للخروج من دار القناء إلى دار البقاء ؛ والالتحاق بإخواننا المؤمنين ؛ الذين باعوا الدنيا بالآخرة ؛ ولا تجزَعُوا من القتل في الله ، فإنَّ القتلَ أيسرُ من الموت ، والموت نازل بكم ؛ مفترق بينكم وبين آبائكم وإخوانكم ، وأبنائكم وحلائلكم ودنياكم ؛ وإن اشتدَّ ذلك حزنُكم ؛ ألا فييموا أنفُسكم طائنين وأموالكم ؛ تدخلوا الجنة ... وأشبه هذا من الكلام .

وكان فيمن يحضره من أهل الكوفة سُويْدُ والبَطِينُ ؛ فقال يوما لأصحابه : ماذا تنتظرون ؟ ما يزيد أئمة الجور إلا عتوا وعلوا ، وتباعدوا من الحق ، وجراءة على الرب ؛ فرائلوا إخوانكم حتى باتوكم ؛ ونظروا في أمورنا ما نحن صانعون . وأتى وقت إن خرجنا نحن خارجون .

فبينما هو كذلك إذ أتاه المَهْلِلُ بْنُ وائِلٍ ^(١) بكتاب من شبيب بن يزيد ؛ وقد كتب إلى صالح :

أما بعد ؛ فقد [أردت الشخوص ، وقد] ^(٢) كتبت دعوتني إلى أمرٍ استجيب ^(٣) لك ؛ فإن كان ذلك ^(٤) من شأنك ، فإنك شيع للسلين ، ولم يعدل بك منا أحد ^(٥) ؛ وإن أردت تأخير ذلك أعلني ^(٦) ؛ فإن الأجال غادية ورائحة ؛ ولا آمنُ أن تحترقني النية ؛ ولما أجاهد الظالمين ؛ [فيأله خبنا ويأله ضلانا] ^(٧) ؛ جعلنا الله وإياكم ممن يريد الله بملئه [ورضوانه والنظر إلى وجهه ، ومرافقة الصالحين في دار السلام] ^(٨) . والسلام عليك .

(١) ب : د لاند ؛ وما أتته عن أ ، ج والطبري .

(٢) تسكة من تاريخ الطبري .

(٣) الطبري : « فاستجبت لك » .

(٤) الطبري : « فإن كان ذلك اليوم » .

(٥) الطبري : « ولن يعدل بك منا أحد » .

(٦) الطبري : « وإن أردت تأخير ذلك اليوم أعلني » .

فأجابه صالح بجواب جميل ؛ يقول فيه ^(١) : إنه لم يمنعني من الخروج - مع ما أنا فيه من الاستعداد - إلا انتظارك ؛ فقدم علينا ، ثم أخرج بنا ، فإنك ممن لا تنقض الأمور دونه ؛ والسلام عليك ^(٢) .

فلما ورد كتابه على شبيب ؛ دعا القراء من أصحابه ؛ فجمعهم إليه ؛ منهم أخوه مصاد ابن يزيد ، والمحلل بن وائل ، والصقر بن حاتم ، وإبراهيم بن حجر وجماعة مثلهم ^(٣) ؛ ثم خرج حتى قدم على صالح بن مسروح ؛ وهو بدارات ^(٤) أرض الموصل ؛ فبحث صالح رسله ، وواعدهم بالخروج ؛ في هلال صفر ليلة الأربعاء سنة ست وتسعين .

فاجتمع بعضهم إلى بعض ، واجتمعوا عنده تلك الليلة ؛ فحدث فروة بن لقيط ^(٥) ؛ قال : إني لمهم تلك الليلة عند صالح ^(٦) ؛ وكان رأيي استعراض الناس ؛ ليا رأيت من للسكر والفساد في الأرض ، قتلت إليه ، قتل : وأمير المؤمنين ، كيف ترى الشيرة في هؤلاء الطلبة ؛ أقتلهم قبل الدماء ، أم ندعوم قبل القتال ؟ فإني أحبك برأيي فيهم قبل أن تحبوني بذلك ؛ إنا نخرج على قوم طائفين ؛ قد تركوا أمر الله ، أو راضين بذلك ، فأرى أن نضع السيف ؛ فقال : لا ، بل ندعوم ؛ وكلمتي لا يحببك إلا من يرى رأيك ؛ وليقاتلنك من يزري عليك ؛ والدماء أقطع لحجتهم ، وأبلغ في الحجة عليهم لك . قتل :

(١ - ١) الكتاب كما في الطبري : « أما بعد ؛ فقد كان كتابك وخبرك أبلغني ؛ حتى أهني ذلك ؛ ثم إن أميراً من أمراء المسلمين ماني نبأ هزجك ومقتلك ؛ فحمد الله على قضاء ديني ؛ وقد قدم على رسواك بكتابك ؛ فكل ما به قد سمعته ، ونص في حمار واستعداد الخروج ، ولم يمتني من الخروج إلا انتظارك ، فأقبل إلينا ثم أخرج بنا من أحببت ، فإنك ممن لا ينقض من رأيه ، ولا تنقض دونه الأمور ، والسلام » .

(٢) في الطبري : « وإبراهيم بن حجر أبو الصغى من بني عجم والفضل بن عامر من بني ذهل بن شيبان » .

(٣) في حواشي ج : « الفارة : كل أرض واسعة بين جبال ، ومن الرمل ما استدار معه وجهه دارات ودور » ، وفي الطبري : « قدم على صالح بدارا » .

(٤) في الطبري : « قال أبو مخنف : حدثني مروان بن لقيط » .

(٥) كذا في الأصول ، وفي الطبري : « قال - أي فروة - والله إني لمع شبيب بالمدائن ، إذ حدثنا عن مخرجهم ، قال : لما هم بالخروج اجتمعوا إلى صالح بن مسروح ليلة خرج ، فكان رأيي استعراض الناس . . . إلى آخر الخبر مع اختلاف في الرواية » .

وكيف ترى فيمن قاتلنا فظفرنا به ؟ وما تقول في دمايتهم وأموالهم ؟ فقال : إن قتلنا وقتلنا قتلنا وإن تجاوزنا وعفونا فوسع علينا .

ثم قال صالح ^(١) لأصحابه ليلته ^(٢) تلك : اتقوا الله عباد الله ، ولا تمجّلوا إلى قتال أحد من الناس ؛ إلا أن يكونوا [قوما] ^(٣) يريدونكم [وينصبون لكم] ^(٤) ؛ فإنكم إنما خرجتم غضبا لله حيث انتهكت محارمه ؛ وعصى في الأرض ، ^(٥) وسفكت الدماء بغير حقها ، وأخذت الأموال قسبا ^(٦) ، فلا تمسّوا على قوم أعمالا ثم تملونها ^(٧) ؛ [فإن كل ما أنتم عاملون أنتم عنه مسئولون ، وإن عطلمكم رجالة] ^(٨) ، وهذه دواب محمد بن مروان في هذا الرستاق ^(٩) ؛ ^(١٠) ، وأبدوا بها فاحلوا عليها راجلكم ، وتقووا بها على عدوكم ^(١١) .

فعلوا ذلك ، وتحصن منهم أهل دارا ^(١٢) .

وبلغ خبرهم محمد بن مروان وهو يومئذ أمير الجزيرة ، فاستخف بأمرهم ؛ وبعث إليهم عدى بن عميرة في خمسمائة ، وكان صالح في مائة وعشرة ؛ فقال عدى : أصلح الله

(١) الخبر في الطبري عن أبي علف أيضا من رجل من بني علف .

(٢) الطبري : « ليلة خرج » .

(٣) من الطبري .

(٤ - ٥) الطبري : « سفكت الدماء بغير حلفها ، وأخذت الأموال بغير حقها » .

(٥) الطبري : « تملونها بها » .

(٦) الرستاق - فيها ذكره جزء بن المس - معتنق من « روضة فتا » ، وروده : اسم لطر والصف والسماط . وفتا : اسم لصل ، والمعنى أنه على اللطيف والنظام . قال ياقوت : « واقعى مرقات وشاهدناه في زماننا في بلاد الفرس أنهم يسمون بالرستاق : كل موضع فيه مزارع وقرى ولا يقال ذلك للعدن كالنصرة وبغداد ، فهو عند الفرس بقعة السواد ضد أهل بغداد » معجم البلدان ١ : ٣٧ .

(٧ - ٨) الطبري : « فابدوا بها ، فشدوا عليها ، فاحلوا أرجلكم ، وتقووا بها على عدوكم » .

(٩) الطبري : « أهل دارا وأهل صيين وأهل سنجار ، وخرج صالح ليلة خرج في مائة وعشرين ، وقيل : في مائة وعشرة » .

الأمير ائبمثنى إلى رأس الخوارج [منذ عشرين سنة]^(١)، ومعه رجالٌ شُهِوا إلى [كانوا يعازوننا]^(٢)؛ وإن الرجل منهم خير من مائة فارس في خمسمائة ا قتال له : إني أزيدك خمسمائة ، فسر إليهم في ألف فارس .

فسار من حران في ألف رجل ؛ وكأتما يُساقون إلى اللوت - وكان عدى رجلاً ناسكا^(٣) - فلما نزل دوعان^(٤) نزل بالناس ، وأخذ إلى صالح بن مسريح رجلاً دمه إليه فقال : إني عدياً بمتنى إليك بألك أن تخرج عن هذا البلد ، وتأق بلدا آخر فتقاتل أهله ؛ فإني للقتال كاره ، فقال له صالح : ارجع إليه ، قل له : إني كنت ترى رأينا، فأرنا من ذلك مانع ، ثم نحن مُذِلُّون^(٥) عنك ، وإن كنت على رأى الجبابرة قوائم السوء ، رأينا رأينا ، فإما بدأنا بك ، وإلا رحلنا إلى غيرك .

فانصرف إليه الرسول ، فأبلغه ، فقال له عدى : ارجع إليه قل له : إني والله لا أرى رأيك ، ولكنى أكره قتالك وقاتل غورك من المسلمين^(٦) .

فقال صالح لأصحابه : اركبوا ، فركبوا ، واحتس الرجل عنده ، ومضى بأصحابه حتى أتى عدياً في سوق دوعان ؛ وهو قائم يصلى الصبح ، فلم يشمر إلا بالليل طالعة عليهم ؛ فلما دنا صالح منهم ، رآهم على غير نعية^(٧) ، وقد تناذوا ، ومضهم يحول في بعض ، فأمر شبيباً لحمل عليهم في كتيبة ، ثم أمر سوبداً لحمل في كتيبة ، فكانت هزيمتهم ،

(١) من العلوى .

(٢) العلوى : « يمسك » .

(٣) دوعان : قرية بين رأس عيب ونصيب ، كانت سوقاً لأهل الجزيرة يجتمع إليها أهلها مرة في كل شهر . (مراد الاطلاع) .

(٤) الدج والذلة : السج آخر الليل .

(٥) في العلوى بعدها : « فقاتل غيرى » .

(٦) عبا الجيش للحرب نعيته : هياه وجهزه ، يقال بهمر وغير الهيز .

وأتى عدى بدابته فركبها ، ومضى على وجهه ، واحتوى صالح على عسكره وما فيه ،
 وذهب فل عدى حتى لحقوا بمعبد بن مروان ، فغضب ، ثم دعا بخالد بن جزء السلمي
 فبعثه في ألف وخمسمائة ، ودعا الحارث بن جثونة في ألف وخمسمائة ، وقال لهما : اخرجوا
 إلى هذه الخارجة القليلة الخبيثة ، وتجهلوا [الخروج ، وأخذوا السير]^(١) فأبىكما سبق ، فهو
 الأمير على صاحبه ، فخرجوا وأخذوا^(٢) في السير ، وجعلوا يسألان عن صالح ، فقيل لهما :
 توجه نحو آمد^(٣) ، فاتبعاه حتى انتهيا إليه بآمد ، فبذلا ليلا ، وخندقا وهما متساندان ؛ كل
 واحد منهما على جدته ، فوجه صالح شبيبا إلى الحارث بن جثونة في شطر أصحابه ، وتوجه
 هو نحو خالد السلمي ، فاقبلوا أشد قتال اقتله قوم ، حتى حجز بينهم الليل ؛ وقد انتصف
 بمضهم من بعض .

فحدث بعض أصحاب^(٤) صالح ، قال : كنا إذا حملنا عليهم استقبلنا رجالهم بالرمح ،
 ونضعننا^(٥) رماهم بالنبل ، وخیلهم تطاردنا في خلال ذلك ، فانصرفنا عند الليل ، وقد
 كرهناهم وكرهونا ، فلما رجعنا وصلينا وتروحنا وأكلنا من الكيسر^(٦) ، دعانا صالح
 وقال : يا أخيلاني ، ماذا ترون ؟ فقال شبيب : إنا إن قاتلنا هؤلاء القوم وهم متمسكون
 بحندقهم ، لم نزل منهم طائلا ، والرأي أن نرحل عنهم ، فقال صالح : وأنا أرى ذلك ؛
 فخرجوا من تحت ليلتهم حتى قطعوا أرض الجزيرة ، وأرض الموصل ، ومضوا حتى قطعوا
 أرض الدسكرة . فلما بلغ ذلك الحجاج سرح عليهم الحارث بن حمزة في ثلاثة آلاف ،

(١) من الطبرى .

(٢) أخذوا السير : أسرع فيه .

(٣) آمد ، بكسر الهمزة : بلد قديم حصين ، تحيط دعة بأكثره . مراد الاطلاع .

(٤) في الطبرى : « قال أبو مخنف : « حدثني الحسن بن علي ... » ، وأورد الخبر باختلاف في الرواية .

(٥) النضج : الرمي بالنبل .

(٦) الكيسرة : القطعة من الخبز ، وجهه كسر .

فسار وخرج صالح نحو جُلُولاء وخَاقِينَ^(١) واتبه الحارث حتى انتهى إلى قرية يقال لها اللدج^(٢)، وصالح يومئذ في تسعين رجلاً، فبقي الحارث بن عميرة أصحابه ميمنة وميسرة، وجعل صالح أصحابه ثلاثة كراديس وهو في كردوس^(٣)، وشيب في ميمنة في كردوس، وسويد بن سليم في كردوس في ميسرة؛ في كل كردوس منهم ثلاثون رجلاً؛ فلما شد عليهم الحارث بن عميرة انكشف سويد بن سليم، وثبت صالح فقتل، وضارب شيب حتى صرع عن فرسه، فوقع بين رجاله، فجاء حتى انتهى إلى موقف صالح، فوجدته قتيلاً فنادى: إلى يامعشر المسلمين! فلاذوا به، فقال لأصحابه: ليعمل كل رجل منكم ظهره إلى ظهر صاحبه، وليطاعن عدوه إذا قدم عليه؛ حتى تدخل هذا الحصن، ونرى رأينا.

فعلوا ذلك حتى دخلوا الحصن؛ وهم سبعون رجلاً مع شيب، وأحاط بهم الحارث بن عميرة ممسكاً، وقال لأصحابه: أحرقوا الباب، فإذا صار جحراً فذموا، فإنهم لا يقفرون على الخروج حتى تصبح^(٤) فتقتلهم، فعلوا ذلك بالباب؛ ثم انصرفوا إلى معسكرهم. فقال شيب لأصحابه: يا هؤلاء، ما تنتظرون! فوافقه إن صبحوكم غدوة^(٥) إنه هلاككم، فقالوا له: مَرْنَا بِأَمْرِكَ، فقال لهم: [إن الليل أحق للويل] ^(٦)؛ يا أيمن إن شئتم، أو يا أيمن ما شئتم منكم، ثم أخرجوا بنا حتى شد عليهم في معسكرهم، فإنهم آمنون منكم، وإني أرجو أن ينصركم الله عليهم. قالوا: أبسط يدك، فبايعوه، فلما جاءوا

(١) جلولا: موضع في طريق خراسان، بين وبين خاقين سبعة فراسخ، وخاقين: في نواحي السواد في طريق همدان.

(٢) في الطبري: «اللدج: من أرس للوصل، على تخوم ما بين أرس وجوخ».

(٣) الكردوس: القطعة من الخيل، وجه كراديس.

(٤) الطبري: «تصبحهم».

(٥) صبحوكم: أغاروا عليكم صباحاً.

(٦) من الطبري.

إلى الباب ، وجدوه جحراً ، فأنوه باللبود^(١) ، فبثروها بالماء ، ثم ألقوها عليه وخرجوا ، فلم يشعر الحارث بن عميرة إلا وشيب وأصعابه يصربونهم بالسيوف في جوف عسكرهم ، فضارب الحارث حتى صرع ، واحتمله أصعابه ، وانهدموا وخلوا لهم العسكر وما فيه ، ومضوا حتى نزلوا للدائن ، وكان ذلك الجيش أول جيش هزمه شيب^(٢) .

[دخول شيب الكوفة وأمره مع الحجاج]

ثم ارتفع في أداني أرض الموصل^(٣) ، ثم ارتفع إلى نحو أذربيجان بجي الخراج ، وكان سفيان بن أبي العتالية قد أمر أن يحارب صاحب طبرستان ، فأمر بالقول نحو شيب ، وأن يصلح صاحب طبرستان ، فصالحه ، فأتى في ألف فارس ، وقد ورد عليه كتاب من الحجاج :

^(٤) أما بعد ، فأقم بالله تسكرة فيمن معك ؛ حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة . قاتل صالح بن مسرح ، ثم مير إلى شيب حتى تناجزه^(٥) .

ففعل سفيان ذلك ، ونزل إلى التسكرة حتى أنوه ، وخرج مرتحلاً في طلب شيب ، فارتفع شيب عنهم ، كما بهكره قتالهم ولقاءهم ، وقد أكنن لهم أحاء تصاداً في خمسين رجلاً ، في هضم^(٦) من الأرض ، فلما رأوا شيباً جمع أصعابه ، ومضى في متفح من الجبل

(١) اللد : كل شمر أو صوف مثله ، سمي به للصوف نعله يسمى ، وجمعه لبود .

(٢) و الطبري بعدها : « وأصيب صالح بن مسرح يوم الثلاث ثلاث عشرة بقيت من جمادى الأولى من سنة » .

(٣) و الطبري بعدها : « وتقوم أرض جوى » .

(٤ - ٥) المسكتات كما في الطبري : « أما بعد مسر حتى نزل التسكرة ليس معك ، ثم أقم حتى يأتيك جيش الحارث بن عميرة المهدي بن ذي الشعار ، وهو الذي قتل صالح بن مسرح وخيل الناظر ، ثم سر إلى شيب حتى تناجزه » .

(٥) الهضم : للسكان المطبق من الأرض ، و الطبري : « مرم من الأس » ، وما يرمى .

مشرقاً ، قالوا : هرب عدو الله ، واتبعوه . فقال لم عدي بن حميرة الشيباني : أيها الناس ! لا تمجلوا عليهم حتى تضرب في الأرض ونستبرئها^(١) ؛ فإن يكونوا أكنوا كميناً حذراًه ؛ وإلا كان طلبهم بين أيدينا لن يفتونا . فلم يسموا منه ، فأسر هوا في آثارهم .

• • •

فلما رأى شبيب أنهم قد جازوا الكمين ، عطب عليهم ، فحمل من أمامهم ، وخرج الكمين من ورائهم ؛ فلم يقاتل^(٢) أحد ؛ وإني كانت المزيمة ، وثبت سفيان بن أبي العالية في مائتي رجل ؛ فقاتل^(٣) قتالا شديداً حتى انتصف من شبيب^(٤) ؛ فقال سويد بن سليم لأصحابه : أمئسكم أحد يعرف أمير القوم ابن أبي العالية^(٥) ؟ فقال له شبيب : أما من أعرف الناس به ، أما ترى صاحب الفرس الأخر الذي دونه للرماية إفانه هو ،^(٦) فإن كنت تريد فأمهله قليلاً .

ثم قال : يا قعيب ، اخرج في عشرين ، فأتهم من ورائهم . فخرج قعيب في عشرين فارتفع عليهم ، فلما رأوه يريد أن يأتهم من ورائهم ، جمعوا يستقصون ويثقلون ، وحمل سويد بن سليم على سفيان بن أبي العالية بطاعته^(٧) ، فلم تصع رماحهما شيئاً ، ثم اضطربا بسيفيهما ، ثم اعتق كل واحد منهما صاحبه ، فوقعا إلى الأرض بهتر كان ، ثم تحاجزا ، وحمل عليهم شبيب ؛ فأكشف من كان مع سفيان ؛ ونزل غلام له يقال له غزوان عن برذونه ، وقال لسفيان : اركب يا مولاي ، فركب سفيان ، وأحاط به أصحاب شبيب ، فقاتل دونه غزوان حتى قتل ، وكان معه رايته ، وأقبل سفيان مهزوما ؛ حتى انتهى

(١) يقال : استبرأ أرض بني فلان ، إذا سار فيها وانتهى إلى آخرها . وفي الطبري : « تسير بها » .

(٢) الطبري : « فلم يقاتلهم أحد » .

(٣ - ٤) الطبري : « فقاتلهم قتالا شديداً حتى ظن أنه انتصف من شبيب وأصحابه » .

(٥) في الطبري بعدها : « فوافقه ثلث عرخته لأحدهن نفس في قتله » .

(٦) الطبري : « فإنه ذلك » .

(٧) الطبري : « فطاعه » .

إلى بابل مهروؤذ ، فزل بها ؛ وكتب إلى الحاجج^(١) ، وكان الحاجج أمراً سورة
ابن أبيمر أن يلحق بصفيان ، فكتب سورة صفيان ، وقال له : انتظرني ؛ فلم يفعل وتجل
بحو الخوارج ، فلما عرف الحاجج خبر صفيان ، وقرأ كتابه ، قال للناس : من صنع كاصنع
هذا وأبلى كما أبلى قد أحسن . ثم كتب إليه يعزده^(٢) ، ويقول : إذا خف عليك
الوجع فأقبل مأجورا إلى أمك . وكتب إلى سورة بن أبيمر :

^(٣) أما بعد يا بن أم سورة ، فأكتب خليقا^(٤) أن تجتري على ترك عهدي ، وخذلان
جندي ، فإذا أتاك كتابي فأبش رجلا تم منك صليبا إلى^(٥) للدائن ، فلينتخب من
جندنا خمائة رجل ، ثم ليقدم بهم عليك ، [ثم يربهم]^(٦) حتى تلقى هذه
للمارقة ، واحزم أمرك ، وكذا عدوك ؛ فإن أفضل أمر الحروب حزن السكيدة .
والسلام .

فلما أتى سورة كتاب الحاجج بعث عدي بن جهم إلى الدائن ، وكان بها ألف
فارس ، فانتخب منهم خمائة ، ثم رحل بهم^(٧) حتى قديم على سورة ببابل مهروؤذ ،

(١) كتابه إلى الحاجج كما في الطبري : « أما بعد ؛ فإن أخبر الأمير أصله الله ؛ إلى انتهت هذه
للمارقة حتى لحقهم بخاتين فقاتلهم ، فضره الله وجرحهم ونصرنا عليهم ، فبأنس كمدك إذا أمام قوم كانوا
غيبا عنهم ، فحملوا على الناس فهدمهم ، فزلت في رجال من أهل الدين والصبر ، فقاتلهم حتى خربت بين
القتلى ، فحلت مرثاه ، فأتى بي بابل مهروؤذ ، فبأنس بها واحمد الله بن وصهم الأمير والموا إلا سورة بن أبيمر ،
فأبلى بأتني ، ولم يشهد معي ، حتى إذا ما زلت بابل مهروؤذ أنا فيقول ما لا أعرف ، ويختر بغير الضر والسلام .
(٢) كتاب الحاجج إلى صفيان كما في الطبري : « أما بعد ، فقد أحلت اللاء ، وقصبت الذي عليك ،
فإذا خف منك الوجع فأقبل مأجورا إلى أمك . والسلام . »

(٣ - ٤) الطبري : « أما بعد يا بن أم سورة ، ما كنت خليقا أن تجتري على . »

(٥) الطبري : « إلى الخيل التي بالمداين . »

(٥) من الطبري .

(٦) عبارة الطبري : « ثم رحل على عدا الله بن أبي عصفير ، وهو أمير المدائن إمارته الأولى ، فلم
عليه ، فأجلزه بألف درهم ، وحمله على فرس وكساه ألوابا ، ثم إله خرج من عنده ، فأقبل بأصحابه حتى
قدم بهم على سورة . . . »

فخرج بهم في طلب شبيب ، وخرج شبيب يحول في جُوحى^(١) ، وسورة في طلبه ، فجاء شبيب إلى المدائن فتحصن منه أهلها فانتهب للداثن الأولى ، وأصاب حواب من حواب الجند ، وقتل من ظهر له ، ولم يدخل البيوت ، ثم أتى قبيل له : هذا سورة قد أقبل إليك ، فخرج في أصحابه حتى [انتهى إلى النهروان ، فزولوا به وتوضوا وصلوا ، ثم]^(٢) أتوا مصارع إخوانهم الذين قتلهم على بن أبي طالب ، فاستغفروا لهم ، وتبرءوا من على وأصحابه ، وبكوا فاطلوا البكاء ، ثم عبروا جسر النهروان ، فزولوا جانبه الشرقي ، وجاء سورة حتى نزل بنفطرا^(٣) وجاءته هيئته ، فأخبروه بمنزل شبيب بالنهروان ، فدعا سورة رموس أصحابه ، فقال لهم : إن الخوارج قلما يلتقون في صحراء أو على ظهر إلا انتصفوا ، وقد حدثت أنهم لا يزيدون على مائة رجل ؛ وقد رأيت أن أشتبكم ، وأسير في ثلاثمائة رجل منكم ، من أقويائكم وشجعانكم فأيتهم^(٤) [فإنيهم آيسون] من بينائكم^(٥) ، وإني والله أرجو أن يصرعهم الله مصارع إخوانهم في النهروان من قبل ، فقالوا : اصنع ما أحببت .

فاستعمل على صكره حارم بن قدامة ، وانتخب ثلاثمائة من شجعان أصحابه ، ثم أقبل بهم حتى قرب من النهروان ، وبات وقد أذسى الحرس ، ثم بقيتهم ؛ فلما دنا أصحاب سورة منهم نذروا^(٥) بهم ؛ فاستووا على خيولهم ، وتعبوا تعبيهم ؛ فلما انتهى إليهم سورة وأصحابه ، أصابوهم وقد نذروا ، فحمل عليهم سورة ، فصاح شبيب بأصحابه ، فحمل عليهم

(١) جوحى ، بالقصر وقد يفتح : نهر عليه كورة واسعة في سواد بباد ، بالجانب الشرقي من الرض ، وهو بين خاقين وخوزستان ، قالوا : ولم يكن ببغداد مثل كورة جوحى ، كان خراجها ثمانين ألف ألف درهم ، حتى صرمت دجلة عنها صربت ، وأصابهم بعد ذلك طاعون عيرون فأتى عليهم ، ولم يزل السواد في إيلام من ذلك الطاعون . مرصد الاطلاع ١ : ٣٥٥

(٢) من الطبرى .

(٣) كذا في الأصول وفي الطبرى : « بنفطرا » .

(٤) - (٥) الطبرى : « فأيتهم الآن فإنهم آيسون لبيائكم » .

(٥) نفروا بهم : علموا بهم . وفي ج : « حنروا » .

حتى تركوا له العريضة ، وحل شبيب ، وجعل بضرب ويقول :

• مَنْ يَنْكَرَ الْعَيْزَ يَنْكَرَ نَيْيَا كَا ^(١) •

فرجع ^(٢) سورة مفلولا ، قد هزم فرسانه وأهل القوة من أصحابه ، وأقبل نحو المدائن ، وتبعه شبيب ؛ حتى انتهى سورة إلى بيوت المدائن ؛ وانتهى شبيب إليهم ، وقد دخل الناس البيوت ، وخرج ابن أبي عصفير ؛ وهو أمير المدائن يومئذ في جماعة ، فلقبهم في شوارع المدائن ، ورماهم الناس بالنبل والحجارة من فوق البيوت .

ثم سار شبيب إلى تكريت ^(٣) ، فبينما ذلك الجند بالمدائن إذ أُرْجِفَ ^(٤) الناس فقالوا : هذا شبيب قد أقبل يريد أن يبيت أهل المدائن ، فأرسل عامة الجند ، فلاحقوا بالكوفة ^(٥) ، وإن شديدا بتكريت ، فلما أتى الحجاج ^(٦) الخبر قال : قبح الله سورة ! ضيع المسكر وخرج يبيت الخوارج ؛ والله لأسوء ^(٧) .

(١) بليت في الطبرى :

• جَنْدُ لَتَانِ احْطَكْنَا اضْطِكَا كَا •

(٢ - ٢) الطبرى : فرجع سورة إلى عكره ، وقد هزم الفرسان وأهل القوة ، فتدخل بهم حتى أقبل بهم نحو المدائن ، مدفع إليهم وقد تحمل وتصدى الطريق القى فيه شبيب ، واسمه شيب ، وهو يرجو أن يلحقه ليصحب عكره ، ويصحب بهر يخته أهل السكر ؛ فأغدا سير في طلبهم ، فأتوا إلى المدائن فدخلوها ، وجاء شبيب حتى انتهى إلى بيوت المدائن فمدح إليهم وقد دخل الناس ، وخرج ابن أبي عصفير في أهل المدائن ، ورماهم بالنبل ورموا من فوق البيوت بالحجارة ، فرتفع شبيب بأصحابه عن المدائن ، فر على كلوا فأساب بها دواب كثيرة للحجاج ، فأخذها ، ثم أخذ سير في أرض حوصى ثم مضى نحو تكريت ... (٣) أرجف القوم ، أى خاضوا في الأخبار السيئة ، وذكر الفتى ، على أن يوقضوا في الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء ، ولأركان الكرم : (وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) .

(٤) في الطبرى عن عبد الله بن علقمة المنعمي : « واقعة لقد هربوا من المدائن ، وهالوا : بيت اليلة ، وإن شيئا لتكريت ، ولا أتى القل على الحجاج ، شرح الجزل بن سعيد بن شرحبيل بن عمرو الكندي » (٥) في الطبرى : « من فضيل بن خديج السكني : أن الحجاج لما أتاه القل قال ... » (٦) في الطبرى : « وكان قد حبه ثم عفا عنه » .

ثم دعا الحجاج بالجزل ؛ وهو عثمان بن سعيد ، فقال له : تيسر للخروج إلى هذه المارقة ، فإذا بقيتهم فلا تجعل عجلة الخرق الترق^(١) ، ولا تحجم إحجام الواني الترق^(٢) ، أفهمت^(٣) ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير قد فهمت ؛ قال : فأخرج وعسكر بدوي عبد الرحمن حتى يخرج الناس إليك ، فقال : أصلح الله الأمير ألا تبث معي أحداً من الجند للهزوم للفلول ، فإن الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيت ألا تنفك والمسلمين منهم أحد ، قال : ذلك لك ؛ ولا أراك إلا قد أحسنت الرأي ، ووئقت ؛ ثم دعا أصحاب الدواوين ، فقال : اضربوا على الناس للبحث ، وأخرجوا أربعة آلاف من الناس ، وعجلوا ، فجمعت العرفاء ، وجلس أصحاب الدواوين ، وضربوا البحث ، فأخرجوا أربعة آلاف ، فأمرهم بالتحاق بالسكر ؛ ثم نودي فيهم بالرحيل ؛ فارتحلوا ، ونادى منادى الحجاج : أن برئت الذمة من رجل أصبناه من بحث الجزل متخلفاً .

فرضي بهم الجزل ، [وقد قدم بين يديه حياض بن أبي ليثة الكندي على مقدمته نخرج]^(٤) ؛ حتى أتى للدائن ، فأقام بها ثلاثاً ؛ ثم خرج وبث إليه ابن أبي عصفير بخرس ويرثون والنبي درهم ، ووضع للناس من الخطب^(٥) والمثف ما كفافهم ثلاثة أيام ، وأصاب الناس ما شاموا من ذلك .



ثم إن الجزل خرج بالناس إثر شبيب ، فطلب في أرض جوحى ، فجعل شبيب يريه الهيبة ، فيخرج من رشتاق إلى رشتاق ؛ ومن طسوج إلى طسوج [ولا يقيم له]^(٦) ،

(١) الخرق : الرجل الأحمق ، والخرق : الطائش الخفيف عند الغضب .

(٢) الترق : الشديد القرم .

(٣) في الطبري بعدها : « فأتى بأخا بن عمرو بن معاوية » .

(٤) من الطبري .

(٥) الطبري : « الجزر » .

يريد بذلك أن يفرّق الجزل أصعابه ، ويضعّل إليه فيلقاه في حدّ يسير على غير تسمية ؛ فجعل الجزل لا يسير إلا على تسمية ؛ ولا ينزل إلا خندق على نفسه وأصعابه ؛ فلما طال ذلك على شبيب ، دعا يوماً أصعابه ، وهم مائة وستون رجلاً ، هو في أربعين ، ومصاد أخوه في أربعين ، وسويد بن سليم في أربعين ، والحلّل بن وائل في أربعين ، وقد أتمته هيئته [فأخبرته ^(١)] ، أن الجزل بن سعيد قد نزل بيثرب سعيد ^(٢) . فقال لأخيه وللأمراء الذين ذكرناهم : إني أريد أن أبيت الليلة هذا المكر ، فأتهم أنت بمصاد من قبل حلوان ^(٣) ، وسأتهم أنا من أمامهم من قبل الكوفة ، وأتهم أنت بأسويد من قبل المشرق ، وأتهم أنت بالحلّل ، من قبل المغرب ، وليبلغ كل امرئ منكم على الجانب الذي يحمل عليه ، ولا تفلحوا عنهم حتى يأتيتكم امرئ .

قال فروة بن قبيط ^(٤) : وكنت أنا في الأربعين الذين كانوا معه ^(٥) ، فقال لجماعتنا : تيسرُوا ، وليسر كل امرئ منكم مع أميره ، ولينظر ما يأمره به أميره فليتهيأ ، فلما قصمت دوابنا - وذلك أول ماعدات قميون - سخرجنا حتى انتهينا إلى دبر الحرارة ، فإذا القوم عليهم مسلحة بن أبي لينة ، فإنا هو إلا أن رأنا مصاد أخو شبيب حتى حل عليهم في أربعين رجلاً ؛ وكان شبيب أراد أن يرتفع عليهم حتى يأتيتهم من ورائهم ، كما أمره ^(٦) .

(١) من الطبرى .

(٢) الطبرى : « يدبر يزددجرد » .

(٣) تطلق حلوان على عدة مواضع ، وهي هنا حلوان المراق ، آخر حدود السواد مما يلي العراق ، كانت مدينة هامة لم يكن بالعراق بعد البصرة والكوفة ، وواسط بعداد أكبر منها (مراسد الاطلاع) .

(٤) هو راوى الخبر في الطبرى ، حدثه به عنه أبو خلف .

(٥ - ٥) (النس كافي الطبرى : « حتى إذا قصمت دوابنا ، وذلك أول الليل ، أول ماعدات القميون ، خرجنا حتى انتهينا إلى دبر الحرارة ، فإذا القوم مسلحة ، عليهم عياض يزلية ، فإنا هو إلا أن انتهينا إليهم ، لحمل عليهم مصاد أخو شبيب في أربعين رجلاً - وكان أمام شبيب - وقد كان أراد أن يسبق شيبا حتى يرتفع عليهم ويأتيتهم من ورائه كما أمره » .

فلما كفى هؤلاء قاتلهم ، فصبروا له ساعة وقاتلوه . ثم إننا دفعنا إليهم جميعا ، فهزمنهم ، وأخذوا الطريق الأعظم ، وليس يسهم وبين عسكرهم بدير يزدجرد إلا نحو ميل^(١) ، فقال لنا شيب : اركبوا معاشر المسلمين أكتافهم ؛ حتى تدخلوا معهم عسكرهم إن استطعتم ، فأتبعناهم مطلقين^(٢) بهم ، ملحقين عليهم ، ما رُفقه عنهم وهم منهزمون ، ما لم نمتة إلا عسكرهم .

فمنهم أصحابهم أن يدخلوا عليهم ، ورشقوهم^(٣) بالنبل ، وكانت لهم عيون قد أتتهم فأحبرتهم بمكاننا ، وكان الجبل قد حشد عليهم ونحرت ، ووضع هذه السلعة الذين لقيناهم [بدير انظرارة]^(٤) ، ووضع سلعة أخرى مما يلي خلوان .

فلما اجتمعت المسالخ ، ورشقوهم بالنبل ، وسبوا من خندقهم ، رأى^(٥) شيب أنه لا يصل إليهم ، فقال لأصحابه : سيروا رجوعهم ، فطمسوا عنهم أخذ على طريق خلوان ؛ حتى كان منهم على سبعة أميال ، قال لأصحابه : ازلوا فاقضوا دوابكم ، وقيلوا وروحووا ، فصلوا ركبتين ، ثم اركبوا . ففعلوا ذلك . ثم أقبل بهم راجعا إلى عسكر الكوفة ، وقال : سيروا على نصيبتكم التي عيأنكم عليها أول الليل ، وأطيعوا^(٦) بعسكرهم كما أمرتكم . فأقبلنا^(٧) معه ، وقد أدخل أهل العسكر مسالحهم إليهم ، وأمنوا ، فاشعروا حتى سمعوا وقع حوافر الخيل ، فأتيناهم إليهم قبل الصبح ، وأحطنا بعسكرهم ، وسمنا بهم من كل ناحية ، فقاتلونا ، ورمونا بالنبل ؛ فقال شيب^(٨) لأخيه مصاد ، وكان يقاتلهم من الجانب

(١) الطريق : « قريب من ميل » .

(٢) مطلقين : ملحقين .

(٣) الطبرى : « ورشقونا » .

(٤) من الطبرى .

(٥) الطبرى : « ثم أطيعوا بعسكرهم » .

(٦) في الأصول : « نظر » ، والأجود ما أتته من تاريخ الطبرى .

(٧) الطبرى : « فأقبلوا » . (٨) الطبرى : « ثم أن شيبا » .

الذى إلى الكوفة : خَلَّ لم سبيل [طريق] ^(١) الكوفة ، غلَى لم ، وقائلناهم من [تلك] ^(٢) الوجوه الثلاثة الأخرى إلى الصبح ^(٣) ، ثم سرنا وتركناهم ، لأننا لم نظفر بهم ، فلما سار شبيب سار الجزل في أثره بطلبه ، وجعل لا يسير إلا على تعبئة وترتيب ، ولا ينزل إلا على خندق ؛ وأما شبيب ففُضِرَ في أرض جُوخَى ، وترك الجزل ، فطال أمره على الحجاج ، فكتب إلى الجزل كتاباً قرئ على الناس وهو :

أما بعد ، فإني بمشك في فرسان [أهل] ^(١) البصر ووجوه الناس ، وأمرتك باتباع هذه ^(٢) المارقة ، وألا تطلع عنها حتى تقتلها وتغيبها ^(٣) ؛ فحملت ^(٤) التعريس في القرى ، والتخيم في الخنادق ، أهون عليك من اللقي لمناقضهم ومناحرهم . [والسلام] ^(٥) .

قال : فشق كتاب الحجاج على الجزل ، وأرجف الناس بأمره ؛ وقالوا : سيمر به ، فالتفت الناس أن يث الحجاج سيد من الجاهل أميراً بده ، وعهد إليه : إذا لقي المارقة أن يزحف إليهم ، ولا يناظرهم ، ولا يظلمهم ، ولا يصنع صنيع الجزل ^(٦) ، وكان الجزل يومئذ قد انتهى في طلب شبيب إلى النهروان ، وقد لزم عسكره ، وخندق عليهم ؛ فجاء سيد حتى دخل عسكر أهل الكوفة أميراً ، فقام فيهم خطيباً ، فعبد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

يا أهل الكوفة ، إنكم قد هجرتم وذهبتم ، وأغضبتم عليكم أميركم ، أنتم في طلب هذه الأعراب المعجف منذ شهرين ، قد أخرجوا بلادكم ، وكسروا أراجكم ؛ وأنتم

(١) من الطبرى .

(٢) الطبرى : « حتى أصحبا » .

(٣ - ٤) الطبرى : « المارقة الضالة المضلة ؛ حتى تلقاها فلا تطلع منها حتى تقتلها وتغيبها » .

(٥) الطبرى : « فوجدت » .

(٦) في الطبرى ، بعدما : « ففرى الكتاب علينا ، ونحن بطرفة ودير أبي مريم » .

(٧) بعدما في الطبرى : « وأطلبهم طلب السبع ، وحدثهم حيدان الفجيم » .

تَدِيرُونَ فِي جُوفِ هَذِهِ الْخُنَادِقِ لَا تُزَايِلُونَهَا إِلَّا أَنْ يَلْفَكُمُ أَنَّهُمْ قَدْ ارْتَمَلُوا عَنْكُمْ ، وَزَلُّوا
بِلَدِّ سَوَى بِلَدِّكُمْ ؛ اخْرُجُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ .

ثُمَّ خَرَجَ وَخَرَجَ النَّاسُ مَعَهُ ^(١) ، فَقَالَ لَهُ الْجَزَلُ : مَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ ؟ قَالَ : أَقْدُمُ عَلَى
شَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ فِي هَذِهِ الْخَلِيلِ ؛ فَقَالَ لَهُ الْجَزَلُ : أَرَأَيْتَ أَنْتَ فِي جَمَاعَةِ النَّاسِ ^(٢) ، فَارْسِهِمْ
وَرَأَجِلَهُمْ ^(٣) ؛ وَلَا تَفَرِّقْ أَصْحَابَكَ ، وَدَعْنِي أَصْحَرُ ^(٤) ؛ فَإِنْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكَ وَشَرٌّ لَمْ .
فَقَالَ سَمِيدٌ : بَلْ تَقِفُ أَنْتَ فِي الصَّفِّ ، وَأَنَا أَصْحَرُ ^(٥) ، فَقَالَ الْجَزَلُ : إِنْ بَرِئَ مِنْ
رَأْيِكَ هَذَا ؛ سَمِعَ اللَّهُ وَمَنْ حَضَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَقَالَ سَمِيدٌ : هُوَ رَأْيِي ؛ إِنْ أَصَبْتُ فِيهِ ،
فَاللَّهُ وَفَّقَنِي ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ ^(٦) فِيهِ فَأَنْتُمْ بَرَاءٌ .

فَوَقَفَ الْجَزَلُ فِي صَفِّ [أَهْلِ] ^(٧) الْكُوفَةِ ، وَقَدْ [أَخْرَجَهُمْ مِنَ الْخُنَادِقِ وَ] ^(٨) جَمَعَ
عَلَى مَهْمَتِهِمْ عِيَّاضُ بْنُ أَبِي لَيْثَةَ الْكِنْدِيُّ ، وَعَلَى مِيسَرَتِهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ
أَبَا حَمِيدٍ الرَّاسِي ^(٩) ؛ وَوَقَفَ الْجَزَلُ فِي جَمَاعَتِهِمْ ، وَاسْتَقْدَمَ سَمِيدُ بْنُ عَجَلَةَ فَخَرَجَ
[وَأَخْرَجَ] ^(١٠) النَّاسَ مَعَهُ ؛ وَقَدْ أَخَذَ شَيْبٌ إِلَى بَرَّازِ الرَّوْزِ ^(١١) ، فَزَلَّ قَطْعَتًا ^(١٢) ،
وَأَمَرَ دِهْقَانُهَا أَنْ يَشْوِيَ لَمْ غَنَاءَ ، وَبَدَتْ لَمْ غَدَاءَ فَضْلَ ، وَأَخْلَقَ مَدِينَةَ قَطْعَتًا ، وَلَمْ يَخْرُغْ

(١) فِي الطَّبَرِيِّ بِمَدَنِيَّةٍ : وَجَمَعَ إِلَيْهِ خِيُولَ أَهْلِ الْمَكَّةِ .

(٢) الطَّبَرِيُّ : فِي الْجَيْشِ .

(٣ - ٢) عِبَارَةُ الطَّبَرِيِّ : « وَأَصْحَرُ لَهُ ، فَوَاقَةُ لِبَيْتِهَا مِنْ طَبْعِكَ ؛ فَلَا تَفَرِّقْ أَصْحَابَكَ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ
شَرٌّ لَمْ وَخَيْرٌ لَكَ » .

(٤) أَصْحَرُ الْقَوْمِ ؛ إِذَا بَرَزُوا فِي الصَّحَرَاءِ ؛ لَا يُولِيهِمْ شَيْءٌ .

(٥) الطَّبَرِيُّ : « وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ صَوَابٍ » .

(٦) مِنَ الطَّبَرِيِّ .

(٧) فِي الْأَسْوَلِ : « وَأَبَا حَمِيدٍ » ، وَالْمُصَوَّبُ مَا أَثَبَتْهُ مِنَ الطَّبَرِيِّ .

(٨) بَرَّازُ الرَّوْزِ ، بِالرَّاءِ ، وَالْأَلْفِ وَالْهَمْزِ وَرَاءَ مَضْمُونَةٍ : مِنَ طَبَائِعِ السَّوَادِ يُفْنَدُ ؛ مِنَ الْجَنَابِ
الْمُفَرَّقِ مِنَ أَسْتَانِ الْبَهْقَادِ ، كَانَ الْمُعْتَقَدُ بِهِ أَبَدِيَّةَ جَلِيلَةٍ . (مَرَادُ الْإِطْلَاعِ) .

(٩) قَطْعَتًا : عَمَلَةٌ غَرِبِيَّةٌ بِمَدَنِيَّةٍ .

الدُّهقان من طعامه حتى أحاط بها ابن مجاهد ، فصمِد الدُّهقان ، ثم نزل ، وقد تغيَّر لونه ، فقال شبيب : ما بالك ؟ قال : قد جارك جمع عظيم ، قال : أبلغ^(١) شواؤك ؟ قال : لا ، قال : دعه يبلغ ، ثم أشرف الدُّهقان بإشرافه أخرى ، ثم نزل فقال : قد أحاطوا بالجوسق ، قال : مات شواك ؛ فعمل يأكل غير مكثرت بهم ولا فزع ، فلما فرغ قال لأصحابه ، قوموا إلى الصلاة ، وقام فتوحاً ، فصل بأصحابه صلاة الأولى ، ولبس درعه ، وتقد سيفه ، وأخذ عموده الحديد ، ثم قال : أسيرجوا إلى بطنى ، فقال أخوه : أفى مثل هذا اليوم تركب^(٢) بئله ؟ قال : نعم ، أسيرجوها ، فركبها ، ثم قال : بإعلان ، أنت على الليعة ، وأنت يا فلان على اليسرة ، وأنت يا مصاد - ينى أخاه - على القلب ، وأمر الدُّهقان ففتح الباب فى وجوههم .

فخرج إليهم وهو يحكم^(٣) وحمل حلة عظيمة ، فجعل سعيد وأصحابه يرجون التقهرى ، حتى صار بينهم وبين الدُّهقان ميل . وشبيب يصيح : أناكم اللوث الزوام ! فابتوا ، وسعيد يصيح : يا معشر محمدان ، إلى - إلى - أنا ابن ذى مران ! فقال شبيب لمصاد : وتحمك ! استعرضهم استعراضاً ؛ فأنهم قد قطعوا ، وإلى حامل على أمرهم ، وأنككتك الله إن لم أنككه الله ؛ ثم حل على سعيد ففلاه بالعمود ؛ فسقط^(٤) ميتاً وانهزم أصحابه ، ولم يقتل يومئذ من الخوارج إلا رجل واحد .

وانتهى قتل سعيد إلى الجزل ، فناداهم : أيها الناس ، إلى - إلى - وصاح عياض ابن أبى لينة : أيها الناس ، إن يكن أمركم هذا القادم هلك ، فهذا أمركم لليمن النقيبة ، أقبلوا إليه ؛ فمنهم من أقبل إليه ، ومنهم من ركب فرسه منهزماً ، وقتل الجزل يومئذ قتالاً شديداً حتى صُرع ، وحامى عنه خالد بن سميك ، وعياض بن أبى لينة ؛ حتى استغذاه

(١) الطبرى : « أبلغ الشوا » ، ولجوع الشوا : نفيجه .

(٢) الطبرى : « تسرج » .

(٣) التحكيم : قول الخوارج : « لاحكم إلان » .

(٤) فى الأصول : « ثم سقط » ، والأجود ما أتته من الطبرى .

مرتقا ، وأقبل الناس منهزمين حتى دخلوا الكوفة ، وأتى بالجزل جريحا حتى دخل للدائن ، فكتب إلى الحجاج :

أما بعد ! فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أني خرجتُ فيمن قبلي من الجند الذي وجهني فيه إلى عدوه ، وقد كنتُ حفظتُ عهدَ الأمير إلى فيهم ورأيه ؛ فكنتُ أخرجُ إلى المارقين ^(١) إذا رأيت الفرصة ، وأحبس [الناس] ^(٢) عنهم إذا خشيت الورطة ، فلم أزل كذلك أديرُ الأمر ، وأرفقُ في التدبير ؛ وقد أراذني العدو بكل مكيدة ، فلم يُصِبْ مني غيرة ، حتى قدم على سعيد بن مجاهد ، فأمرته بالتزودة ، ونهيته عن المعجلة ، وأمرته ألا يقاتلهم إلا في جماعة الناس طامة ، فصاني وتمعل إليهم في الخيل ، فأشهدتُ الله عليه وأهل المصرين أني برىء من رأيه الذي رأى ، وأني لا أهوى الذي صنع ، فغضب فقتل ، تجاوز الله عنه ، ودفع ^(٣) الناس [إلى] ^(٤) فزلت ودعوتهم إلى نفسي ^(٥) ورفضتُ رايقي ، وقاتلت حتى صُرِحت ، لحمتي أصحابي من بين القتلى ، فإققتُ إلا وأنا على أيديهم ؛ على رأس ميلٍ من المعركة ، وأما اليوم بالمدائن ، وفي جراحات ^(٦) قد يموت الإنسان من دونها ؛ وقد بقاني من مثلها ؛ فليسأل الأميرُ أصلحه الله عن نصيحتي له ولجده ، وعن مكابذتي عدوه ، وعن موقعي يوم البأس ؛ فإنه سيبين ^(٧) له عند ذلك أني صدقته ونصحت له . والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

-
- (١) الطبرى : « إليهم » .
 (٢) من الطبرى
 (٣) دفع الناس ، أي جاءوا مرة بجمعب .
 (٤) الطبرى : « ودعوتهم إلى » .
 (٥) الطبرى : « جراحة » .
 (٦) الطبرى : « يتبين » .

أما بعد ، فقد أتاني كتابك وقرأته ، ^(١) وفهمت كل ما ذكرت فيه من أمر سعيد وأمر
هشيك ، وقد صدقتك في نصيحتك لأمرك وحيطتك على أهل مصرك ، وشدتك على عدوك ،
وقد رضيت بحجة سعيد وتؤدتك ^(٢) . فأما محبتك فلها أفضت به إلى الجنة ، وأما تؤدتك
^(٣) فلها ما لم تدع الفرصة إذا أمكنت حزم ^(٤) ؛ وقد أحسنت وأصبت وأجرت ، وأنت
هدي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ؛ وقد أشغصت إليك حيان بن أبيجر ^(٥) الطيب
ليداويك ، ويعالج جراحاتك ؛ وقد بعثت إليك بالثمن درهم نفقة تصرفها في حاجتك
وما يربوك ^(٦) . والسلام .

وبعث عبد الله بن أبي عصفور وإلى المدائن إلى الجزل ألف درهم ؛ وكان يعود
ويتعاهد بالألطف والمدايا .

وأما شيب ، فاقبل حتى قطع دجلة عند الكرخ ، وأخذ بأصحابه نحو الكوفة .
وبلع الحجاج مكانه بمقام أمين ؛ بعث إليه سويد بن عبد الرحمن السدي ، فجهزه
بألفي فارس منتخبين ، وقال له : اخرج إلى شيب فآلقه ولا تنمه ؛ فخرج بالناس
بالسبعة ^(٧) ؛ وبلغه أن شيبا قد أقبل ، فأسر نحوه كأنما يساق إلى الموت هو وأصحابه ، وأمر
الحجاج عثمان بن قطن ، فسكن بالناس في السبعة ، ونادى : ألا برئت الذمة من
رجل من هذا الجند ، بات الليلة بالكوفة ؛ ولم يخرج إلى عثمان بن قطن بالسبعة ، فبينا
سويد بن عبد الرحمن يسير في الأملين الذين هم ؛ وهو بعينهم ويحرمهم ؛ إذ قيل له :

(١-١) الطري : « وفهمت كل ما ذكرت فيه ، وقد صدقتك في كل ما وصفت به هشيك من نصيحتك
لأمرك وحيطتك على أهل مصرك وشدتك على عدوك ، وقد بعثت ما ذكرت من أمر سعيد ومحبته إلى
عدوه وتؤدتك . »

(٢-٢) الطري : « فلها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ، وترك الفرصة إذا لم تحسب حزم . »

(٣) : « حار بن الأمل . »

(٤) في الطري صديقا : « قدم عليه حيان بن أبيجر الكندي ، من بني فراس ؛ وهم يملكون الكي
وعجيرة ، فكان يداويه . »

(٥) السبعة : موضع بالصرة .

قد قسيتك شبيب؛ قتل ونزل معه جل أصحابه ، وقدّم رايته ؛ فأخبر أن شبيباً لما علم بمكانه تركه ، ووجد غنّاة^(١) فمير القرات ؛ يريد الكوفة من غير الوجه الذي سويده ابن عبد الرحمن به ، ثم قيل : أما تراهم اخذوا في أصحابه ، فركبوا في آثارهم ، فأتى شبيب دار الرزق فزّلها ، وقيل له : إن أهل الكوفة بأجمعهم مسكرون ، فلما بلغهم مكان شبيب ، ما ج الناس بعضهم إلى بعض ، وجالوا وهموا بدخول الكوفة ، حتى قيل : هذا سويد بن عبد الرحمن في آثارهم قد لحقهم ؛ وهو يقاتلهم في الليل ، ومضى شبيب حتى أخذ على شاطئ القرات ، ثم أخذ على الأنبار ، ثم دخل دقوقاً^(٢) ، ثم ارتفع إلى أدنى أذربيجان .

وخرج الحجاج من الكوفة إلى البصرة حيث بمّد شبيب ، واستخلف على الكوفة عروة بن الزبير بن شعبة ، فاشهر الناس إلا يكلمهم [من] ^(٣) ما دارست^(٤) ، وحقان بابل مهرور إلى عروة بن الزبير بن شعبة ، أن تأجراً من نجار [الأنبار من] ^(٥) أهل بلادى

(١) الغنّاة : موسم الخوض في الماء .

(٢) دقوقاً ، بفتح أوله وضم ثانيه وجد الواو والآخرى وألف ممدودة ومقصورة : مدينة بين لابل وبغداد مرفوعة ؛ قال ياقوت : لها ذكر في الأخبار والفتوح ، كان بها وقعة للخوارج قتال الجدي بن أبي حاتم القهلي يريتهم :

شَبَابٌ أَطَاعُوا اللَّهَ حَتَّى أَحَبَّهُمْ	وَكُلُّهُمْ شَارٍ يَخَافُ وَيَطْمَئِنُّ
فَلَمَّا تَبَوَّأُوا مِنْ دَقُوقَا عِزْلٍ	لِمَعَادٍ إِخْوَانٍ تَدَاعَوْا فَأَجْمَعُوا
دَعَوْا خَصْمَتَهُمْ بِالْحِكَاكِ وَيَتَنَوَّأُوا	خَلَّاتَهُمْ ، وَاللَّهُ ذُو الْعَرْشِ يَسْمَعُ
بِنَفْسِي قَتَلْتُ فِي دَقُوقَا غَوْدِرَتَ	وَقَدْ قُطِعَتْ مِنْهَا رُءُوسٌ وَأَذْرُعُ
لِقَتْلِكَ نِسَاءَ الْمَلِكِ عَلَيْهِمْ	وَنِي دُونَ مَالَقِينَ مَبْكِي وَعَجَزُ

(٣) من الطبرى .

(٤) الطبرى : ما ذروا .

أناي بذكر أن شيباً يريد أن يدخل الكوفة في أول هذا الشهر للمستقبل ، وأحييت إعلامك [ذلك] ^(١) لقرى رأيك ؛ ^(٢) وإني لم ألبث بعد ذلك إذ جاءني اثنان من جيراني ^(٣) فحدثاني أن شيباً قد نزل خانيجار ^(٤) .

فأخذ عروة كتابه فأدرجه وسرح به إلى الحجاج إلى البصرة . فلما قرأ الحجاج أقبل جاؤا ^(٥) إلى الكوفة ، وأقبل شيب [يسير] ^(٦) حتى انتهى إلى قرية حرّبي ^(٧) على شاطئ دجلة ، فبرها وقال ^(٨) لأصحابه : يا هؤلاء ، إن الحجاج ليس بالكوفة ، وليس دون أخذها شيء إن شاء الله . فسيروا بنا ، فخرج يُبادر الحجاج إلى الكوفة ، وكتب عروة إلى الحجاج : إن شيباً قد أقبل مسرعاً يريد الكوفة ، فالمعلّ المعلّ .

فلوَّى الحجاج للنازل مسابحاً ^(٩) لشيب إلى الكوفة ، فسبقه ونزلها صلاة العصر ، ونزل شيب السجدة صلاة العشاء الآخرة ، فأصابهم وأصحابه من الطعام شيئاً يسيراً ، ثم ركبوا خيولهم ، فدخل شيب الكوفة في أصحابه حتى انتهى إلى السوق ، وشدّ حتى ضرب باب القصر بمروءه ، فغدت جملة ^(١٠) أنهم رأوا أثر خربة شيب بالعمود بباب القصر ، ثم أقبل حتى وقف عند باب المصطبة ، وأشد :

(١) من الطبري

(٢ - ٣) الطبري : « ثم لم ألبث إلا ساعة حتى جاءني جايان من حالي » .

(٣) خانيجار : بلدة قريبة من طلوز .

(٤) الطبري : « جوانجا » .

(٥) قال ياقوت : « حرّبي مقصور ، والامة تنحط به محالا : بلدة في أقصى جبل ، بين بغداد

وتكريت مقابل المطيرة » . . .

(٦) في الطبري بعدها : « فقال : ما اسم هذه القرية ؟ فقالوا : حرّبي ، فقال : حرب يصل بها عدوكم ،

وحرب (بالفتح) تدخلونه بيوتهم ؟ إنما دخل من بطون وبعيف . ثم ضرب رايته ، وقال لأصحابه :

سيروا ، فأقبل حتى نزل عفرقوة ، فقال له سويد بن سليم : يا أمير المؤمنين ؟ لو تحولت بنا من هذه القرية

للشومة الاسم ؟ قال : وقد نظرت أيضاً ، والله لا أحول عنها حتى أسير إلى عدوي منها ؛ إنما شوّمتها

لأن شاء الله على عدوكم ، فحولون عليهم فيها فالحق لهم » .

(٧) واستقوا إلى الكوفة » .

(٨) الطبري : « قال أبو النضر : رأيت خربة شيب . . . »

وَكَانَ حَافِرَهَا بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ فَرَّقَ بِكَيْلٍ بِهِ شَجِيحٌ مُقَدِّمٌ^(١)

^(٢) ثم أقسم هو وأصحابه للسجد الجامع ، ولا يفارقه قومٌ يصلُّون^(٣) فيه ، فقتل منهم جماعة ، ومرت هوبدار حوشب - وكان هو على شُرطة الحاجج - فوقف على بابه في جماعة ، فقالوا : إن الأمير - يعنون الحاجج - يدعو حوشبا ، وقد أخرج ميمون غلامه يرثونه ليركب ، [فكانه أنكرهم ، فظنوا أنه قد أنهمهم]^(٤) فأراد أن يدخل إلى صاحبه ، فقالوا له : كما أنت حتى يخرج صاحبك إليك ، فسمع حوشب الكلام ، فأنكر القوم ، وذهب لينصرف فمجلوا نحوه ، فأغلق الباب دونه ، فقتلوا غلامه ميمونا ، وأخذوا يرثونه ، ومضوا حتى مروا بالبعثاف بن ببيط الشيباني ، من رهط حوشب . فقال له سويد : انزل إلينا ، فقال : ما تصنع بنزولي ؟ فقال : انزل ، إني لم أقضك نمن البكرة التي ابتعتها منك بالبادية ، فقال البعثاف : بش ساعة القضاء هذه ! وبش المكان قصاص الدِّين هذا . ويحك ! أما ذكرت أداء أمانتك إلا والليل مظلم ، وأنت على متن فرسك أبيع الله وأسويد دينك لا بصلح ولا يتم إلا بقتل الأفس^(٥) وسفك الدماء . ثم مروا بمسجد بني ذهل ، فلقوا ذهل بن الحارث ، وكان يصلي في مسجد قومه ، فوطئ الصلاة إلى الليل ، فصادفوه منصرفا إلى منزله فقتلوه^(٦) ثم خرجوا متوجهين نحو الردمة^(٧) ؛ وأمر الحاجج للنادي : يا خيل الله اركبي وأبشري ، وهو فوق باب القصر ؛ وهناك^(٨) مصباح مع غلام له قائم .

(١) الفرق : مكبال يسع ثلاثة آصع ، أو ستة عشر رطلا . وال الطبرى : « كيل يسكيل ٥ » ؛ وبه :

عَبْدٌ دَعِيَ مِنْ ثَمُودٍ أَصْنُهُ لَا بَلْ يُقَالُ أَبُو أَبِيهِمْ يَقْدُمُ

(٢ - ٣) الطبرى : « ثم اتبعوا للسجد الأعظم ؛ وكان لا يفارقه قوم يصلون فيه » .

(٣) من الطبرى .

(٤) الطبرى : « بقتل ذوى القرابة وسفك دماء هذه الأمة » .

(٥) ق الطبرى : « فشدوا عليه ليقتلوه » ؛ فقال : اللهم إني أشكو إليك هؤلاء وظلمهم وجهالهم ؛ اللهم إني منهم ضعيف فانتصر لي منهم ؛ فضربوه حتى قتلوه » .

(٦) الطبرى : « للردمة » . (٧) الطبرى : « وثم » .

وكان أول من جاء من الناس عثمان بن قطن ، ومعه مواليه وناس من أهله ، وقال :
أعلموا الأمير مكاني ، أنا عثمان بن قطن ، فليأمرني بأمره . فناداه التلام صاحب الصباح :
قف مكانك حتى يأتيك أمر الأمير ، وجاء الناس من كل جانب ، وبات عثمان مكانه
فحين اجتمع إليه من الناس ؛ حتى أصبح .

وقد كان عبد الملك بن مروان بعث محمد بن موسى بن طلحة على سجستان ، وكتب
له عهده عليها ، وكتب إلى الخجاج : إذا قدم عليك محمد بن موسى الكوفة ، فجهز معه ألفي
رجل ، وتجهل سراحه إلى سجستان .

فلما قدم الكوفة ، جعل يتعهر^(١) ؛ فقال له أصحابه ونصحاؤه : تسجل أبها الرجل إلى
عملك ، فإنك لا تدري ما يحدث ، وعرض أمر شيب حينئذ ودخوله الكوفة ، فقبل
للخجاج : إن محمد بن موسى إن سار إلى سجستان مع نخدته وصهره لأمر المؤمنين
عبد الملك ، فلجأ إليه أحد من تطلبه ، فاستعطفه . قال : فما الحيلة ؟ قالوا : أن تذكر له أن
شيبا في طريقه وقد أعياك ، وأنت ترجو أن يرجع أقتله منه على يده ، فيكون له ذكر
ذلك وشهرته .

فكتب إليه الخجاج : إنك عامل على كل بلد مررت به ، وهذا شيب في طريقك
تجاهده ومن معه ، ولك أجره وذكره وصيته ، ثم تعص إلى عمك ؛ فاستجاب له .

وبعث الخجاج بشر بن غالب الأسدي في ألفي رجل ، وزياد بن قدامة في ألفين ،
وأبا الضريس مولى تميم في ألف من الموالى ، وأعين صاحب حمام أعين مولى لبشر بن
مروان في ألف ، وجاعة غيرهم ؛ فاحتجمت تلك الأمراء في أسفل الفرات ، وترك شيب
الوجه الذي فيه جماعة هؤلاء القواد ، وأخذ نحو القادسية ، فوجه الخجاج زحر بن قيس

(١) الصري : « حمل يتعسر في الجهار » ، والتعسر : التوقف والتأخر .

في جريدة خيل ، نقارة^(١) ، عدتها ألف وثمانمائة فارس ، وقال له : اتبع شبيبا حتى تواقعه
حيثما أدركته ؛ فخرج زحر بن قيس حتى انتهى إلى السيلحين^(٢) ، وبلغ شبيبا مسيره
إليه فأقبل نحوه ، فالتقيا ، وقد جعل زحر على ميمته عبد الله بن كنفاز ، وكان شجاعا ،
وعلى ميسرته عدى بن عدى بن حميرة الكندي ، وجمع شبيب خيله كلها كبسكة^(٣)
واحدة ، ثم اعترض بها الصف بوجيب^(٤) وجيها ، حتى انتهى إلى زحر بن قيس ، فقتل
زحر ، فقاتل حتى صرع وانهمز أصعابه ، وظن أنه قد قتل .

ولما كان الليل وأصابه البرد ؛ قام يمشى حتى دخل قرية ، فبات بها وحمل منها إلى
الكوفة ، وبوجهه أربع^(٥) عشرة صربة ، فكث أياما ، ثم أتى الحجاج ، وعلى وجهه
[وجراحه]^(٦) القطن ، فأجلبه معه على السرير^(٧) . وقال أصعاب شبيب لشبيب ؛

(١) نقارة النوى : حياره .

(٢) قال ياقوت : « ذكر سيلحين في الفروع وغيرها من الشعر يدل على أنها قرب المدينة خاربة والدر
قرب القادسية ؛ وذلك ذكر الشعراء أيام القادسية مع المدينة والقادسية ؛ فقال سليمان بن قامة حين سير
امراته من اليمامة إلى الكوفة :

فمرت يباب القادسية غدوة	وراحتها بالسيلحين الصائر
فلما انتهت دون الخورنق عادها	وقصر بني الثعنان حيث الأواخر
إلى أهل مصر أصلح الله حاله	به السليون والجهود الأكاير
فصارت إلى أرض الجهاد وبلدة	مباركة والأرض فيها مصائر
فألفت عصاها واستقر بها النوى	كما قر عينا بالإياب السافر

(٣) الكبكة : الجماعة من الناس

(٤) أوجفت الخيل في البر : سارت سيرا سبطا واسما . وى الطبرى : « فوجف وحيما » .

(٥) الطبرى : « وبوجهه بضع عشرة حراصة ؛ من بين صرية وطمة » .

(٦) من الطبرى .

(٧) في الطبرى يسمونها : « وقال لمن حوله : من سره أن يعثر إلى رجل من أهل الجلة يمشى بين الناس
« شمد ؛ فليطير إلى هنا » .

وهم يظنون أنهم قد قتلوا زحراً ؛ قد هزمتنا جندهم ؛ وقتلنا أميراً من أمراءهم عظيماً ؛
فانصرف بنا الآن موفورين^(١) . فقال لهم : ^(٢) « إن قتلكم هذا الرجل^(٣) وهزمتكم هذا
الجند قد أربح هؤلاء الأمراء^(٤) ؛ فاصيدوا بنا قصدهم ؛ فوالله لئن نحن قتلناهم مادون
قتل الحجاج وأخذ الكوفة شيء . فقالوا له : نحن طوع لأمرك ورأيك ، فانقض بهم
جأداً^(٥) ؛ حتى أتى ناحية عين^(٦) التمر ؛ واستعبر عن القوم ، فعرف اجتماعهم في رؤود بار^(٧)
في أسفل العرات ، على رأس أربعة وعشرين فرسخاً من الكوفة .

وبلغ الحجاج مدير شيب إليهم ، فبعث إليهم^(٨) : « إن يحجمكم قتال ، فأمر الناس
زائدة بن قدامة .

فانتهى^(٩) إليهم شيب ، وفيهم سبعة أمراء ، على جماعتهم زائدة بن قدامة ، وقد
عقب كل أمير أصحابه على حدة ، وهو واقف في أصحابه ، فأشرف شيب على الناس ،
وهو على فرس أغر كسيت^(١٠) ؛ فنظر إلى نصيبهم ، ثم رجع إلى أصحابه ، وأقبل في ثلاث
كتائب يرحف^(١١) بها ، حتى إذا دناس الناس مضت كتيبة فيها حويد بن سليم ،

(١) الطبرى : « وافرين »

(٢ - ٣) الطبرى : « فقال لهم : إن قتلنا هذا الرجل ؛ وهزمتنا هذا الجند قد أربح هذه الأمراء
والجند الذى بعث فى طلبهم » .

(٣) الطبرى : « مادون الحجاج من شيء . وأخذ الكوفة إلى خباء الله » .

(٤) الطبرى : « جواداً » .

(٥) فى الطبرى : « نجران الكوفة ناحية عين التمر » ونجران الكوفة ، على يمين منها ؛ فمابينها
وبين واسط على الطريق ؛ سكنه أهل نجران أيضاً أحلام عمر ؛ فسموا الموضع باسمهم . وعين التمر : بلدة فى
طرف النادية على غربى العراق ؛ أكثر نخيلها القصب ، ويحمل إلى سائر الأمكن . (مراصد الأعلام) .
(٦) رؤود بار : بلدة صاحب مراصد الأعلام ، بضم أوله وسكون ثانياً وذال مصعقة ، وباء موحدة ،
وآخره راء ؛ قال : ويطلق على عدة مواضع .

(٧) فى الطبرى : « بعث إليهم عبد الرحمن بن العرق ، مولى ابن أبى عقيل ، وكان على الحجاج كريماً » .

(٨) الكلام فى الطبرى ، من أبى محمد عن عبد الرحمن بن حنبل .

(٩) السكيت من الخيل : ما بين الأسود والأحمر . ولأغر : ما كان يجمته غرة .

(١٠) فى الطبرى : « يوجفون بها » .

فوقفت بإزاء ميمنة زائدة بن قدامة ؛ وفيها ريار بن عمرو العتيكي ، ومضت كتيبة فيها مصاد أخو شبيب ، فوقفت بإزاء الميسرة ، وفيها بشر بن عاب الأسدي ، وجاء شبيب في كتيبة ؛ حتى وقف مقابل القوم في القلب ، فخرج رائدة بن قدامة يسيرى الناس بين الميمنة والميسرة ، يحرض الناس ، ويقول : عبادة الله ؛ إسمك الطيئون الكثيرون ، وقد نزل بكم الخبيثون القليلون ، فاصبروا جعلت إسمك العداء إسماهي خلتان أو ثلاث ؛ ثم هو النصر ليس دونه شيء ؛ إلا ترؤسهم والله لا يكونون مائتي رجل ، إنما هم أكلة رأس^(١) وهم الشراق المراق ؛ إنما جاءوكم ليهرقوا دماءكم ، وبأحدوا فيكم ، فلا يكونوا على أحذ أقوى منكم على منته ؛ وهم قليل وأنتم كثير ؛ وهم أهل فرقة وأنتم أهل جماعة ، غصوا الأنصار واستملوهم بالأسة ، ولا تحملوا عليهم حتى أمركم .

ثم انصرف إلى موقعه ، حمل سويد بن سليم على ريار بن عمرو العتيكي ، فكشف صفه ، وثبت زياد قليلا ثم ارتفع سويد عنهم يسيرا ثم كثر عليهم ثانية^(٢) .

فقال فروة بن أعيط الحارثي^(٣) : طامنا ذلك اليوم ساعة فصبوا لنا حتى ظننت أنهم لن يزولوا ، وقاتل زياد بن عمرو قتالا شديدا^(٤) ، ولقد رأيت سويد بن سليم يومئذ وإنه لأشد العرب قتالا وأشجعهم ؛ وهو واقف لا يعرض لهم ؛ ثم ارتفعنا عنهم ؛ فإذا هم يتقوضون ، فقال بعض أصحابنا لبعض : ألا ترؤسهم يتقوضون ! اجلأوا^(٥) عليهم ، فأرسل إلينا شبيب : خلّوهم لا تحملوا عليهم حتى يحفوا ، فتركناهم قليلا ، ثم حملنا عليهم الثالثة فانهزموا ، فنفذت إلى زياد بن عمرو ، وإنه لبصر بـ^(٦) بالسيوف ، ومامن سيف يصرب به

(١) يقولون : هم أكلة رأس ؛ أي هم قليل يشمهم رأس واحد .

(٢) في الطبري بعدها : « فاطموا ساعة » .

(٣) في الطبري : « قال أبو مخنف : عدت فروة » .

(٤) في الطبري نسبا : « وحمل يادى : يحمل ، ويشد بالسيف ، فيقاتل قتالا شديدا » .

(٥) الطبري : « اجل عليهم » . (٦) الطبري : « بالسيف » .

إلا نَبَا عنه ؛ ولقد اعتوره أكثر من عشرين سيفاً وهو بجف ، فاضره شيء منها ، ثم انهزم^(١) .

وانتهبنا إلى محمد بن موسى بن طلحة أمير سجستان عند المغرب ؛ وهو قائم في أصحابه ؛ فقاتلناه قتالاً شديداً ، وصبر لنا .

ثم إن مصاداً حمل^(٢) على بشر بن غالب في الليسة فصبر وكرم وأبلى ، وزل معه رجال من أهل البصرة نحو خمسين ، فصاروا بأسيا فهم^(٣) حتى قتلوا ، ثم انهزم أصحابه فشدة ناعلى أبي الضريس فهزمناه ، ثم انتهبنا إلى موقف أعين ، ثم شدنا على أعين ؛ فهزمناهم حتى انتهبنا إلى زائدة بن قدامة ، فلما انتهوا إليه ، نزل ونادى : يا أهل الإسلام ، الأرض الأرض ! ألا يكوئون على كفرهم أصبر منكم على إيمانكم . فقاتلوا عامة الليل إلى السحر .

ثم إن شيباً شد على زائدة بن قدامة في جماعة من أصحابه ، فقتله وقتل ربيعة^(٤) حوله من أهل الحفاظ ، ونادى شيب في أصحابه : ارفعوا السيف ، وادعواهم إلى البيعة ، فدعواهم عند الفجر إلى البيعة .

قال عبد الرحمن^(٥) بن جندب : فكنيت فيمن تقدم قبايمة بالخلافة ، وهو واقف على

(١) في الطبري بعدها . « وقد جرح جراحة يبرة ؛ وذلك عدلنا ، قال : ثم شدنا على عبد الأعلى ابن عداقة بن طمر ؛ فهزمناه وما قاتلنا كثير قتل ؛ وقد سارت ساعة ؛ وقد طفق أنه كان جرح ثم لحق بزباد بن عمرو فصيا شهرين ؛ حتى انتهوا إلى محمد بن موسى . . . » .

(٢) الكلام من هنا في الطبري من هشام بن أبي غنم ، عن عبد الرحمن بن جندب وفروة بن ليط . (٣) في الطبري بعدها : « حتى قتلوا عن آخرهم ؛ وكان بينهم عروة بن زهير بن ناجذ الأزدي ، وأمه رواردة ؛ امرأة ولدت في الأزدي ، يقال لهم بنو رواردة ، فلما قتلوه وانهمر أصحابه ، سألوا فشدوا على أبي الضريس » .

(٤) في الطبري : « وتركهم ربيعة حوله » ، والربيعة : كل قوم قتلوا في موضعة واحدة ؛ وفي الحديث : « الذين قتلوا يوم الحجاج كانوا ربيعة واحدة » .

(٥) في الطبري بعدها عن أبي غنم : « وسعدني عبد الرحمن بن جندب قال : سمعت زائدة بن قدامة لينشد وأنا صوته ، يقول : يا أيها الناس ، اسجدوا واسجدوا ؛ يا أيها الذين آمنوا ، إن تصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . ثم ما برح يقاتلهم مقبلاً غير مدبر حتى قتل » .

فرس أغر كسيت ؛ وخيله واقفة دونه وكل من جاء لبيابته ينزع سيفه عن عاتقه ؛ ويؤخذ سلاحه ؛ ثم يدنو من شبيب فيسلم عليه بإمرة المؤمنين ؛^(١) ثم يبايع ؛ فلما كذلك إذا ضاء الفجر^(٢) ومحمد بن موسى بن طلحة في أنصى المسكر مع أصحابه ؛ وكان الحجاج قد جعل موقعه آخر الناس ، وزائدة بن قدامة بين يديه ، ومقام محمد بن موسى مقام الأمير على الجماعة كلها ، فأمر محمد مؤذنه فأذن ؛ فلما سمع شبيب الأذان ، قال : ما هذا ؟ قيل : هذا ابن طلحة لم يبرح ، قال : ظننت أن حقته وخيلاء سيحللانه على هذا ، نحو هؤلاء عتاء ، وازلوا بنا فلنصل ، فنزل وأذن هو ؛ ثم استخدم فصل بأصحابه ، وقرا : ﴿ وَبَلِّغْ لِكُلِّ هَمْزَةٍ لَمَزَةً ﴾ ، و ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ ، ثم سلم وركب^(٣) ، وأرسل إلى محمد بن موسى بن طلحة : إملك امرؤ خضوع قد انتهى بك الحجاج للنبي ، وأنت لي جار بالكوفة ، ولك حق فأطلق لمك أمرت به ؛ ولك الله ألا أسوءك^(٤) ؛ فأبى محاربه^(٥) فأعاد عليه الرسول فأبى ألا قتاله ؛ يقال له شبيب : كأنى بأصحابك لو التقت حلفتنا^(٦) البيطان قد أسوءك ، وصريت مصرع أمثالك ؛ فأطعن وانصرف

(١) في الطبري : « ثم يخل سبيله » .

(٢) في الطبري : « إذا ضجر الفجر » .

(٣) في الطبري : « ثم ركبوا لحمل عليهم ، فانكسفت طائفة من أصحابه ، وبنت طائفة ؛ قال فروة : فأنسى قوله ؛ وقد عشيء وهو يقاتل بشفه ؛ وهو يقول : ﴿ أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكَوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ » . قال : وسارت حتى قتل ، فسمعت أصحابي يقولون : إن شيئا هو الذي قتل . ثم إننا نزلنا فأخذنا ما كان في المسكر من شيء ، وحرب الذين كانوا يابها شيئا ، فلم يبق منهم أحد . . . » .

(٤) في الطبري : « ولك الله لا آذيتك » .

(٥) الكلام ما يختلف عما في الطبري ؛ بالتقديم وتأخير واختلاف المبارات .

(٦) البيطان : حرام الرجل أو القتب الذي على العنق ، له حقتان في كل طرف حلقة ؛ يصعب التقاطها ؛ فإذا التقتا ، طلع الشد عاتبه ؛ يريدون أن الشدة بلغت منهاها ؛ وهو مثل ، ومنه قول أوس :
وَإِذَا التَقَّتْ حَلَقَتَا الْبَيْطَانِ بِأَفْسَافِهِمْ وَطَارَتْ نَفُوسُهُمْ جَزَعًا

لشأنك ؛ فإني أنسُ بك عن القتل ؛ فبني وخرج نفسه ؛ ودعا إلى البراز ، فبرز له
الطين ثم قمنب بن سويد ؛ وهو بأى إلا شيباً . فقالوا للشيب : إنا قد رغبنا عنا
إليك ؛ قال : فما ظنكم بمن يرغب عن الأشراف ! ثم برز له ، وقال له : أنشدك الله
يا محمد في دمك ، فإن لك جواراً ! فأبى إلا قتاله ، فحمل عليه بمودة الحديد ؛ وكان فيه
اثنا عشر رطلاً ، فنهشم رأسه وبيضة كانت عليه فتته ؛ وزل إليه فككته ودهنه ،
وتتبع ما ضم الخوارج من سكره ؛ فبث به إلى أهله ، واعتذر إلى أصحابه ، وقال :
هو جارى بالكوفة ؛ ولئى أن أحب ما عنت . فقال له أصحابه : ما دون الكوفة الآن
أحد يمنعك ؛ فنظر فإذا أصحابه قد نشأ فيهم الجراح ؛ فقال : " ليس عليكم أكثر مما
قد فعلتم " .

وخرج بهم على نهر^(٢) ، ثم خرج بهم نحو بغداد^(٣) ؛ يطلب خابج^(٤) . وبلغ
الحجاج أن شيباً قد أخذ نحو نهر ؛ فظن أنه يريد الدائن ؛ وهى باب الكوفة ؛ ومن
أخذ الدائن كان ما فى يديه من أرض الكوفة أكثر ؛ فقال ذلك الحجاج ، وبث
إلى عثمان بن قطن ، فسرّحه إلى الدائن ، وولاه ينترها والصلاة ومعونة جوخى كلماء ،
وخراج الأستان ، فجاء مسرعاً حتى زل الدائن ، وعزل الحجاج ابن أبى عصفير عن
الدائن ، وكان الجزل مقبلاً بها يداوى جراحاته ، وكان ابن أبى عصفير بمودة ويكرمه ،
ويطيقه^(٥) ، فلما قدم عثمان بن قطن لم يكن يشاهده ولا يذيقه شيء ، فكان الجزل
يقول : اللهم زد ابن أبى عصفير فضلاً وكرماً ، وزد عثمان بن قطن ضيقاً وبخلًا .

• • •

(١ - ١) الكلام هنا يختلف عما فى الطبرى ، بالتقديم والتأخير واختلاف العبارات .
(٢) نهر ، بكسر أوله وتشديد ثابيه وفتح وراء ؛ بلدة أو قرية على نهر الفرس ، من بلاد الفرس ،
من الخطيب ، فإن كان عني أنه من بلاد الفرس قديماً ، فأما الآن فهو من دواخى نابل بأرض الكوفة
(ياقوت) .

(٣) فى الطبرى : « ثم على الصراة ، ثم على خداد »

(٤) جدعاً فى الطبرى : « فأظم بها » .

(٥) أظف فلان فلانا : أكرمه وبره وأحفه .

ثم إن الحجاج دعا عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فقال له : انتخب الناس ؛ فأخرج ستمائة من قومه من كنفه ؛ وأخرج من سائر الناس ستة آلاف ، واستعنته الحجاج على الشخوص ؛ فخرج بمكره بدير عبد الرحمن ؛ فلما استتموا هناك كتب إليهم الحجاج كتاباً قرئ عليهم :

أما بعدُ فقد اعتدتم عادة الأدلاء ، ووليتم الله بر يوم الرخف ؛ دأب الكافرين^(١) وقد صنعتُ عنكم مرة بعد مرة ، وتارة بعد أخرى ؛ وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لننُ عُدَّتكم لذلك لأدقنَّكم إيقاعاً يكون أشدَّ عليكم من هذا الملو الذي تهرمون^(٢) منه في بطون الأودية والشعاب ، وتسترون منه بأثناء^(٣) الأهار والواذ^(٤) الجبال ؛ فليخفَ من كان له مقول^(٥) على نفسه ، ولا يعمل عليها سبيلاً ، فقد أغسدر من أضر ، والسلام .

وارتحل عبد الرحمن بالناس لحق مَرَّ بالمياكن ، ففرل بها يوماً ليشترى أصعابه منها حوائجهم ؛ ثم نادى في الناس بالرحيل ؛ وأقبل حتى دخل على عثمان بن قطن مودعاً ؛ ثم أتى الجزل عائداً ، فسأله عن جراحته ، وحادثه ، فقال الجزل : يا بن عم ؛ إنك تسير إلى فرسان العرب وأبناء الحرب وأخلاص^(٦) الحيل ؛ والله لكأتما حلقوا من ضلوعها ؛ ثم رُبوا^(٧) على ظهورها ؛ ثم هم أسدُ الأحم ؛ الفارس منهم أشدُّ من مائة ؛ إن لم يبدأ به

(١) الطبرى : « ذلك دأب الكافرين » .

(٢) الطبرى : « تهرون » .

(٣) الأثناء : جمع ثنى ، وهو التقلب .

(٤) الواذ : جمع لوذ ، وهو جانب الجبل .

(٥) المقول ما : القتل ، وهو مصدر من الصادر التي وردت على اسم المفعول ، كالجهود واليسور ، ول

الثل : « ماله حول ولا مقول » .

(٦) المخلص في الأصل : كل شيء . وفي ظهر المعبر والداية تحت الرجل والقتب والسرّج ، كالمشعة تكون

تحت اليد . ويقال : ملان من أخلاص الحيل ، أى من راحتها وساستها والملازمين ظهورها ، على التشبيه بالخلص .

(٧) في الطبرى : « ربوا » .

بدأ هو ، وإن هُجِجَ^(١) أقدم ؛ وإني قد قاتلتهم وبلوتهم ؛ فإذا أصحرت لم انتصفوا متى ؛ وكان لهم الفصل على ، وإذا خندق أو قاتلت في مصبق نلت منهم مأح ؛ وكانت لي عليهم ؛ فلا تلقهم وأنت تستطيع إلا وأنت في نمية أو خندق ؛ ثم ودعه ، وقال له : هذه فرسى الفسيفا . حذها فها لانحاري ؛ فأخذها ثم خرج بالناس نحو شيب ، فلما دنا منه ارتفع شيب عنه إلى دقوقاه وشهروزور ؛ فخرج عبد الرحمن في طلبه ؛ حتى إذا كان على تخوم تلك الأرض أقام ، وقال : إنما هو في أرض الموصل ؛ فليقاتل أمير الموصل وأهلها عن بلادهم أو فليدعوا .

وبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إليه :

أما بعد فاطلب شيبا واسلك في أثره^(٢) أين سلك حتى تدركه فتقتله أو تنفيه من الأرض ، فإنما السلطان سلطان أمير المؤمنين هو الخند خنده . والسلام .
فلما قرأ عبد الرحمن كتاب الحجاج خرج في طلب شيب ، فكان شيب يدعه ، حتى إذا دنا منه ليبيته فيجده قد خندق وحذر ، فيمضي ويتركه ، فينبهه عبد الرحمن فإذا بلغ شيبا أنه قد تحمل وسار يطلبه كثر في الحيل محوه ، فإذا انتهى إليه وحده قد صف خيله ورجاله للرماية ، فلا يصيب له غيرة ولا هفلة^(٣) ، فيمضي ويدعه .

ولما رأى شيب أنه لا يصيب غرته ، ولا يصل إليه ، صار يخرج كلما دنا منه عبد الرحمن ، حتى ينزل على مسيرة عشرين فرسعا ، ثم يقيم في أرض غليظة وغرة ، فيجىء عبد الرحمن في نعله وخيله ، حتى إذا دنا من شيب ارتحل ، فسار عشرين أو خمسة عشر فرسخا ؛ فنزل منزلا غليظا حشنا ، ثم يقيم حتى يبلغ عبد الرحمن ذلك المنزل ، ثم يرتحل ، فعذب المسكر ، وشق عليهم ، وأخنى دوابهم ، ولقوا منه كل بلاء .

(١) هجج : صبح به .

(٢) ج : « واسلك أينما سلك » .

(٣) الطبرى : « ولا له علة » .

فلم ينزل عبد الرحمن يتبعه ؛ حتى صار إلى حايقين وجولاء ، ثم أقبل على تَامَرَا^(١) ،
فصار إلى البَت^(٢) ، ونزل على مَخُوم الموصل بس يده وبين الكوفة إلا نهر حَوَلَايَا^(٣) ،
وجاء عبد الرحمن حتى نزل بشرقي حَوَلَايَا ، وهم في راذان^(٤) الأهل من أرض جُوخَى ،
ونزل في عَوَاقِل^(٥) من النهر ، وبلغا عبد الرحمن حيث نزلها ، وهي تعجبه ، يرى أنها
مثل الخندق الحصين .

فأرسل شبيب إلى عبد الرحمن أن هذه الأيام أيام عيد لنا ولكم ؛ فإن رأيتم أن
توادعونا حتى تمضي هذه الأيام فعلم ؛ فأجابه عبد الرحمن إلى ذلك ؛ ولم يكن شيء
أحب إلى عبد الرحمن من للطاولة والموادعة ، فكتب عثمان بن قُطَن إلى الحجاج :
أما بعد ؛ فإني أخبر الأمير أصلحه الله ؛ أن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
قد حفر جُوخَى كلها عليه خندقا واحدا ، وحل شيبيا ، وكسر خراجها ، فهو يأكل
أهلها ، والسلام .

فكتب إليه الحجاج :

قد فهمت ما ذكرت ؛ وقد لعمري فعل عبد الرحمن ، فيسر إلى الناس ، فأت
أميرهم ، وطاجل المارقة حتى تلقاهم ، [فإن الله إن شاء ناصرك عليهم]^(٦) ، والسلام .
وبعث الحجاج على للدائن مطارف بن المغيرة بن شعبة ، وخرج عثمان حتى قدم على

(١) تَامَرَا ، فتح الم وتشديد الراء ، والقصر : نهر كبير تحت بفساد ، شرقها ، مخرجه من جبال
شهرزور . (مراسد الاطلاع) . (٢) البت : قرية من قرى الموصل (الطبري) .
(٣) حَوَلَايَا ، بفتح الحاء وسكون الواو آخره ياء وألف : قرية كانت بالنهر وان خربت بخرايه . (مراسد الاطلاع) .
(٤) راذان : راذان : تصحيف ، وصوابه من الطبري ، قال في مراسد الاطلاع : راذان بفسد
الألف ذال مصحفة وآخره نون : راذان الأعلى وراذان الأسفل : كورتان ببغداد تشمل على قرى كثيرة .
(٥) العواقل : جمع عاقول ، وهو منقلب النهر .
(٦) من الطبري .

عبد الرحمن ومن معه ؛ وهم معكرون على سحر حولايا ، قريبا من البت ؛ وذلك يوم
التروية ^(١) عشاء ، فنادى في الناس ، وهو على نامة ^(٢) : أيها الناس ، اخرجوا إلى عدوكم .
هو ثبوا إليه ، وقالوا : نشدك الله ! هذا الماء قد غشينا ، والناس لم يوطنوا أنفسهم على القتال
في الليلة ثم اخرج على تسمية ، يحمل يقول : لأما جزئهم القليلة ، ولتكونن الفرصة
لي أو لهم ، فأتاه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فأخذ يمان نفلته ، وناشده الله لما نزل ،
وقال له عقيل بن شداد السلولي : إن الذي تريد من مناخزهم الساعة أت فاعله غدا ،
وهو حيرلك والناس ، إن هذه ساعة ربيع قد اشتدت مساء ، فأنزل ، ثم أبكر بنا غلوة .
فأنزل وسفت عليه الريح ، وشق عليه المبار ، فاستدعى صاحب الخراج علوجا ، فبنوا
له قنة ، فبات فيها ؛ ثم أصبح مخرج بالناس ؛ فاستقبلتهم ربيع شديدة وغبرة ، فصاح الناس
إليه ، وقالوا : نشدك الله ألا نخرج بنا في هذا اليوم ! فإن الريح علينا ، فأقام ذلك اليوم .
وكان شيب يخرج إليهم ، فلما رأهم لا يخرجون إليه أقام ، فلما كان الفد خرج عثمان
بعي الناس على أرباعهم ، وسألم : من كان على ميمنتكم وميسرتكم ؟ فقالوا : خالد بن
سبيك بن قيس الكندي على ميسرتنا ، وعقيل بن شداد السلولي على ميمنتنا ، ففصحاها
وقال لها : ففاني مواقفكما التي كنما بهما ، فقد وليتكما المجنبتين ، فاثبتا ولا تفرأ ، فوالله
لا أزول حتى تزول بحيل راذان عن أصولها . فقالا : نحن والله الذي لا إله إلا هو لا نفرأ
حتى نلفرأ أو نقتل ؛ فقال لها : جزا كما الله خيرا ! ثم أقام حتى صلى بالناس للفداء ، ثم خرج
بالخيل ، فأنزل يمشي في الرجال ، وخرج شيب ومعه يومئذ مائة وأحد وثمانون رجلا ،
قطع إليهم النهر ؛ وكان هو في ميمنة أصحابه ، وجعل على اليسرة سويد بن سليم ، وجعل
في القلب مصادا أحاء وزحفوا ، وكان عثمان بن قطن يقول لأصحابه فيسكن : « قل لن

(١) يوم التروية : الثامن من ذي الحجة .

(٢) النامة هنا : ماعلا من الجبل ، وفي الطبري : « على ينة » .

يَنْفَعُكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَفُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(١) .
 ثم قال شبيب لأصحابه : إني حاملٌ على مبسرتهم ؛ مما يلي النهر ؛ فإذا هزمتها
 فليحِيل صاحبُ مبسرتي على ميمنتهم ، ولا يبرح صاحبُ القلب حتى يأتيه أمرى ، ثم حل في
 ميمنة أصحابه مما يلي النهر على مبسرة عثمان بن قطن ؛ فاهزموا ، ونزل عقيل بن شداد مع
 اثثة من أهل الحفاظ ؛ فقاتل حتى قُتل ، وقتلوا معه ^(٢) .

ودخل شبيب عسكرهم ، وحمل سويد بن سليم في مبسرة شبيب على ميمنة عثمان بن قطن
 فهزمها ، وعليها خالد بن نهيك الكندي ، فزله خالد ، وقاتل قتالا شديدا ، فعجل عليه
 شبيب من ورائه ، فلم يَنْتَنِ حتى علاه بالسيف قتله ، ومضى عثمان بن قطن ؛ وقد نزلت
 معه العرفاء والفرسان وأشرافُ الناس نحو القلب ، وفيه أخو شبيب في نحو من ستين
 رجلا ، فلما دنا منهم عثمان ، شدَّ عليهم في الأشراف وأهل الصبر ، فضرهم مَصَاد
 وأصحابه ، حتى فرَّقوا بينهم ، وحل شبيب من ورائهم بالخيل ، فاشعروا ألا والرماح
 في أكتافهم تَكْبَهُمْ لوجوههم ؛ وعطف عليهم سويد بن سليم أيضا في خيله ، وقاتل عثمان
 فأحسن القتال .

ثم إن الخوارج شدُّوا عليهم ؛ فأحاطوا بثمان ، وحل عليه مَصَاد أخو شبيب ؛
 فضربه ضربة بالسيف فاستدار لها ، وسقط ، وقال : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ أَهْلِ قَدْرًا مَقْدُورًا ﴾ ^(٣) ،
 قُتِلَ وقُتِلَ معه العرفاء ووجوه الناس ، وقُتِلَ مِنْ كِنْدَةَ يومئذ مائة وعشرون رجلا ،
 وقُتِلَ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ نحو ألف ، ووقع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الأرض ، فمرفقه

(١) سورة الأحزاب ١٦

(٢) في الطبري : وقُتِلَ يومئذ مالك بن عبد الله الحمصاني ، ثم المرهبي ، عم عباس بن عبد الله بن عباس
 التتوف ، وجعل يومئذ عقيل بن شداد يقول وهو يحلهم :

لأضربن بالحسام الباتير ضربة علام من سُلُولِ صابير

(٣) سورة الأحزاب ٢٣

ابن أبي سبرة ، قتل وأركبه ، وصار رديفاً له^(١) . وقال له عبد الرحمن : نادِ في الناس ،
الحقوا بدير ابن أبي مریم ؛ فنادى بذلك ؛ وأطلقا ذاهبين ، وأمر شبيب أصحابه ،
فرفضوا عن الناس السيف ؛ ودعاهم إلى البيعة ، فأتاه من بقي من الرجال ، فبايعوه ، وبات
عبد الرحمن بدير اليمار ، فأتاه فارسان ليلاً ، فخلا به أحدهما بناجيه طويلاً ، وقام الآخر
قريباً منهما ، ثم مصياً ولم يعرفا ؛ فتحدث الناس أن الماجي له كان شبيباً ؛ وأن الذي
كان يرقبهما كان مصاداً أخاه ؛ وأتهم عبد الرحمن بمكاتبة شبيب من قبل .

ثم خرج عبد الرحمن آخر الليل ، فسار حتى آى دير ابن أبي مریم ؛ فإذا هو بالناس
قبله قد سبقوه ، وقد وضع لهم ابن أبي سبرة صبر الشعر والقت^(٢) كأنها القصور ؛
ونحر لهم من الجزور ماشاموا ، واجتمع الناس إلى عبد الرحمن ، فقالوا له : إن علم شبيب
بمكائلك أنك فككت له غيبة ؛ قد تفرق الناس منك ، وقُتل خيارهم ، فالحق أيها
الرجل بالكوفة .

تفرج وخرج معه الناس ؛ حتى دخل الكوفة مستترا من الحجاج ، إلى أن أخذه
الأمان بعد ذلك .

• • •

ثم إن شبيباً اشتد عليه الحرّ وعل أصحابه ، فأتى ماء بهراذان ، فصيف^(٣) بها ثلاثة
أشهر ، وأتاه ناس ممن كان يطلب الدنيا والعنيفة كثير ، ولحق به ناس ممن كان يطلبهم

(١) في الطبري : « قال عبد الرحمن بن محمد : أيا رديف ؛ قال ابن أبي سبرة : سبحان الله ! أت
الأمير تكون القدم ، فرك » .

(٢) في الأصول : « القيت » ، وما أتت من الطبري ، وفيه : « بضه على صبي » .

(٣) صيف بالمسكان : أقام به صيفاً ، وفي الطبري : « صيف » ، وهما بمعنى .

الحجاج بمال وتبعة^(١) ، فهم رجل يقال له الحر بن عبد الله بن عوف ، كان قتل دُهقانين من أهل نهر درقيط ، كانا أساءا إليه ، ولحق بشيب حتى شهد معه مواعنه إلى أن هلك ، وله مقام عند الحجاج ، وكلام سليم بمن القتل ، وهو أن الحجاج بعد هلاك شيب ، آمن كل من خرج إليه ممن كان يطلبهم الحجاج بمال ، أو تبعة ، فخرج إليه الحر فمسن خرج ، فجاء أهل الدهقانين يستمدون عليه الحجاج ، فأحضره ، وقال : يا عدو الله ، قتلت رجلين من أهل الخراج ؛ فقال : قد كان أصلحت الله منى ما هو أعظم من هذا ، قال : وما هو ؟ قال : خروجي عن الطاعة ، وفراق الجماعة ، ثم إنك أمنت كل من خرج عليك ، وهذا أمانى وكتابك لى .

فقال الحجاج : قد لعمري فعلت ، ذلك أولى لك ا ولى سبيله .

ثم لما مانع الحر^(٢) ، وسكن عن شيب خرج من ماء نهر واد في محوم ثمانمائة رجل فأقبل نحو الدائن ، وعليها المطرف بن الميرة بن شعبة ، فجاء حتى نزل قناطر حذيفة^(٣) بن اليمان فكتب ما ذرأب^(٤) وهو عظيم بأبل مهرودة إلى الحجاج يخبره خبر شيب وقدمه إلى قناطر حذيفة ، فقام الحجاج في الناس وحط بهم ، وقال :

أيها الناس ، لتقاتلن عن بلادكم وفيكم ، أولأستن إلى قومهم أطوع وأسمع ، وأصبر على البلاء^(٥) منكم ، فيقاتلون عدوكم وبأ تكون فيكم - بمعنى جند الشام .

فقام إليه الناس من كل جاب ، يقولون : بل نحن نقاتلهم ، ونفيث^(٦) الأمير ، ليندبنا إليهم ، فإننا حيث يسره .

(١) في الطبرى : « التباغات » .

(٢) ياخ الحر : سكن ودر . وفي الطبرى : « اخج » .

(٣) قناطر حذيفة : سواد حداد .

(٤) في الطبرى : « حادرواس » .

(٥) الطبرى : « اللأواء » .

(٦) الطبرى : « ومنب » .

وقام إليه زهرة بن حوية - وهو يومئذ شيخ كبير لا يستقيم قائما ، حتى يؤخذ بيده
 فقال : أصلح الله الأمير ! إنما نبئت للناس متقطعين ، فاستغفر إليهم الناس كافة ،
 وابعت عليهم رجلا متينا شجاعا مجربا ، يرى الفرار هضبا وطارا ، والصبر مجدا وكرما .
 فقال الحجاج : فأنت ذاك ، فأخرج .

فقال : أصلح الله الأمير ! إنما يصلح لهذا اللوقص رجل يحمل الرمح والدروع ، ويهز
 السيف ، ويثبت على متن الفرس ، وأنا لا أطيق ذلك ، قد ضعفت وضمت بصرى
 " ولكن ابعتني مع أمير نعتده ، فأكون في عسكره ، وأشير عليه برأيي " .

فقال : " جزاك الله من الإسلام والطاعة خيرا " ، قد نصحت وصدق ، وأنا أخرج
 الناس كافة ، ألا فسيروا أيها الناس .

فانصرف الناس يمحزون وينثشرون ، ولا يدرون من أمرهم .
 وكتب الحجاج إلى عبد الملك :

أما بعد ، فإني أخبر أمير المؤمنين أكرمته الله ، أن شييبا قد شارب للدائن ، وإنما
 يريد الكوفة ، وقد قهر أهل العراق من حاله في مواطن كثيرة ، في كل ما تقتل أمراؤهم
 ويقتل خيولهم " (١) وأجنادهم ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يبعث إلي جندا من جند الشام ليقاتلوا
 عدوهم ، ويأكلوا بلادهم فعل إن شاء الله .

فلما أتى عبد الملك كتابه بعث إليه سفيران بن الأبرد في أربعة آلاف ، وبعث إليه حبيب
 ابن عبد الرحمن [الحسكي] " (٢) من " (٣) مذحج في العين وسرحهم نحوه حين أتاه الكتاب " (٤) .

(١ - ١) الطبري : « واركس أخرجني والناس مع الأمير ، فإني إنما أنبت على الراحة ، ما كونس مع الأمير
 في عسكره ، وأشير عليه برأيي » .

(٢ - ٢) الطبري : « جزاك الله من الإسلام وأعطاني أول الإسلام خيرا ، وجزاك الله عن الإسلام في
 آخر الإسلام خيرا » .

(٣) الطبري : « حدودهم » .

(٤) من الطبري .

(٥) في الأصول . « ابن » ، وما أنبت من الطبري . (٦) يندعوا في الطبري : « من الحجاج » .

وقد كان الحجاج بعث إلى عتّاب بن ورقاء الرّياحى ليأتيه ، وكان على خيل لا كوفة مع للهب ، ودعا الحجاجُ أشراف أهل الكوفة ، منهم زهرة بن حوبة ، وقبيصة بن واثق ، فقال : مَنْ ترون أن أبعث على هذا الجيش ؟ قالوا : رأيك أيها الأمير أفضل ؛ قال : إني قد بعثتُ إلى عتّاب بن ورقاء وهو قادم عليكم الليلة ، فيكون هو الذى يسير بالناس ، فقال زهرة بن حوبة : أصْلَحَ الله الأمير ! رميتهم بحجرهم ، لا والله لا يرجع إليك حتى يظفروا أو يقتل .

فقال قبيصة بن واثق : وإني مشيرٌ عليك أيها الأمير برأى اجتهدته ، نصيحة لك ولأهل المؤمنين ولعامة المسلمين ؛ إن الناس قد تحدّثوا أن حيثما قد وصل إليك من الشام ؛ لأن أهل الكوفة قد هُزموا ، وهان عليهم للفرار والعار من الهزيمة ، فسكّاتما قلوبهم في صدور قوم آخرين ، فإن رأيت أن تبعث إليهم الجيش الذى قد أمددت به من أهل الشام ، فلما خفوا حذرهم ، ولا يبتغوا بمنزل إلا وهم يرون أنهم يبيتون فملت ، فإن فعلت فإنك إنما تحارب حولا قلبا محلا لا مطلقا^(١) ؛ إن شبيبا يتأهون فى أرض إذا هو فى أخرى ، ولا آمن أن يأتيهم وهم غارون ، فإن يهلكوا يهلك العراق كله .

فقال الحجاج : لله أبوك ! ما أحسنَ ما رأيت ! وما أصح ما أشرت به ! فبعث إلى الجيش الوارد عليه من الشام كتابا قرأوه وقد نزلوا هيت ؛ وهو :
أما بعد ؛ فإذا حاذيتم هيت ، فدعوا طريق الفرات والأنبار ، وخذلوا على عين القمر ، حتى تقدموا الكوفة ، إن شاء الله^(٢) .

فأقبل القوم سراعا ، وقدم عتّاب بن ورقاء فى الليلة التى قال الحجاج إنه فيها قادم ؛ فأمره الحجاج ؛ تفرج بالناس ، وعسكر بمحتم^(٣) أعين ، وأقبل شبيب حتى انتهى

(١) الطبرى : « ظلما رحالا »

(٢) فى الطبرى بعدها : « وخذلوا حذرهم ومحلوا البر ، والسلام » .

(٣) حام أعين : موضع بالكوفة ، منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاص .

إلى كَلَوَادَى^(١) ، فقطع منها دجلة ، وأقبل حتى نزل بَهْرَسِير^(٢) ، وصار بينه وبين مطرف
 ابن المفيرة بن شعبة جسر دجلة ، قطع مطرف الجسر ، ورأى رأيا صالحا كاد به شيبا ؛
 حتى حبسه عن وجهه ، وذلك أنه بعث إليه : أن ابعث إلى رجالا من قهواء أصحابك
 وقرائهم ؛ وأظهر له أنه يريد أن يدارسهم القرآن ، وينظر فيما يدعون إليه ، فإن وجد حقا
 اتبعه ؛ فبعث إليه شبيب رجالا ؛ فيهم قنطب وسويد والمخل ، ووصاهم ألا يدخلوا السفينة
 حتى يرجع رسوله من عند مطرف ، وأرسل إلى مطرف : أن ابعث إلى من أصحابك
 ووجوه فرسانك بمدة أصحابي ؛ ليكونوا زحفا في يدي ، حتى ترد علي أصحابي . فقال
 مطرف لرسوله : الله ، وقل له : كيف آمنتك الآن على أصحابي ، إذ أبشتم إليك ، وأنت
 لا تأمنني على أصحابك ! فأبلغه الرسول ، فقال : قل له : قد علمت أننا لا نستعمل الفدر
 في ديننا ، وأنتم قوم غدُر تستعملون الفدر وتعملونه . فبعث إليه مطرف جماعة من وجوه
 أصحابه ، فلما صاروا في يد شبيب ، سرح إليه أصحابه ، فمروا إليه في السفينة ، فأتوه ،
 فسكثوا أرسدة أيام ينظرون ، ولم يتفقوا على شيء ، فلما تبين لشبيب أن مطرفا كاده ،
 وأنه غير متابع له ، تنقّى للسير ، وجمع إليه أصحابه ، وقال لهم : إن هذا النقي قطعني عن
 رأيي منذ أرسدة أيام ، وذلك أتى هممت أن أخرج في حريضة من الخيل ، حتى ألقى هذا
 الجيش الفضل من الشام ، وأرجو أن أصادف عيرتهم قبل أن يحذروا ، وكنت أقام
 منقطعين عن مصر ، ليس عليهم أمير كالخجاج يستندون إليه ، ولا لهم مضر كالكوكة
 يتصمون به ، وقد جاءني عيون^(٣) أن أولئك قد دخلوا عين التمر ، فهم الآن قد شارفوا
 الكوفة ، وجاءني أيضا عيون من نحو عتاب^(٤) أنه مرل بحمام أعين بجاعة أهل الكوفة^(٥)
 وأهل البصرة ، فما أقرب ما بيننا وبينهم ! فتيسروا بنا للسير إلى عتاب .

(١) كلوادی : موضع قرب بغداد .

(٢) بهر سير : من نواحي بغداد قرب اللاتين .

(٣) الطبري . عيون .

(٤) الطبري : « بجاعة أهل الكوفة الصرافة » .

وكان عتاب حينئذ قد أخرج معه خمسين ألفاً من لقائهم، وهذهم الحجاج إن هربوا
كمادة أهل الكوفة، وتوعدهم، وعرض شبيب أصحابه بالمداخن، فكلموا ألف رجل
نخطبهم وقال : يا معشر المسلمين ، إن الله عز وجل كان ينصركم وأنتم مائة ومائتان ،
واليوم فأنتم مئون [ومئون] ^(١) ، ألا وإني مصلّي الظهر ، ثم سائر بكم إن شاء الله .
فصلّى الظهر ، ثم نادى في الناس ، فتخلّف عنه بعضهم .

قال فروة بن ^(٢) لقيط : فلما جاز سابط ، ونزلنا معه ، قصّ علينا، وذكرنا بأيام الله،
وزهدنا في الدنيا ، ورعبنا في الآخرة . ثم أذن مؤدنه فصلّى بنا العصر ، ثم أقبل حتى
أشرف على عتاب بن ورقاء ، فما رأى حبش عتاب نزل من ساعته، وأمر مؤدنه ، فأذن
ثم تقدّم ، فصلّى بأصحابه صلاة الحرب ^(٣) ، وخرج عتاب بالناس كلهم فتيّاهم ، وكان
قد خندق على نفسه مذ يوم نزل .

وحمل على ميمنته محمد بن عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الحمذاني ؛ قال له : يا ابن أخي
إنك شرف ، فاصبر وصابر ، فقال : أما أنا فوالله لأقاتلن ما نبتت معي إنسان .

وقال لقيصة بن والى التعلبي ^(٤) : اكفى للبصرة ، فقال : أنا شيخ كبير ، طابق
أن أنت تحت رايتي ، أما تراني لا أستطيع القيام إلا أن أقام ، وأخي نعم بن عليم ذو غناء ،
قابعته على البصرة . فبعثه عليها ^(٥) . وبعث حفظة بن الحارث الرياحي ابن عمه ، وشيخ

(١) من الطبري .

(٢) راوى الخبر في الطبري .

(٣) في الطبري : « وكان مؤدنه سلام بن سيار الشيباني » .

(٤) في الطبري : « وكان على ثلث بن نعب » .

(٥) - - - (في الطبري : « أغشى كبير ، كثير من أن أبيت تحت رايتي ، قد أبيت من القيام ، ما أستطيع
القيام إلا أن أقام ، ولكن هذا عبيد الله بن الخليل ، وسيم بن عليم التميمي ، وكان كل واحد
منهما على ثلث من أثلثة ثقب ، أعت أيهما أحببت ، فأيهما بعثت فانيقن ما حزم وعزم وهما ،
فبعث نعم بن عليم على ميسرته » .

أهل بيته على الرجلة، وبث معه ثلاثة صفوف : صف فيه الرجلة ومعهم السيوف، وصف لهم أصحاب الرماح ؛ وصف فيه للرامية .

ثم سار عتّاب بين اليمنة واليسرة يمرّ بأهل راية راية ؛ فيعرض من تحته على الصبر ؛ ومن كلامه يومئذ : إن أعظم الناس نصيباً من الجنة الشهداء ؛ وليس الله لأحد أمّنت منه لأهل البنى ؛ ألا ترون عدوكم هذا يستعرض المسلمين بسيفه ؛ لا يرى ذلك إلا قرينة لهم ؛ فهم شرار أهل الأرض ، وكلاب أهل النار . فلم يجبه أحد ، فقال : أين القصاص يقصون على الناس ، ويحرضونهم ؟ فلم يتكلم أحد ، قال : أين من يروى شر عنزة ، فيحرك الناس ؟ فلم يجبه أحد ولا ردّ عليه كلمة ؛ فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ والله لسكّاني بهم وقد تفرّقتم عن عتّاب وتركتموه نسي في أمّية الريح ؛ ثم أقبل حتى جلس في القلب ، ومعه زهرة بن حوية ، وعبد الرحمن بن محمد بن الأكمش .

وأقبل شبيب في سقاة ، وقد تحلف به من الناس أربعمائة ، فقال : إنّه لم يتخلف عني إلا من لا أحب أن أراه معي ؛ فبعث سويد بن سليم في مائتين إلى البصرة ، ومثّ الهلّ بن وائل في مائتين إلى القلب ، ومضى هو في مائتين إلى اليمنة ؛ وذلك بين المغرب والعشاء الآخرة ؛ حين أضاء القمر ؛ فناداهم : لمن هذه الرايات ؟ قالوا : رايات محمدان . فقال : رايات طاملاً نصرّت الحق ، وطاملاً نصرّت الباطل ؛ لها في كل^(١) نصيب ؛ أما أبو المدلّة اثبتوا إن شئتم . ثم حلّ عليهم ؛ وهم على مسنّة أمام الخندق ، فضصّهم ، وثبت أصحاب رايات قبيصة بن ورق .

فجاء شبيب فوقف عليه ، وقال لأصحابه : مثل هذا قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزِلُ عَلَيْهِمْ

(١) بدعا في الطبري : « والله لأجعلنكم عتياً للعباد جهادكم ، أنتم ربيعة وأنا شبيب ، أنا أبو الله لأحكم إلا الله »

نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْمَخْلُوعِينَ) ، (١)
 ثم حل على الميسرة فقصها ، وصمد نحو قلب ، وعتاب جالس على طليقة ، هو وزهرة
 ابن حويّة ، فمشيهم شبيب ، فانفض الناس عن عتاب وتركوه ؛ فقال عتاب : يا زهرة ،
 هذا يومٌ كثر فيه العدد ؛ وقل فيه العناء ، لمي على خمسمائة فارس من وجوه الناس ؛
 ألا صابرٌ لعدوه ! ألا مواسٍ بنفسه ! فقص الناس قلى وجوههم ، فمادنا منه شبيب وثب
 إليه في عصاة قليلة صبرت معه ، فقال له بعضهم : إن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
 قد هرب ؛ وانصق معه ناس كثير ، فقال : أما إني قد قرّرت قبل اليوم ، وما رأيت مثل ذلك
 الفق ؛ ما يبالي ما صنع ، ثم قاتلهم ساعة ، وهو يقول : ما رأيت كاليوم قط موطنا
 لم أبل مثله ، أقل ناصرا ، ولا أكثر هاربا عادلا ؛ فرآه رجل من بني تغلب من أصحاب
 شبيب — وكان أصاب دما في قومه ، والتحق شبيب : فقال : إني لأظن هذا المتكلم عتاب
 ابن ورقاء ، عمل عليه فطمه ؛ فوقع وقيل ، ورميت الحيل زهرة بن حويّة ، فأخذ يذب
 سيفه ؛ وهو شيخ كبير لا يستطيع أن ينهض ؛ فعاد العصل بن عامر الشيباني فقتله ،
 وانتهى إليه شبيب ؛ فوجده صريحا مفرقا ، فقال : من قتل هذا ؟ قل العصل : أنا قتلته ،
 فقال شبيب : هذا زهرة بن حويّة ؛ أما والله لئن كنت قُتلت قلى ضلالة ؛ لرب يوم من
 أيام المسلمين قد حسن فيه بلاؤك ، وعظم فيه غاؤك ، ولرب خيل للشركيين هربت
 وسرية لم ذعرت ، ومدينة لم فدعتها ؛ ثم كان في علم الله أن تقتل ناصرا للطلالين .
 وقتل يومئذ وجوه العرب من عسكر المراق في المعركة ؛ واستمكن شبيب من أهل
 العسكر ، فقال : ارفعوا عنهم السيف ، ودعهم إلى الشيعة ، فباعه الناس عامة من ساعتهم ،
 واحتوى على جميع ما في العسكر ، ونصت إلى أخيه وهو بالمدائن ؛ فأناء فأقام بموضع المعركة
 يومين ، ودخل سفيان بن الأبرد الكلبي ، وحبيب بن عبد الرحمن فيمن معها

إلى الكوفة ، فشدوا ظهر الحجاج ، واستغنى بهم عن أهل العراق ؛ ووصلته أخبار عتاب وعسكره ، فصعد المنبر ، فقال : يا أهل الكوفة ؛ لا أعز الله من أراد بكم المزم ، ولا نصّر من أراد منكم النصر ؛ اخرجوا عنا فلا تشهدوا معنا قتال عدونا ، والحقوا بالحيرة ، فانزلوا مع اليهود والنصارى ، " ولا يقاتلن معنا إلا من لم يشهد قتال عتاب بن ورقاء ^(١) .

وخرج شبيب يريد الكوفة ، فأنهى إلى سورا ^(٢) ، فقال لأصحابه : أيكم يأتيني رأس عالمها ، فانتدب إليه قطين ، وقمئب ، وسويد ، ورجلان من أصحاب شبيب ، فكانوا خمسة ، وساروا حتى انتهوا إلى دار الخراج ، والعمال فيها ، فقالوا : أحييوا الأمير ؛ فقال الناس : أي أمير ؟ قالوا : أمير قد خرج من قبل الحجاج ، يريد هذا الفاسق شييبا ، فاعتز بذلك عامل سورا ، فخرج إليهم ، فلما خالطهم شهوروا السيوف ، وحكموا وخطبوه بها حتى قتلوه ، وقبضوا ما وجدوا في دار الخراج من مال ؛ ولحقوا شبيب .

فلما رأى شبيب البدر ، قال : أتيتهم بقتل المسلمين أهلكم بإعلام الحربه ، فخرق بها البدر ، وأمر أن تنحس الدواب التي كانت البدر عليها ، فموت راحته ، والمال ينثر من البدر ، حتى وردت العصاة ، فقال : إن كان بق شيء فاقذموه في الماء .



وقال سفيان بن الأبرد للحجاج : ابستني إلى شبيب أسقطه قبل أن ير الكوفة ، فقال : لا ؛ ما أحب أن فترق حتى ألقاه في جماعتكم ، والكوفة في ظهرنا ؛ وأقبل شبيب حتى نزل حقام أعين ؛ ودعا الحجاج الحارث بن معاوية بن أبي زرعة بن مسعود الثقفي فوجه في ناس لم يكونوا شهدوا يوم عتاب . فخرج في ألف رجل ؛ حتى انتهى إلى شبيب ليدفعه عن الكوفة ؛ فلما رآه شبيب حمل عليه فقتله ؛ وقتل أصحابه . فجاءوا حتى دخلوا

(١-١) الطبري : « ولا تقاتلوا معنا إلا من كان لنا حاملا ، ومن لم يكن شهد قتال عتاب بن ورقاء » .

(٢) سورا : كورة قريبة من القراة .

الكوفة ، وبعث شبيب الطّين في عشرة فوارس يرتادون له منزلاً على شاطئ الفرات ، في دار الرق ، فوجه الحاج حوشب بن يربد ، في جمع من أهل الكوفة ، فأخذوا بأفواه السكك ، فقاتلهم البطّين فلم يبقوا عليهم ، فبعث إلى شبيب ، فأمدّه بفوارس من أصحابه ، فمقروا فرس حوشب وهرموه ، ففجأ بنفسه ، ومضى الطّين إلى دار الرق في أصحابه ، ونزل شبيب بها ، ولم يوجه إليه الحاج أحداً ، فأتى مسجداً في أقصى السبخة ، وأقام ثلاثاً لم يوجه إليه الحاج أحداً ، ولا يخرج إليه من أهل الكوفة ، ولا من أهل الشام أحد ، وكانت امرأته عرالة تدّرت أن تصل في مسجد الكوفة ركعتين ، تقرأ فيهما بالبقرة وآل عمران ^(١) .

جاء شبيب مع امرأته حتى أوقفت بنفذهما في المسجد ؛ والتبر عن الحاج أن يخرج بنفسه إليه ، فقال لعتبة بن مسلم : إني خارج ، فأخرج أمت ، فارتد لي مسكراً ، فخرج وماد ؛ فقال : وجدت الذي سبّلت ، فسر أيها الأمير على اسم الله والطائر الميمون ؛ فخرج الحاج بنفسه ، ومرّ على مكان فيه كناسة وأقذار ؛ فقال : ألقوا لي هنا ساطاً ، فقبل له : إنّ اللّوْضع قدّر ، فقال : ما تدعونني إليه أفذر ، الأرض تحت طيبة ، والسماء فوقه طيبة . ووقف هناك وأخرج مولى له يعرف بأبي الورد ، وعليه تحمّاف ^(٢) ، وأحاط به عُمّان كثير ؛ وقيل : هذا الحاج ؛ لحمل عليه شبيب فقتله ؛ وقال : إن يكن الحاج ، فقد أرحّمتُ الناس ^(٣) منه ؛ وداف الحاج نموء حينئذ ، وعلى ميمنته مطربين ناجية ، وعلى يسارته خالد بن عتاب بن ورقاء ؛ وهو زهاء أربعة آلاف ؛ فقبل له : أيها الأمير لا نعرف

(١) بعدها في الطبري : « فبعثت » .

(٢) التحمّاف . آلة للحرب يلبسها الفارس في الحرب لوقايه ؛ سُمّيها درء

(٣) الطبري : « أرحمتكم » .

شيبا بمكامله ، ففكر ، وأخفى مكانه ، وتشبه به مولى آخر للحجاج في هيئته وزيه ، فحمل عليه شيب ، فضربه بالعمود فقتله ؛ ويقال إنه قال لما سقط : « أخ » بالحاء المعجمة فقال شيب : قاتل الله ابن أمّ الحجاج ! اتقى الموت بالمبيد ؛ وذلك أن العرب تقول عند التأوه « أح » بالحاء المهملة .

ثم تشبه بالحجاج أعين صاحب حمام أعين ، وليس لبسته ، فحمل عليه شيب فقتله ، فقال الحجاج : على بالبغل لأركبه ، فأني سئل محمل ؛ وقيل : أيها الأمير ، أصاحك الله ! إن الأعاجم كانت تتطير أن تتركب مثل هذا البغل في مثل هذا اليوم ؛ فقال : أدنوه مني فإنه أغر محمل ؛ وهذا يوم أغر محمل ، فركبه ، ثم صار في الناس يمينا وشمالا ثم قال : اطرحوا لي عباءة ، فطرحته له ، فزال مجلس عليها ، ثم قال : اثنوني بكرسي ، فأني به ، فقام فجلس عليه ، ثم نادى أهل الشام ، فقال : يا أهل الشام ؛ يا أهل السمع والطاعة ، لا يملين باطل هؤلاء الأرجاس خكم ؛ فثبوا الأبصار ، واجتواحل الرؤى ، واستقبلوا القوم بأطراف الأسيّة ، فثبوا على الرؤى كجب ، وكانهم حرّمت سوداء .

ومنذ هذا الوقت ركبت ربح شيب ، وأذن الله تعالى في إدارار أمره ، وانقضاه أمامه فأقبل ، حتى إذا دنا من أهل الشام عقب أصحابه ثلاثة كراديس ، كتيبة معه ، وكتيبة مع سويد بن سليم وكتيبة مع الحلال بن وائل ، وقال لسويد : احمل عليهم في خيلك ، فحمل عليهم فقتلوا له حتى إذا غشي أطراف أسنتهم ، وثبوا في وجهه ، فقاتلهم طويلا ، فصبروا له ؛ ثم طاعنوه ؛ قدما قدما ؛ حتى ألحقوه بأصحابه .

فلما رأى شيب صبرهم ، نادى : يا سويد ، احمل في خيلك في هذه الرايات الأخرى ، لعلك تزبل أهلها ؛ فتأني الحجاج من ورائه ، ونحيل نحن عليه من أمامه . فحمل سويد على تلك الرايات ، وهي بين جدران الكوفة ، فرمى بالحجارة من سطوح البيوت ، ومن أنواء السكك ، فانصرف ولم يظفروا .

ورماه عُروة بن المعيرة بن شعبة بالسهم ، وقد كان الحجاج جملة في ثلاثمائة رام من أهل الشام رذءاً له كي لا يؤتى من ورائه ، فصاح شبيب في أصحابه :

يا أهل الإسلام ! إنما شَرَبْتُمْ قَهْ ، ومن بكى شراؤه قَهْ لم يضره ما أصابه من ألم وأذى ^(١) ، قَهْ أبوك الصبر الصبر ، شدة كشداتكم الكريمة في مواطنكم المشهورة . فشدوا شدة عظيمة ، فلم يرل أهل الشام عن مراكزم ، فقال شبيب : الأرض ! دبوا ديباً تحت ترأسكم ، حتى إذا صارت أئنة أصحاب الحجاج فوقها ، فأذلقوها صُعداً ، وادخلوا تحتها ، واصربوا سوقهم وأقدامهم ، وهي المريمة يادن الله . فأقبلوا يدبون ديباً تحت الخجف : صندا صندا ، نحو أصحاب الحجاج .

فقال خالد بن عتاب بن ورقاء : أيها الأمير ، أما موتور ، ولا أنهم في نصبعتي ^(٢) ، فأذن لي حتى آيتهم من ورائهم ، فأعبر على معسكرهم وقلمهم ، قال : فعل ذلك ^(٣) ، فخرج في جمع من مواليه وشا كريمة ^(٤) ، ونفى عنه ، حتى صار من ورائهم ، فالتقى بمصاد أخى شبيب فقتله ، وقتل غزالة امرأة شبيب ، وألقى النار في معسكرهم ، والتفت شبيب والحجاج ، فشاهدوا النار ، فأما الحجاج فكبر وكبر أصحابه ، وأما شبيب ، فوثب هو وكل راجل من أصحابه على خيولهم مرعوبين ، فقال الحجاج لأصحابه : شدوا عليهم ، فقد أتاهم ما أرعبهم فشدوا عليهم ، فهزمهم ، وتمتف شبيب في خاصة الناس ، حتى خرج من الجسر ، وتبعه خيل الحجاج ، وغشيه الناس ، فجعل يحرق برأسه ، وانليل تطلبه . قال أصفر الخارجي ^(٥) : كنت معه ذلك اليوم ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، التفت

(١) الطبري : « ومن شربى الله لم يكبر عليه ما أصابه من الأذى » .

(٢) الطبري : « في نصبة » .

(٣) الطبري : « ما بدالك » .

(٤) الشاكرية جمع شاكرى . وهو الأجير .

(٥) في الطبري : « قال هشام : لحدثني أصفر الخارجي ، قال : حدثني من كان مع شبيب . . . »

فانظر مَنْ حَامِلُكَ؛ فالتفتَ غيرَ مكترِثٍ ، وحمل^(١) بِحِفْظٍ بِرَأْسِهِ . قَالَ : وَدَعَوْا مَنَا، فَقُلْتُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ دَنَا الْقَوْمُ مِنْكَ ، فَالتفتَ وَاللَّهِ ثَانِيَةَ غَيْرِ مَكْتَرِثٍ بِهِمْ ، وَجَعَلَ
بِحِفْظٍ بِرَأْسِهِ ، وَبَعَثَ الْحِجَاجَ حَيْلًا تَرْكُضُ تَقُولُ : دَعُوهُ يَذْهَبُ فِي حَرْقِ اللَّهِ ، فَتَرْكُوهُ
وَانْصَرَفُوا عَنْهُ^(٢) .

وَمَضَى شَيْبٌ بِأَصْحَابِهِ ، حَتَّى قَطَعُوا جِسْرَ لُدَاثِنَ ، فَدَخَلُوا دَيْرًا هُنَاكَ ، وَخَالِدُ بْنُ
عَتَابٍ يَقْتُمُهُمْ ، فَحَصَرَهُمْ فِي الدَّيْرِ ، فَخَرَجَ شَيْبٌ إِلَيْهِ فَهَزَمَهُ وَأَصْحَابَهُ نَحَوًا مِنْ فَرَسَيْنِ ،
حَتَّى أَلْقَى خَالِدُ نَفْسَهُ فِي دَجَلَةٍ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بِحَيْوَلِهِمْ ، فَرَزَّ بِهِ شَيْبٌ ، فَرَأَاهُ فِي دَجَلَةٍ ، وَلَوَاؤُهُ
فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : قَاتِلْهُ اللَّهُ فَارِسًا ، وَقَاتَلَ فَرَسَهُ فَرَسَ الْإِنْسَانِ أَشَدَّ الْقُوَّةِ ، وَفَرَسُهُ أَقْوَى
فَرَسَ فِي الْأَرْضِ ، وَانْصَرَفَ ، فَخِيلَ لَهُ بِمَدِّ انْصِرَافِهِ : إِنَّ الْفَارِسَ الَّذِي رَأَيْتَ هُوَ خَالِدُ بْنُ
عَتَابٍ بْنُ وَرْقَاءَ ، فَقَالَ : مَرَقَ فِي الشَّجَاعَةِ أَوْ لَعَلَّتْ لَأَفْضَلُ خَلْعُهُ ، وَلَوْ دَخَلَ النَّارَ .
ثُمَّ دَخَلَ الْحِجَاجَ الْكَوْفَةَ بَعْدَ هَزِيمَةِ شَيْبٍ ، فَصَعِدَ الْمُنِيرَ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قُوتِلَ شَيْبٌ
قَطْرًا قَبْلَ الْيَوْمِ ، وَلَّى هَارِبًا ، وَتَرَكَ أَمْرَانَهُ يُكْسِرُ فِي اسْتِهَا الْقَصَبِ .

ثُمَّ دَعَا حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَبَعَثَهُ فِي أَثَرِهِ فِي ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَقَالَ :
احْذَرِ بَيَّاتَهُ ، وَحَيْثُمَا لَقِيتَهُ فَنَازِلُهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَلَّ حُدُّهُ ، وَقَصَمَ نَابَهُ . فَخَرَجَ حَبِيبٌ
فِي أَثَرِهِ ، حَتَّى نَزَلَ الْأَبَارَ ، وَبَعَثَ الْحِجَاجَ إِلَى الْعِمَالِ : أَنْ دُسُّوا إِلَى أَصْحَابِ شَيْبٍ ؛
مَنْ جَاءَنَا مِنْكُمْ فَهُوَ آمِنٌ ، فَكَانَ كُلُّ مَنْ لَيْسَتْ لَهُ بَصِيرَةٌ فِي دِينِ الْخَوَارِجِ ، مِمَّنْ هَزَمَهُ^(٣)
الْقِتَالُ . وَكَرِهَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِحَيٍّ . فَبِئْسَ مَنْ . وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ الْحِجَاجُ نَادَى يَوْمَ هَزِيمِ شَيْبٍ :
مَنْ جَاءَنَا فَهُوَ آمِنٌ ، فَتَفَرَّقَ عَنْ شَيْبٍ مِائَتُكَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ .

(١) الطبري : « ثُمَّ أَكْبَحَ بِحِفْظٍ بِرَأْسِهِ »

(٢) الطبري : « وَارْجَعُوا » .

(٣) الطبري : « هَذِهِ الْقِتَالُ » .

وبلغ شيباً منزلاً حبيب بن عبد الرحمن بالأنبار ، فأقبل بأصحابه حتى دنا منه ؛ فقال يزيد التكمسي^(١) : كنت مع أهل الشام بالأنبار ليلة جاءنا شبيب ، فبيّتنا ، فلما أمسينا جمعنا حبيب بن عبد الرحمن ، فجعلنا أرباعاً ، وجعل على كل رُبع أميراً ، وقال لنا : ليحكم^(٢) كل رُبع منكم جانبه ، فإن قُتل هذا الربع فلا يُمنهم الربع الآخر ، فإنه يُلقي أن الخوارج منكم قريب ؛ فوطنوا أنفسكم على أسكم مهيتون فقاتلون ، قال : فإزِلنا على تسميتنا حتى جاءنا شبيب تلك الليلة فبيّتنا ، فشدَّ على رُبعٍ مِنّا فصارهم طويلاً ، فما زالت قدمُ إسان منهم . ثم تركهم وأقبل إلى رُبع آخر ، فقاتلهم طويلاً فلم يظفر بشيء . ثم طاف بنا يحمل علينا رُبعاً رُبعاً ، حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل^(٣) ولصق بنا^(٤) حتى قلنا : لا يفارقنا ، ثم نرجل ففارقنا راحلاً نزلاً طويلاً هو وأصحابه ، فسقطت والله بيننا وبينهم الأيدي والأرجل ، وقُتِلَت الأعين . وكثُرَت القتل ، فقتلنا منهم نحو ثلاثين ، وقتلوا منا نحو مائة ، وإيمُ الله لو كانوا كثروا من مائتي رجل لأهلكونا ، ثم فارقونا وقد مللناهم ومللناهم ، وكرهناهم وكرهونا ، وقد رأيتُ الرجل مِنّا يضرب الرجل منهم بالسيف فما يصره من الإعياء والضعف ، وقد رأيتُ الرجل منا يقاتل جالساً يرفع سيفه ما يستطيع أن يقوم من الإعياء والبهر . حتى ركب شبيب ، وقال لأصحابه الذين نزلوا معه : اركبوا ؛ وتوجه بهم مُنصرفاً عما .

فقال فروة بن قيس الطخاري - وكان شهد معه مواعظه كلها - قال لنا ليلئذ ، وقد رأى

(١) في الخبر : « قال أبو عنتاب ، حدثني أبو يزيد التكمسي قال . »

(٢) الخبر : « ليجز كل ربع . »

(٣ - ٣) الخبر : « شدَّ على ربع ماء عليهم عثمان بن سعيد الطخري ، فصارهم طويلاً ، فزال قدم الإسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر ، وقد جعل عليهم سعد بن جهم الناصري ، فقاتلهم فما زالت قدم إسان منهم ، ثم تركهم وأقبل على الربع الآخر ، وعليهم عثمان بن سعيد الحميري ، فما دار منهم على شيء . ثم أقبل على الربع الآخر وعليهم ابن البصر الميموني ، فقاتلهم طويلاً ، فلم يظفر بشيء ، ثم أطاف بنا يحمل علينا ، حتى ذهب ثلاثة أرباع الليل . »

(٤) الخبر : « وأز بنا . »

بنا كآبة ظاهرة ، وجراحات شديدة : ما أشد هذا الذي بنا لو كنا نطلب الدنيا ! وما أيسر هذا في طاعة الله وثوابه ! فقال أصحابه : صدقت يا أمير المؤمنين .

قال قروة بن لقيط : وسمعتك تلك الليلة يحدث سويد بن سليم ، ويقول له : قد قتلت منهم أمسي رجلين من أشجع^(١) الناس ، خرجت عشية أمسي طليعة لكم ، فلقيت منهم ثلاثة نفر دخلوا قرية يشترون منها حوائجهم ، فاشترى أحدهم حاجته ، وخرج قبل أصحابه فخرجت معه ، فقال لي : أراك لم تشتر علناً^(٢) ؟ فقلت : إن لي رفقاء قد كفوني ذلك ، ثم قلت له : أين ترى عدونا [هذا نزل]^(٣) ؟ قال : بلغني أنه قد نزل قريبا منا ، وإيم الله لو ددت أني لقيت شبيبهم هذا ، قلت : أفصحب ذلك ؟ قال : إي والله ، قلت : فخذ حذرَكَ ، فأنا والله شبيب ، وانصبت السيف ، فخرت والله ميتا [فقلت له : ارتفع ويحك ! وذهبت أنظر فإذا هو قد مات]^(٤) فانصرفت راجعا ، فاستقبلت الآخر خارجا من القرية ، فقال : أين تذهب هذه الساعة التي يرجع فيها الناس إلى مسكنهم ؟ فلم أكلمه ، ومضيت ، ففرت لي فرسي ، وذهبت تمطر^(٥) ، فإذا به في أثرى حتى لحقني ، فحطقت عليه ، وقلت : ما بالك ؟ قال : أظنك والله من عدونا . قلت : أجل والله ، قال : إذا لا تبرح حتى أقتلك أو تقتلني ؛ فحملت عليه وحمل علي ، فاضربنا بسيفيننا ساعة ، فوالله ما فضلته في شدة نفس ولا إقدام ، إلا أن سيني كان أقطع من سيفه قتلتته .



وبلغ شيبا أن جند الشام الذي مع حبيب حملوا معهم حجرا ، وحلفوا لا يفرّون حتى يفرّ هذا الحجر ، فأراد أن يكسدهم ، فصعد إلى أربعة أفراس ، وربط في أذناها ترسة ،

(١) الطبري : « قتلت منهم أمسي رجلين . أحدهم أشجع الناس ، والآخر أجس الناس » .

(٢) الطبري : « كالمك لم تشتر علنا » .

(٣) من الطبري .

(٤) تمطر : تسرع وجرها .

في ذنب كل فرس تَرْسِين، ثم مَدَب ثمانية مَر من أصحابه ، وعَلَامَا لَهُ يُقَال لَهُ حَيَّان - كَانَ شَجَاعَا فَاتَكَا - وأمره أن يحمل معه إِدَاوَةً من ماء ، ثم سار ليلا حتى أَتَى مَاحِيَةً من عَسْكَرِ أَهْلِ الشَّامِ ، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَكُونُوا فِي نَوَاحِي الْعَسْكَرِ الْأَرْبَعِ ، وَأَنْ يَكُونَ مَعَ كُلِّ رَجُلَيْنِ فَرَسٌ : ثُمَّ يَلْبِسُ وَهَاهُ الْخَدِيدَ حَتَّى تَحْدَحْرَهُ ، ثُمَّ يَحْلُوها فِي الْعَسْكَرِ ، وَيُؤَدِّمُ ثَلَاثَةَ قَرِيبَةٍ مِنَ الْعَسْكَرِ ، وَقَالَ : مَنْ بَجَا مِنْكُمْ ؛ فَإِنْ مَوَّعَدَهُ الثَّلَاثَةُ ؛ فَكِرِهِ أَصْحَابُهُ الْإِقْدَامَ عَلَى مَا أَمَرَهُمْ ؛ فَزَلَّ بِنَفْسِهِ حَتَّى صَوَّعَ بِالْحَبْلِ مَا أَمَرَهُ بِهِ ؛ حَتَّى دَخَلَ فِي الْعَسْكَرِ ، وَدَخَلَ هُوَ يَتْلُوها ، وَيَشُدُّ حَلْفَهَا شَدًّا مُحْكَمًا ؛ فَتَفَرَّقَتْ فِي نَوَاحِي الْعَسْكَرِ ، وَاضْطَرَبَ النَّاسُ ، فَضَرَبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَمَاجُوا ، وَنَادَى حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ : وَيَحْكُمُ إِنَّهَا مَكِيدَةٌ ! فَالَزَمُوا الْأَرْضَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْأَمْرُ ؛ فَقَعَرُوا ، وَحَصَلَ شَيْبٌ بَيْنَهُمْ ، فَلَمَّ الْأَرْضَ مَعَهُمْ ، حَتَّى رَأَوْا قَدْ سَكَنُوا ، وَقَدْ أَصَابَتْهُ صَرَمَةٌ عَمُودَ أَوْهَنْتَهُ .

فَلَمَّا هَذَا النَّاسُ وَرَجَعُوا إِلَى مَوَالِكِهِمْ خَرَجَ فِي غَمَارِهِمْ ، حَتَّى أَتَى الثَّلَاثَةَ ، فَبَادَا مَوْلَاهُ حَيَّانُ ؛ فَقَالَ : أَفَرَّغَ وَنَحَاكَ عَلَى رَأْسِي مِنْ هَذِهِ الْإِدَاوَةِ ؛ فَلَمَّا مَذَّ رَأْسَهُ لِيَصُبَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ هَمَّ حَيَّانُ بِضَرْبِ عُنُقِهِ ؛ وَقَالَ لِنَفْسِهِ : لَا أُجِدُّ مَكْرَمَةً لِي ، وَلَا دِكْرًا أَرْفَعُ مِنْ هَذَا فِي هَذِهِ الْخَلْوَةِ ، وَهُوَ أَمَانِي مِنَ الْحُجَّاجِ ؛ فَأَخَذَتْهُ الرُّعْدَةُ حِينَ هَمَّ بِمَا هَمَّ بِهِ ؛ فَمَا أَبْطَأَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : وَيَحْكُمُ ! مَا أَنْتَ ظَلَرْتُكَ بِحُكْمِهَا ! فَارْلَيْبِهَا ، وَتَنَاوَلِ الشُّكَّانِ مِنْ مَوْزِجِهِ ^(١) فَخَرَقَهَا بِهِ ، ثُمَّ نَاولَهُ إِيَّاهَا ، فَأَفْرَغَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ ، فَكَانَ حَيَّانُ بِمَذْذُوقِ يَقُولٍ : لَقَدْ هَمَمْتُ فَأَخَذْتُ نِيَّ الرُّعْدَةِ فَجَبُنْتُ عَنْهُ ؛ وَمَا كُنْتُ أَعْبُدُ نَفْسِي جَهَانًا .

• • •

ثُمَّ إِنَّ الْحُجَّاجَ أَخْرَجَ النَّاسَ إِلَى شَيْبٍ ، وَقَسَمَ فِيهِمْ أَمْوَالًا عَظِيمَةً ، وَأَعْطَى الْجُرْحَى وَكُلَّ ذِي بِلَاءٍ ، وَأَمَرَ صَفِيَّانَ بْنَ الْأَبْرَدِ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى حَبِيبٍ

(١) للوزج : الخف .

ابن عبد الرحمن ، وقال : تبعث سفیان إلى رجل قد فلتته ، وقتلت فرسانه ، وكان شبيب قد أقام بكرة ما كان حتى جبر ، واستراش هو وأصحابه ؛ فصلى سفیان بالرجال ، واستقبله شبيب بدجيل الأهواز ؛ وعليه جسر معقود ، فمهر إلى سفیان ، فوجده قد نزل بالرجال ، وجعل مهاصر^(١) بن صبيح على حيله ، وبشر بن حسان^(٢) للفهری كلی ميمنته ، وعمر بن هبيرة الفزاری على ميسرته ، وأقبل شبيب في ثلاثة كراديس ؛ هو في كتيبة ، وسويد بن سليم في كتيبة ، وقعنّب في كتيبة ، وخلف الحمل في عسكره ؛ فلما حمل سويد وهو في ميمنته على ميسرة سفیان وقعنّب وهو في ميسرته على ميمنة سفیان ، تحمّل هو على سفیان ، ثم اضطربوا ملياً ، حتى رجعت الخوارج إلى مكاتها الذي كانوا فيه .

فقال يزيد السككي - وكان من أصحاب سفیان يومئذ : كثر عايينا شبيب وأصحابه أكثر من ثلاثين كربة ، ولا يزول من صفنا أحد ، فقال لنا سفیان : لانحلوا عليهم متفرقين ؛ ولكن لزحف عليهم الرجال زحفاً ، ففعلنا ، ومارانا طاعتهم حتى اضطربناهم إلى الجسر ، فقاتلونا عليه أشد قتال يكون لقوم قط . ثم نزل شبيب ، ونزل معه نحو مائة رجل ؛ فسا هو إلا أن نزلوا حتى أوقفوا بنا من الصرب والطنين شيئاً مارأينا مثله قط ؛ ولا ظننا أن يكون ؛ فلما رأى سفیان أنه لا يقدر عليهم ، ولا يأمن ظفرهم ، دعا الرماة فقال : اشقوهم بالنبل ؛ وذلك عند المساء ، وكان الالتقاء ذلك اليوم نصف النهار ، فرشقهم أصحابه ؛ وقد كان سفیان صفّهم على حدة ، وعليهم أمير ، فلما رشقوهم شدوا عليهم ، فشددنا نحن ، وشعلناهم عنهم ، فلما رأوا ذلك ركب شبيب وأصحابه ، وكثروا على أصحاب النبل كربة شديدة ، صرعوا منهم فيها أكثر من ثلاثين رامياً ، ثم عطف علينا بطاعتنا بالرماح ، حتى اختلط الظلام ، ثم نصرنا عنا ، فقال سفیان بن الأزد لأصحابه :

يا قوم ، دعوم لا تنبعوم ؛ يا قوم دعوم لا تنبعوم حتى نصبحهم . قال : فكففنا عنهم وليس شيء أحب إلينا من أن ينصرفوا عنا .

قال فروة بن لقيط الخارجي : فلما انتهينا إلى الجسر ، قال شبيب : اعبروا معاشر المسلمين فإذا أصبحنا باكرناهم إن شاء الله تعالى ، قال : فعبنا أمامه ، وتخلف في آخرنا ، وأقبل يعب الجسر ، وتحت حصان جحوح ، وبين يديه فرس أثق ما ذبابة ، فزاحصانه عليها وهو على الجسر ؛ فاضطربت الماذبابة ، وزل حافر فرس شبيب عن حرف السفينة ، فسقط في الماء ، فسمعناه يقول لما سقط : ﴿ لَيْقِضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ ^(١) واغتمس ^(٢) في الماء ثم ارتفع فقال : ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ^(٣) ثم اغتمس في الماء ، فلم يرتفع .

هكذا روى أكثر الناس . وقال قوم : إنه كان مع شبيب رجال كثير يابسون في الوقائع التي كان يهزم الجيش فيها ، وكان بعضهم يلبس على غير بصيرة ، وقد كان أصاب عشائرم وساداتهم ؛ فهم منه متورون ، فلما تخلف في أخريات الناس يومئذ ، قال بعضهم لبعض : هل لكم أن تقطع به الجسر ، فندرك ثأرنا الساعة ! فقالوا : هذا هو الرأي ، فقطعوا الجسر ، فالت به السفينة ، ففزع حصانه ونقر ، فسقط في الماء وغرق .

والرواية لأولى أشهر ؛ فحدث قوم من أصحاب سُفيان ، قالوا : سمعنا صوت الطوارج يقولون : غرق أمير المؤمنين ، فعبنا إلى عسكرهم ، فإذا هوليس فيه صافر ^(٤) ولا أثر ؛ فنزلنا فيه ، وطلبنا شبيباً حتى استخرجناه من الماء ، وعليه الدرع ؛ فيزعم الناس أنهم

(١) سورة الأنفال ٤٢

(٢) الطبري : « ارتمس » ، وهما بمعنى .

(٣) سورة يس ٣٨

(٤) هو مثل ، يقال : « ما بالدار من صافر » أي أحد .

شقوا بطنه وأخرجوا قلبه فكان مجتمعا ملبا كالصخرة ؛ وأنه كان يضرب به الأرض فينبو ، ويثب قائما الإنسان .

ويمكى أن أم شبيب كانت لانصدق أحدا نساء إليها ، وقد كان قيل لها مرارا إنه قد قتل فلا تقبل ، فلما قيل لها : إنه قد غرق بكنت ؛ فقيل لها في ذلك ، فقالت : رأيت في المنام حين ولدته أنه خرج من قرعجى نار ملأت الآفاق ، ثم سقطت في ماء فعمدت ، فعلت أنه لا يهلك إلا بالغرق ^(١) .

• • •

وهذا آخر الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
ويتلوه الجزء الخامس إن شاء الله ^(٢)

(١) وفي رواية أخرى ذكرها الطبري : « كان شبيب يرمى لأمه ، فيقال : قتل ، فلا تقبل ، فقيل لها : إنه غرق ، فقبلت وقالت : إني رأيت حين ولدته أنه خرج من شهاب نار ، فعلت أنه لا يهلك إلا الماء » .

(٢) هذا آخر ماورد في نسخة (ج) ، وجاء في آخر نسخة (ب) : « وهذا آخر الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة ، ويتلوه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى . والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد الأنبياء وسنة الأصفياء محمد وآله الطيبين الطاهرين » .

فهرس الخطب (*)

صفحة	
٣	٥٢ - من كلامه عليه السلام في ذكر يوم النحر وصفة الأضحية (١)
٦	٥٣ - ومن كلام له في ذكر البيعة
١٢	٥٤ - ومن كلام له وقد استبظا أصحابه إذ ذله لهم في القتل بعقبن
٣٣	٥٥ - ومن كلام له بذكر حروبه مع الرسول عليه السلام
	٥٦ - ومن كلام له مع أصحابه يخبر عما سيكون من شأن رجل
٥٤	يأمر بسبه والبراءة منه
١٢٩	٥٧ - من كلام له كلم به الخوارج



(*) وهي الخطب التي وردت في كتاب نهج البلاغة .
 (١) وهي تمة الخطبة الثانية والمخين ، وأولها في الجزء الثالث من ٣٣٢

فهرس الموضوعات (*)

صفحة	
٣ - ٥	اختلاف الفقهاء في حكم الأضحية
٧ - ١١	بيعة على وأمر المتخلفين عنها
١٣ - ٣٢	من أخبار يوم صفين
٣٤ - ٥٣	فتة عبد الله بن الحضرمي بالبصرة
٥٥ - ٥٦	مسألة كلامية في الأمر بالشئ مع العلم بأنه لا يقع
٥٦ - ٦٣	فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعل
٦٣ - ٧٣	فصل في ذكر الأحاديث للوضوعة في ذم على
٧٤ - ١١٠	فصل في ذكر التعريفين عن على
١١١ - ١١٢	فصل في معنى قول على : « فسبوني فإنه لي زكاة »
١١٣ - ١١٤	فصل في اختلاف الرأي في معنى السب والبراءة
١١٤ - ١١٦	فصل في معنى قول على : « إني ولدت على الفطرة »
١١٦ - ١٢٥	فصل فيما قيل من سبق على إلى الإسلام
١٢٥ - ١٢٨	فصل فيما قيل من سبق على إلى الهجرة
	أخبار الخوارج وذكر رجالهم وحروبهم
١٣٢	عروة بن حدير
١٣٢ - ١٣٤	نجدة بن عويمر الحنفي
١٣٤	للتورث بن سعد النخعي
١٣٤ - ١٣٥	حوثرة الأمدى
١٣٥ - ١٣٦	قريب بن مرة وزخاف الطائي
١٣٦ - ١٤١	نافع بن الأزرق الحنفي
١٤١ - ١٤٤	عبد الله بن بشير بن الماحوز اليربوعي
١٤٤ - ١٦٧	أثير بن علي السليطي وظهور أمر المهلب
١٦٧ - ٢٠٣	قطري بن الفجاءة للزني
٢٠٤ - ٢١٢	عبد ربه الصغير
٢١٣ - ٢١٥	طرف من أخبار المهلب
٢٢٥	شبيب بن يزيد الشيناني
٢٢٢ - ٢٧٨	دخول شبيب الكوفة وأمره مع الحجاج